

دراسات إنجليزية

١

نارتخ

# النقد الأدبي

في الأنس

الدكتور محمد رضوان إلهية

أستاذ الأدب العربي المساعد بجامعة دمشق

مؤسسة الرسالة

جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الثانية  
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بقية صمدي وصالحية  
هاتف : ٢٤٣ ٦٠٣ - ٨١٥ ١١٢ - ص.ب. ٧٤٦٠١ - بئرقياء - بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

هذه دراسة عن ( النقد الأدبي في الأندلس ) قصدت فيها الى أن تكون بياناً عن ناحية من نواحي الحياة الأدبية والفكرية في الأندلس . وإننا لنرى ازدياد الإهتمام بالتراث الأندلسي عامة من جهة ، وتقديم البحوث في الدراسات الأدبية والفكرية الأندلسية من جهة ، مما يشجع على متابعة ذلك السير ، اهتداءً بمن تقدم وأبدع ، واقتداءً بمن اجتهد وأخلص .

وهو موضوع جديد على الدراسات الأندلسية ، فليس هناك كتاب جامع لما عُرف عند الأندلسيين من بحوث نقدية وملاحظات بلاغية ، ولا أُحصِيَتْ كتبهم في ذلك ، وظل الظن بأن الأندلس صورة مشرقية شاحبة . ولا يعني في هذه المقدمة أن أثبت خطأ هذه الفرضية ولا أن أحتج لها ، فذلك بحث آخر له غير هذا المجال ، وإنما هي ملاحظة عابرة للدلالة على أن الأندلس كثيراً ما كانت تشملها الأحكام العامة - أصابت أم جانبها الصواب - وكثيراً ما افتقرت الى الشواهد والأدلة . ومن هنا كانت أهمية هذه الدراسة وطرافتها .

ومنذ أن لاح لي هذا الموضوع وأنا أعني نفسي بجمع مادته ، وتبين مداه ، والبحث عن أصوله ، والتهيؤ لذلك كله بالعودة الى التراث الأندلسي من شعر ونثر ، ومن كتب تراجم وكتب مختارات ، ومؤلفات ومشيخات ، لاكون في دائرة البحث ، وجوّه ، ولأتمكن - ما قدر لي ذلك - من ربط الموضوعات

بعضها ببعض ، والإفادة من كل ما يمكن من المواد .

وأول ما عانيت منه هو قسلة ما بين أيدينا من الآثار النقدية الأندلسية ، وسأشير في فصل خاص الى بعض ما علمنا من أسماء تلك الكتب المفقودة ، والى أسماء أعلام 'عرفوا بالبصر في تذوق الأدب ونقده' ، وسأحدث أيضاً عن موضوع يتفرع من هذا : أكان نقص ما بأيدينا من تلك الآثار بسبب ضياعها - لأسباب مختلفة - فحسب ، أم أن عوامل أخرى أثرت في ذلك مثل قلة تلك الكتب أصلاً ، وعدم اهتمام الأندلسيين اهتماماً كافياً - يقابل ما في المشرق على الأقل - بدراسة الشعر والنثر ونقدهما ؟

كان من الصعب أن أعين فترة محددة أقصر اهتمامي عليها في دراسة النقد الأدبي في الأندلس ، لقلة المصادر أولاً ، ولأن أي دراسة كهذه ينبغي أن تقوم على تمهيد طويل يبين ما قبل تلك الفترة ، وهذا سيؤول الى ما صرنا اليه . وإذا عرضنا سريعاً لأنواع مصادر البحث ظهر معنى ما ذهبت اليه من جعل الدراسة عامة ، ومحاولة تبين معالم البحث ، واستخلاص نتائج من كل العصور لأدبية الأندلسية .

وافترضت عند البداية أن كل التراث الأدبي الأندلسي يمكن أن يرفد الموضوع ، ويمكن أن يكون من المصادر والمآخذ ، مثل دواوين الشعر ، وكتب الخنازات الأدبية ، وكتب التاريخ والطبقات ، والكتب المؤلفة في فنون خاصة من أنواع الأدب ، وكتب الأدب العامة ، بالإضافة الى ما تحقق أنه أثر نقدي أو بلاغي ، وما نقلته المصادر المشرقية من الآثار الأندلسية . وكان في هذه الكتب المطبوع والمخطوط ، والمصور والمكبر ، والمصغر على أفلام ، فكان لي من صحبة المخطوطات والأفلام نصيب ، وكان لي من مساعدة أساتذة كرام وأصدقاء خلص في تقديم مصورات وتسهيل اجتلاب أفلام نصيب أوفر .

والمقصود بهذه الدراسة هو استقرار تطور النقد الأدبي ، والوقوف عند النقاد الأندلسيين بالترجمة لهم وعرض آرائهم سواء أكان ذلك في آراء مبثوثة

كان بن بسام في الذخيرة ، أو في مقامات نقدية كالسرقسطي ، أو في كتب وصلتنا وهي ثلاثة : إحكام صنعة الكلام لمحمد بن عبد الغفور السكلاعي والوافي في نظم القوافي لأبي الطيب بن شريف الشرندي ، ومنهاج البلغاء لحسام القرطاحني الأندلسي .

ويتقدم ذلك عرض " لأهم الشراح الأندلسيين وآثارهم ، باعتبار الشروح التي وضعوها تمثل وجهة نظر خاصة ، فهم على اختلاف عصورهم ومناحيهم يدلون على ذوق خاص ، وينتقدون أئساء شروحيهم ، ويعقبون بالاستحسان أو الاستهجان ، ويبينون مواطن الجمال ، ويتمرضون لتطبيقات نقدية وبلاغية - متفاوتة - كالحديث عن الأخذ والسرقعة ، والتشبيه والاستعارة ، والاقتباس والإغارة ، وما شابه ذلك . وللشراح - وأكثرهم رواة للشعر في الوقت نفسه ، وشيوخ في حلقات - أهمية في توجيه الثقافة الأدبية ، وشيوخ دواوين بأعيانها ، ورسوخ مقاييس محددة ، وذوق خاص . وقد خرجوا كثيراً من الدارسين والباحثين ، والشعراء والكتاب ، كما أثاروا حركة نقدية لدينا من بقاياها ما يشهد بأهميتها . وينضاف إلى الموضوع ملاحظات أخرى بلاغية تكم الدراسة وتكملها .

وينتظم ذلك كله دراسة شاملة لأهم القضايا التي شغلت الدقاد والشراح الأندلسيين تكون نتاجاً للبحث وخلاصة لما انتهينا إليه مما وقع من الآراء النقدية ، ومقابلة ذلك كله في مواضعه وبروافده المشرقية ، على قدر ما تسمح بذلك دراسة قائمة على بقايا آثار ، وشتات آراء مبثوثة . ولا شك في أن مجرد العرض والاستقراء ، واستنباط الأحكام دراسة مستقلة ذات مغزى واضح ، وعمل متكامل ، كما أن عرض ذلك بالتفصيل على الآثار المشرقية بمقابلة جزئية دقيقة ، واستصدار أحكام مقارنة عمل متكامل آخر ؛ وسيكون بحثنا هنا هو الأول المخصوص بالعرض واستنباط الأحكام ، مقارنة ما أمكن بمصادره المشرقية . وستكون الحلقات المفقودة من سلسلة التراث الأندلسي عقبة تواجهنا دائماً ، وتجعل ما نصدر عنه من آراء وأحكام رهناً بالرجحان والتغليب ،

وعرضة للتغير والتبديل كلما ظهر جديد من الكتب الأندلسية ، وهذه حقيقة أدبية معروفة ، لا بد من حسابها .

### منهج البحث

وقد جعلت الدراسة في تمهيد وأربعة أبواب وخاتمة :

١ - جعلت التمهيد تهيئة عامة للبحث وهو في ثلاثة مطالب ، الأول : ( سمات من الحياة الأندلسية ) قدمت فيه ملاحظات أساسية ، في عرض سريع عن مظاهر الحياة الأندلسية التي اتصلت بموضوع الثقافة والأدب بسبب من الاسباب كآثر الطبيعة وموقف الحكام ، والآثر الديني ، ومنزلة الشعر والكتابة . والثاني : ( الأندلسية ) وعرضت فيه لموضوع تفرد الأندلسيين ببعض المظاهر وموقف أدباؤهم من التبعية للمشرق . والثالث : ( الثقافة في الأندلس ) وبينت فيه انتقال الثقافة المشرقية الى الأندلس ، وتطور الثقافة هناك .

٢ - والباب الأول عن ( الشراح الأندلسيين ) وهو في أربعة مطالب :

- ١ - الشروح التعليمية العامة . ٢ - والشروح الذوقية الجمالية .
- ٣ - والشروح الخاصة . ٤ - والشروح الأدبية الجامعة .

٣ - والباب الثاني : ( أوليات النقد الأدبي ) وهو في ثلاثة مطالب :

- ١ - اتجاهات النقد الأدبي في المشرق . ٢ - صدى المذاهب الفنية المشرقية في الأندلس . ٣ - أوليات النقد الأدبي : فصوله خمسة : ١ - اللغويون والنحويون والمؤيدون . ٢ - ابن عبد ربه وكتابه ( العقد ) . ٣ - ابن حبيب المحيري وكتابه « البديع في وصف الربيع » . ٤ - أبو عامر بن شهيد . ٥ - أبو محمد بن حزم .

٤ - والباب الثالث : ( مقالات وآراء نقدية ) وهو في سبعة مطالب :

- دراسة مقدمة « تسهيل السبيل الى تعلم الترسييل » للحُمَيْدِي تلميذ ابن حزم
- ٢ - رسالتان نقديتان . ٣ - الانتصار لابن السيد في الرد على أبي بكر بن العربي - ٤ - المقامتان النقديتان من المقامات اللزومية للسرقسطي

٥ - مقدمة ديوان ابن خفاجة . ٦ - الذخيرة لابن بسام .

٧ - عنوانات المرقصات والمطربات لابن سعيد .

٥ - والباب الرابع : ( كتب أندلسية في النقد الادبي ) وهو في ثلاثة مطالب :

١ - إحكام صنعة الكلام للكلاعي - ٢ - الوافي في نظم القوافي للرندي

٣ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني الأندلسي .

٦ - والخاتمة أشرت فيها الى النقد الأدبي في عصر غرناطة إشارة عامة ، ولخصت

فيها ما نتج لدينا من خلاصة البحث .

ويعد

فهذا عمل اجتهدت مخلصاً في أن يكون على غاية ما يُطلب من العناية والتدقيق ، أرجو أن أكون قد وفقت الى ما صبت اليه من عرض الموضوع ودراسة جوانبه واستخلاص نتائجه ، وأن يكون فيه ما يرفد الدراسات الأندلسية بشيء جديد . وما أشك في أن إعادة النظر فيه كلما ظهر جديد في التراث الأندلسي ستغنيه وتغلاته .

وأختتم مقدمة البحث بشكر أستاذي الدكتور : عبد العزيز الأهواني الذي كان لي نعم العون في التوجيه والرعاية ، ونبهي الى كثير من الملاحظات القيمة ، وأتاح لي من علمه ووقته ومكتبته ما أرجو أن يكون وفاءه حسن التلمذة وجزيل العرفان .

والحمد لله رب العالمين .

محمد رضوان الداية





تمهيد

في الحياة والبيئة والثقافة في الأندلس

سمات من الحياة الأندلسية

الأندلسية

الثقافة في الأندلس



## سمات من الحياة الأندلسية

هذه ملاحظات أضعها بين يدي الدراسة تتناول بعض سمات الحياة الأندلسية ، والمقصود منها هو أن تكون مدخلا نركز عليه في فصول لاحقة ؛ ذلك أن عوامل كثيرة مختلفة الموارد ومتعددة الجوانب أثرت في تكوين الحياة العامة وفي تشكيل مظاهر الحياة الأدبية والفكرية بشكل خاص . فرأيت أن أمر بها في مطلع الحديث مروراً عابراً يُكتفى فيه بالقدر الذي يمهّد ويقدم ، ويلقي في الوقت نفسه بعض الاضواء .

### ١ - أثر الطبيعة :

اشتهرت الأندلس - منذ افتتاحها في آخر القرن الهجري الأول - لدى الفاتحين الأول ومن تلام بحسن الطبيعة وجمالها ، واعتدال الجو ووفرة الخيرات وأطيب الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في وصف هذه الخصائص وتفصيلها ؛ اشترك في ذلك الأندلسيون وسوام من كتب عن حال الأندلس . وهم يجمعون فيها معظم خصائص بلدان الاسلام الأخرى وميزاتها ، فهي عندهم جامعة وافية ، ونقل المقرئ عن أبي عبيد البكري وصفه ففسال : « الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وزكاتها ، أهوازيّة في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها <sup>(١)</sup> .

وشعرت الطوائع العربية الى الأندلس الفوج بعد الفوج أنهم قادمون على أرض طيبة وبيئة مناسبة كثيرة الخير بعيدة الاركان . وذكر الرازي أنه لما

(١) نفع الطيب للمقرئ ( طبعة محي الدين عبد الحميد ) ١ : ١٢٥٠

أزعج موسى بن نصير - بعد فتح الأندلس بقليل - قفل معه من أحب من المشرق ، وكان أكثر الناس قطنوا ببلاد الأندلس لطيبها ، فأقاموا فيها <sup>(١)</sup> . وبالإضافة الى غنى الأندلس الطبيعي فإن العرب سرعان ما تأقلموا وشاركوا في معالجة أمور الزراعة والصناعة وشادوا حضارة عربية جديدة على أرض جديدة ، وانتشر العمران في أنحاء الأندلس واتصلت المدن بالمسكن والقرى بالقرى في إتقان عمل وبهاء منظر ؛ وهذا يستمر الى زمن ابن سعيد الذي يصف بلاده : « وميزان وصف الأندلس أنها جزيرة قد أحاطت بها البحار فأكثر فيها الخصب والعمارة من كل جهة . فمضى سافرت من مدينة الى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع ، والصحارى فيها معدومة » . وبعد هذا الحديث عن خصب الارض وجمالها يأتي الحديث عن أهل البلاد وعاداتهم ومظاهر تمدنهم « ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلها في أوضاعها وتبويضها لئلا تنبو العيون عنها <sup>(٢)</sup> » .

ومن هنا كان تعلق الأندلسيين ببلادهم وحنينهم اليها إذا سافروا عنها تعلقاً حقيقياً ، لأنهم يجمعون الى ما يكون من حب الوطن بعامة شغفاً شديداً وامتزاجاً بالبيئة وراحة اليها . وينعكس ذلك بوضوح في آثار الأندلسيين اذا كتبوا بعد اغتراب او عند مُحاجةٍ ولجساج . فابن سعيد يذكر الأندلس - بلاده - في كتبه كثيراً ، يهتبل الفرص ليوازن بينها وبين كثير من البلاد في المشرق والمغرب ، ولتكون الأندلس دائماً الأغنى والأوفى والأجل والأحسن . والشَّعْنُدي يفخر بالأندلس ويفضلها على المغرب في حديث طويل سنأتي على ذكره في فقرة تالية <sup>(٣)</sup> ، ولسان الدين بن الخطيب يقيم مفاخرة بين مالقة وسلا <sup>(٤)</sup>

(١) نفع الطيب ١ : ٢٦٢ .

(٢) نفع الطيب ١ : ١٩٠ .

(٣) نفع الطيب البكري ٤ : ١٧٧ .

(٤) مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ( مجموعة من رسائله ) تحقيق : الدكتور أحمد مختار المبادي - مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ صفحة ٥٧ .

ليكون لما لفة القيدح' المَعْلَى . ونقع على مادة أكثر طرافة ، وهي تصنيف الاندلسيين في المفاضلة بين المدن الأندلسية وتعيين صفات كل واحدة بأسلوب شعري رقيق يكشف عما في نفوسهم من الأُنس بتلك البلاد ، والشغف بمعطيات الحياة فيها . فمن ذلك رسالة أبي بجر صفوان بن إدريس<sup>(١)</sup> صاحب كتاب زاد المسافر ، التي رفعها الى الأمير عبد الرحمن بن السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، صور فيها منافسة متخيلة بين مدن الأندلس للظفر بالامير ودعوته ، وخرج منها الى بسط مآثر كل مدينة وما تفضل به سواها . ومن ذلك ما أورده لسان الدين بن الخطيب عن بعض مدن الأندلس في مقاماته : ( معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ) من وصف لها وذكر لخصائصها ومآثرها .

### متنزهات وأشعار

وكان من انفعال الاندلسيين بالطبيعة أنهم دأبوا على الخروج الى مُتَنَزَّهاتها والاستمتاع بمهرجانات واحتفالات كانوا يعقدونها . وفي الكتب والدواوين اخبار لا تخص عن هذا الموضوع : فإذا ما أقبل الربيع وجَّه بعضهم الى بعض بطاقات دعوة - ومن الطرافة أن بعضها شعري - وخرجوا الى المتنزهات والجنان والمياه ، وبها تهادوا الازهار والاوراد والنواوير ، وارتجلوا فيها الشعر وعقدوا الموازونات والمقارنات . وفي كتاب البديع في وصف الربيع للحميري<sup>(٢)</sup> قصص وأخبار وأشعار أندلسية ومعاصرة للمؤلف تصلح أمثلة لما نقول . وهو يقدم لتأليفه بقوله<sup>(٣)</sup> : « لست أودعه إلا ما أذكر لأهل الأندلس خاصة في هذا المعنى إذ اوصافهم لم تتكرر على الأسماع ولا كتُر امتزاجها

(١) نفع الطيب : ١ / ١٦٠ ، ونقلها محقق كتاب زاد المسافر . انظر : ١٢٣ / ١٢٨ .

(٢) البديع في وصف الربيع لأبي الوائد اسماعيل بن عامر الحميري تحقيق هنري بريس -

طبع الرابط ١٣٥٩ - ١٩٤٠ .

(٣) صفحة : ٢ .

بالطباع فتردها شَيْقة وترودها تَيْسقة ، وقال في خبر له : « وأخبرني الفقيه أبو الحسن بن علي قال : كان في داري بقرطبة حائر ( بستان ) صُنع فيه مرج بديع وظلّل بالياسمين فنزّهت إليه أبا حفص التُّدميري في زمن الربيع فقال : ينبغي أن تسمي هذا المرج السُّندسة ، وصنع على البديهة أبيسائناً <sup>(١)</sup> . وشارك النثر الشعر في وصف الرياض <sup>(٢)</sup> ومفاضلة بعض الأزهار على بعض <sup>(٣)</sup> . وأنشد الحميري لأبي القاسم البجلي :

انظُر ونزّه ناظريك بروضة غنّاء ما زالت تُسراج وتُمطر  
لنُريك من صنماء صنعة وشيها بمطارف من تَسْتُر لا تستر  
ألوانها تشّسى رطيب نسيمها يقضى العبير به ويُنسى العنبر  
ومن الأبيات السائرة في الاندلس ، وأعجب أهلها بها ، قول ابن سفر المريني <sup>(٤)</sup> :

في أرض أندلس تلتذّذ نَماء ولا يفارق فيها القلب سراء  
وليس في غيرها بالعيش منتفع ولا تقوم بحقّ الأنس صهباء  
فيها خلعت عذارى ما بها عَوْضُ فهي الرياض وكل الأرض صحراء

وهذه الأبيات مجتزأة ، وإنما هي تدل على نَفَس الشاعر ومدى إعجابه ببلاد جميلة تقوم له بحقّ الأنس ، وتفي له بأسباب البهجة والسرور ، وتمتّع ناظره بما راق وحلا ، من ماء رقيّ وعذوب وهواء طاب ، وشجر أثمر ، ونور أزهر ، ولا عتب عليه إذا وصفها بأنها الرياض ، وكل الأرض صحراء .

(١) البديع في وصف الربيع ١٩ .

(٢) انظر صفحة ١٢ ، ٢٣ ، ٢٨ ، الخ وفي صفحة ١٧ - ٧٩ رسالة لعبد الملك بن

أدريس الجزيري موصولة بشعر ، عن بنفسج العامرية ، رفعها إلى المنصور ابن أبي عامر .

(٣) من ذلك ولعهم بالمفاضلة بين النهار والورد والانتصار لأحدهما ، ولهم في ذلك ردود على

ابن الرومي الذي تحامل على الورد . انظر ص ٧٦ - ٧٧ .

(٤) نفح الطيب ١ : ١٩١ - ١٩٥ .

والشعر في هذا كثير ، ودواوينهم زاخرة بمثل هذا الإعجاب وهذه النشآت ، « والحق أن شعراء الأندلس كانوا في الطبيعة وشعرها يحسون ويهيمون ، ثم يعبرون عن حسهم وهيامهم . . وكثيراً ما خرج الشعراء جماعات وأفراداً يتشعرون النفس بجمال الطبيعة ثم يعبرون عما في أنفسهم <sup>(١)</sup> . ونقف بعد على ملاحظة هامة ذكرها الجعاري عن أهل الأندلس ، قال « وهم أشعر الناس فيما كثره الله تعالى في بلادهم وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والطيور والكؤوس ، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن ، وابن خفاجة سايقهم في هذا المضمار ، الحائز فيه قصب الرهان ؛ وأما إذا هب نسيم ودار كأس في كف ظبي رخيم ورجع بهم وزير وصفق للمساء خير . . أو أزهرت دوحة السماء بزهر كواكبها أو قوّضت عند فيض نهر الصباح ببيض مضاربها فأولئك هم السابقون السابقون . . وقد أعانتهم على الشعر أنسابهم العربية ، وبقاعهم النضرة وهمهم الأبية <sup>(٢)</sup> . وفي هذا النص الموجز نقف على ملاحظتين هامتين في تفسير شاعرية أهل الأندلس وبيان أصالتها ؛ فهو يعلل ذلك بأنسابهم العربية ، وما يكون لمحافظة على ذلك من أثر في الثقافة والشاعرية ، ويعمله ثانياً بأثر الطبيعة . وقد جعلوا بلادهم مثلاً للجنة وفي ذلك يقول ابن خفاجة <sup>(٣)</sup> بعد أن ذكر الأندلس في غربته بالمغرب الأقصى :

إن للجنة بالأنس دلس      مجئني مرأى ورّيا نفس  
فستأصّبعتها من شذب      ودجى ظلمتها من لعس  
فإذا ما هبت الريح صبا  
صحت : واشوقي إلى الأندلس !

١ ( شعر الطبيعة في الأدب العربي - الدكتور سيد نوفل - مطبعة مصر : ١٩٤٥ :  
صفحة ٢٦١ .

٢ ( نفع الطيب ٤ : ١٥٠ - ١٥١ .

٣ ( نفع الطيب ١ : ١٩٥ .



## تأليفهم في ذلك :

وقد ألف الأندلسيون كتباً في الربيع أو الشعر المتعلق به ، ووصف الطبيعة من شجر وزهر وحيوان ونبات وماء ، وما يتصل بذلك من إحساسات وانفعالات ، وصف الرحلات والنزهات ومجالس الأئس . فصاحب رايات المبرزين ينقل عن كتاب ( زمان الربيع ) للخشني ؛ وفي بغية الملتبس في ترجمة يوسف بن هارون الرمادي أنه : عمل في السجن كتاباً سماه « كتاب الطير » في أجزاء وكلث من ذكره ؛ وصف فيه كل طير معروف وذكر خواصه ، وذيّل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام بن الحكم <sup>(١)</sup> . ولأحمد بن فرج الجبائي كتاب ( الحداثق ) في القطع الغزلية وهو مفقود عدا نقول قليلة منه في المصنوع <sup>(٢)</sup> . ولأبي الوليد الحميري كتاب « البديع في وصف الربيع » الذي سبق ذكره . ولأبي حفص أحمد بن برد رسالة وصف فيها خمسة من أنواع النواوير ، وغرضه تفضيل الورد <sup>(٣)</sup> . ولأبي الوليد أيضاً رسالة في الرد على رسالة ابن برد هذه وصف فيها سبعة أنوار وغرضه تفضيل البهار <sup>(٤)</sup> . ولأبي جعفر بن الأبار رسالة في عدة من الأنوار <sup>(٥)</sup> . ولأبي عامر محمد بن عبد الله بن مسلمة « كتاب الارتياح بوصف الراح » : ذكر ما قيل فيها وفي الرياض والبساتين والنواوير واحتفل في ذلك <sup>(٦)</sup> . وغاية القول أن الأندلسيين أحسوا بجمال بلادهم ، وآتتهم الطبيعة خير أكلها وأحسن زينتها ، فكان لذلك أثره في نفوسهم ، وكان لتأثيرهم بهذه

١ ( رايات المبرزين رعابيات المبرزين . تحقيق إميل غلوثيسا غومز - مدريد : ١٩٤٢

صفحة : ١١٠ .

٢ ( بغية الملتبس : ٤٨١ .

٣ ( جذرة الملتبس : ٩٧ .

٤ ( البديع في وصف الربيع : ١٣ .

٥ ( المصدر نفسه : ٥٨ .

٦ ( المصدر نفسه : ٦٧ .

٧ ( جذرة الملتبس : ٦١ .

الحيرات وذلك الجمال نتائجه في خلاصة فكرهم من شعر ونثر وتأليف .

## ٢ - الأندلس ثغر إسلامي :

إن نظرة سريعة على التاريخ الأندلسي تبين بوضوح وجلاء أن الأندلسيين كانوا في صراع دائم مع العدو الذي تراجع بسرعة غريبة حتى أخلى شبه جزيرة إيبيريا تقريباً إلا مواضع قليلة في الشمال معظمها جبلي . وكانت فترات السلم قليلة ، وعاش الناس على مدى ثمانية قرون وهم يوطنون أنفسهم على أنهم أهل حرب ، وفي ثغر يتطلب الجهاد المستمر والاستعداد الدائم <sup>(١)</sup> . وإذا كان الرخاء الداخلي واستتباب الأمن سبيل رضا الناس في الداخل فإنهم كانوا يتطلعون دائماً إلى أميرهم ليكون بالدرجة الأولى قائد معركة وبطل انتصار . وعرف الحكم هذا ، فكانوا يكثر من الغزوات ويتقربون إلى العامة والخاصة برفع راية الجهاد . وكثيراً ما كانت الاعتبارات على اختلافها تتداعى أمام هذا الاعتبار الأكبر . وبهذه الحماسة وهذا الشعور رجّح المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية في نهاية الأمر أن يكون « راعي جمال » على أن يكون راعي خنازير ، ويؤن بين الحالين . وفي ذلك يقول الحميدي عن الأندلس « وهي ثغر من ثغور المسلمين لمجاورتهم الروم واتصال بلادهم ببلادهم <sup>(٢)</sup> » . ويشهد المقري بعد استغلاب الأندلس بزمان « أنه لو لم يكن للأندلس من الفضل سوى كونها ملاعب الجياد للجهاد لكان كافياً <sup>(٣)</sup> » .

---

١ ( لعل هذا يفسر ما روي عن عمر بن عبد العزيز أنه كان نوى إخلاء الأندلس من المسلمين خشية عليهم من العدو لانقطاعهم من وراء البحر ، ولكن الأندلسيين قولوا اقناعه .

انظر فجر الأندلس للدكتور : حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة والنشر :

١٩٥٩ . صفحة : ١٣٦ ومراجعته في ذلك .

٢ ( جذوة المقتبس : ٧ .

٣ ( نفع الطيب : ١ : ١٧٤ .

وكان لهذا الأمر بالاضافة إلى الأندلسيين اعتبار كبير وأثر واضح ، وإن بلداً بهذه الحال من مواجهة العدو ، والإقامة الدائمة في ظل الرماح والسيوف ، وتحت احتمال الحروب المستمرة لا بد وأن يتأثر وتتصف كثير من مظاهره على وجه من الوجوه بما يلائم ذلك الاعتبار .

من ذلك أن كافة الأندلسيين صاروا — بحكم ما هم فيه — من أهل الثغور أو بمنزلتهم ، فساعد ذلك على بروز الناحية الدينية في الأندلس وظهورها ، ومهّد للفقه — كما سدين بعد — منزلة لا تفوقها إلا رتبة الوزراء . ومن طريف تطبيقات هذا الرأي أن خصوم لسان الدين بن الخطيب عدّوا عليه خروجه عن الأندلس — إلى المغرب — واعتبروه آثماً ، لأنه غادر دار الجهاد وانقلب على عقبيه .

وإذا كان الأندلسيون قد تصدوا للقتال جهد استطاعتهم فإن عدوهم كان يقتضي منهم أن يزيدوا عدداً وعدة ، واتضح هذا بعد سقوط دولة بني أمية وزوال العامريين ، ونشوء ملوك الطوائف . وبالرغم من كل المضاعفات التي استتبعت ضعف المرابطين ، وضعف الموحدون في حينه — بعد أن كانوا دخلوا الأندلس لإنقاذها — فإن المبدأ الذي دخلوا به إلى الأندلس صحيح، ولو استمر المرابطون أو الموحدون كما بدأوا لكان للتاريخ في تلك البقعة وجه آخر .

ويصف كاتب اندلسي حال بلاده في أواخر القرن الثامن فيقول إنها «أسمى ثغر نالت به إلهم العالية مراتب وأقداراً ، وأكرم تربة رفع الإيمان بها علماً ومناراً ، وحل الدين الحنيفي منبراً ووسم ديناراً ، فعزت جانباً وكترمت أنصاراً .. وأمر جزيرة الأندلس على سائر الاقطار مُنيب ، لأنها في بحر زخار وعدو جَرَّار ، ملازمين أهلها في الليل والنهار . والروم بها أمم كثيرة مختلفة

لا يعلم عددها إلا الله تعالى .. (١) »

ولا بد أن ينعكس هذا في تراث أهل الأندلس وأدبهم فيظهر في امتداح الشجاعة والشجاع والدعوة الى إجابة الصريح ، وحماية الديار والذمار . ونجد الى جانب ذلك أثراً آخر إذ صارت حياة كثير من الأدباء حياة قلقه مثل غيرهم فهم بين أمن وفزع ، ونصر وهزيمة ؛ وقد يُضاف الى ذلك اضطراب حبس السلطان الداخلي ، فيكون الفلق أوضح وأظهر . وقد أشار الى هذا بأسلوبه - ابن بسام صاحب الذخيرة ، وقد اختار في كتابه أنماطاً من محاسن أدب معاصريه ، ووصف شعرهم ونثرهم ، وأثنى عليهم وأطرى ، قال « أودعت هذا الديوان الذي سميت به بكتاب الذخيرة في محاسن هذه الجزيرة من عجائب علمهم وغرائب نثرهم ونظمهم ما هو أحلى من مناجاة الأحيى .. لأن أهل هذه الجزيرة - منذ كانوا - رؤساء خطابة ورؤوس شعر وكتابة .. على كونهم بهذا الإقليم وهصاقتهم لطوائف الروم ، وعلى أن بلادهم آخر الفتوح الإسلامية وأقصى خطى المآثر العربية ، وليس وراءهم وأمامهم إلا البحر المحيط والروم والقوط ، فحصة آمن هذه حاله ثبير ، وثمدّه بحر مسجور (٢) .. »

### ٣ - الأثر الديني :

كان للأندلس وضع خاص من جوانب كثيرة . ومن هذه الجوانب ما يلاحظه الدارس من أثر الأمور الدينية في الحياة الأندلسية على أشكال مختلفة .

---

١ ( تحفة الانفس وشعار أهل الأندلس لابن هذيل الغرناطي - مخطوطة بدار الكتب المصرية ( تيمور باشا ) رقم : ٩٩ الورقة ١٤ / ظ . والكتساب قسم كتاب آخر عنوانه ( حلية الفرسان وشعار الشجعان ) نشره الاستاذ محمد عبد القني حسن في دار المعارف بمصر عن نسخة مصورة اخرى ، والكتابان مجلد واحد في جزأين .

٢ ( الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني - القسم الأول - المجلد الأول صفحة ٤ - ٥ .

فمن الطبيعي أن يكون التدين ، والعناية بشعائر الدين وأصوله وأهله عامسة ، واضعاً في بلد شغل بالحروب - كالأندلس - واتقدت فيه على وجه من الوجوه روح الجهاد والرابطة والمهاجبة . ولقد كان لجوار المسلمين مع النصارى ومعايشتهم أثر بالغ في توقد هذا الشعور ، وفي تمام الكتابة في ذلك والتأليف .

بدأت الأندلس على مذهب الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام<sup>(١)</sup> ، واستمر ذلك الى أن دخلت الأندلس في حكم الدولة المروانية ، وظهر فيها فقيه ذائع الصيت كان مكيناً لدى السلطان هو يحيى بن يحيى الليثي<sup>(٢)</sup> . وينقل المقرئ عن ابن حزم رأيه في هذا ، فهو يشبه انتشار المذهب المالكي في الأندلس على يد يحيى كانتشار المذهب الحنفي في المشرق وأنها ذاعا بموفا الحاكم قال : « مذهبنا انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة ... ومذهب مالك عندنا بالأندلس » فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاء . وكان لا يلي قاض في أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس يسراع الى الدنيا ، فأقبلوا على ما يرجون أغراضهم به<sup>(٣)</sup> . ويضيف ابن خلدون - على منهجه - سبباً آخر لذيوع المذهب المالكي ويعلله بأن البداوة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس وأنهم لم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا الى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة<sup>(٤)</sup> .

---

١ ( قال ابن الفرضي في ترجمة زهير بن مالك البلوي : كان فقيهاً على مذهب الأوزاعي على ما كان عليه أهل الأندلس - قبل دخول بني أمية رحمهم الله ( تاريخ علماء الأندلس - نشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ) انظر ص ١٥٣ .

٢ ( انظر ترجمته في نفع الطيب : ٢ : ٢١٧ .

٣ ( نفع الطيب : ٢ : ٢١٨ .

٤ ( انظر مقدمة ابن خلدون عن أثر عبد الله بن حبيب - المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٢٠ هـ صفحة ٤٢٥ .

## الفقهاء والقضاة :

وانتقلت أهمية الدين أيضاً الى الفقهاء لما كان لهم من المنزلة والمكانة بين ذوي الشأن . وفي كتاب قضاة قرطبة لمحمد بن الحارث الخشني<sup>(١)</sup> أمثلة رائعة لتبوء القاضي منزلته الرفيعة التي تخوله أن يقتص من السلطان ويرد رغبته ويبطل حكمه<sup>(٢)</sup> ، متذرعاً بأحكام الشريعة . ومن هنا تكبر شخصيته في أعين العامة ، وتوضح أهميته . ولعب الفقهاء ، وجلهم على المذهب المالكي ، دوراً هاماً في تثبيت مذهب مالك الى آخر نهاية المسلمين في الأندلس من جهة ، وفي إثارتها حرباً شعواء على أنصار المذاهب الأخرى - على قلتهم - من جهة أخرى ، كما كان لهم أثر لا يقل أهمية عما سلف في مضايقة الدراسات الفلسفية ، وربما العلمية المتصلة بالمنطق والفلسفة بأدنى سبب . وينقل المقرئ عن فقهاء الأندلس أن « خواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به بمحاضر ماوكمهم ذوي الهمم في العلوم . ورسمة الفقيه عندهم جليلة ، حتى إن المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه . . وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي ( فقيه ) لأنها عندهم أرفع السهات<sup>(٣)</sup> » . وكان لهم دورهم أيضاً في فتنة الربض التي أقامت الدنيا على الحكم بن هشام سنة ٢٠٢ وكادت تؤدي بملك الحكم لولا أن تداركها<sup>(٤)</sup> .

« وانتشر الفقهاء ببلاد الأندلس على مذهب مالك ، وكان باللبيرة سبعة سمعوا كلهم من سحنون في زمان واحد ، وأصبح الفقهاء يدورون حول المدونة

١ ( انظر ترجمته في جذرة المقتبس للحميدي . تحقيق : محمد بن ثابت الطنجي - مصر -

١٣٧٢ . ص ٤٩ - ٥٠ .

٢ ( قضاة قرطبة للخشني : ٢٩ - ٣٠ .

٣ ( نفح الطيب ١ : ٢٠٦ .

٤ ( المغرب في حل المغرب : ابن سعيد - تحقيق الدكتور : شوقي ضيف ، ( دار المعارف

بمصر : ١٩٥٣ ) ١ : ٤٢ - ٤٣ .

وكتاب آخر ألفه العتيبي الأندلسي ويسمى العتبية أو المستخرجة ، وضاعت  
الذرة فأصبحوا يكرهون الحديث ، مع ان الحديث أصل مذهب أستاذهم إلا  
انهم شغلوا بالتفريعات والرأي .. واخذ بعضهم يتنقصون أهل الحديث <sup>(١)</sup> .  
ومن الأمثلة على ذلك ما حُكِّلَ ببقية بن مخلد إذ أدخل كتباً في الحديث من المشرق  
فيها مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ، وقرىء عليه ، « فأنكر جماعة من أهل  
الرأي ما فيه من الخلاف واستشنعوه ويسطوا العامة عليه ومنعوه من  
قراءته <sup>(٢)</sup> » ولولا أن أمير الأندلس في وقت محمد بن عبد الرحمن الأوسط كان  
« محباً للعلوم ، مؤثراً لأهل الحديث <sup>(٣)</sup> » لما سلم بقي بن مخلد من العامة ولا من  
السلطان .

وأبو محمد بن حزم مثال كامل لعالم فقيه أندلسي خرج على رأي الجماعة  
عندهم واستقل برأيه ، فكانت بينه وبينهم خصومة لم تنقطع . وقد جمع ابن  
حزم فنوناً شتى وأتقنها وجاهر بها عنده ، وبرع بالحديث والفقه والجدل والنسب  
والأدب ، وشارك في المنطق والفلسفة . ونقل ابن بسّام أنه مال أول الأمر إلى  
رأي الشافعي « فاستهدف لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ ، ثم عدل في الآخر  
إلى قول أصحاب الظاهر .. فنقحه ونهجه وجادل عنه ووضع المكتب في  
بسطه .. حتى استهدف إلى علماء وقته فجالوا على بغضه وردوا قوله وأجمعوا  
على تضليله وشتموا عليه وحذروا سلاطينهم من قتلته ونهوا عوامهم من الدلو  
إليه <sup>(٤)</sup> .. وسنفصل في شيء من هذا عند ترجمته ، ولكن وجه الحديث هنا أن  
خصومة الفقهاء لابن حزم فاقت حد الجدل العلمي والمناظرة العقلية إلى استعداء

١ ( تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة - الدكتور احسان عباس . دار

الثقافة : بيروت - صفحة ٢٤ .

٢ ( جذوة المقتبس : ١١ .

٣ ( المصدر السابق : ١١ .

٤ ( الذخيرة - القسم الأول - المجلد الأول . ص : ١٤٠ - ١٤١ .

السلطان ، والتعريض بما يخالفه ابن حزم من عواقب ، ونالوا من ابن حزم كما أرادوا .

ووقف الأندلسيون من علوم الأوائل موقفاً معادياً إلا ما كانت مباحاً كالطب ؛ وما استمر من البحوث المنطقية والفلسفية ، وما يتصل بالكواكب والنجوم ظل نشاطاً فردياً ولم يحظ بقبول العامة ولا سكت عنه السلطان إلا في القليل النادر . وسنحت فرصة نادرة من رعاية السلطان لهذه العلوم ، ولكنها كما نصفها نادرة ، ولم تعمّر طويلاً ، فبالرغم من المكتبة التي أنشأها الحكم وتسامع بها الناس في الشرق والغرب إلا أن مصير علوم الأوائل منها وما تحا ذلك المنحى كان الأحراق على يد منصور بن عامر تقريباً للفقهاء والعامة ، وفعل ذلك تحجياً إلى عوام الأندلس .. اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بالسن رؤسائهم<sup>(١)</sup> .. . وكان يطلق لقب زنديق على كل من تسامع الناس باشتغاله بالتنجيم أو قراءته الفلسفة ، وربما تجاوز الأمر هذا إلى ما هو أسوأ منه « فإن زلّ في شبهة رجوه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقريباً لقلوب العامة ، وكثيراً ما يأمر بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت »<sup>(٢)</sup> .. .

#### ٤ - القضاء في الأندلس :

لما استقر الحال بالأندلس تحت ظل الدولة المروانية الجديدة التفت من بها إلى أسباب الحضارة ، ونشأ في قرطبة مركز جديد كبر مع الزمن فصارت عاصمة أخرى من عواصم العلم والأدب ومختلف الفنون والصناعات . ومن الطبيعي أن يبدأ كل شيء في البلد المفتوح النائي مستعيناً بحضارة المشرق ، وأن تستمر قيمه

١ ( طبقات الأمم لمساعد بن أحمد الأندلسي - مطبعة السعادة بمصر - صفحة : ١٠٢ -

١٠٣ . وانظر النفح : ١ : ٢٠٥ .

٢ ( نفح العليب : ١ : ٢٠٥ ، وانظر مقالة ابن سعيد في ذلك . النفح : ٤ : ١٦٧ .



الفكرية والأدبية زماناً على غرار ما يصل الى أهله من تراث  
( مستورد ) .

### المُغَنُّون والمغنيات :

ومنذ عهد عبد الرحمن الداخل نفع على أسماء مغنيات مشرقيات قدمن الى  
الأندلس وبُنِْدِل في سرائن واستقدamen مال وفير . وقد أورد صاحب نفع  
الطبيب في ذكر الوافدين على الأندلس من المشرق أسماء كثيرة لمغنيات دخلن  
الأندلس ؛ استقدم عبد الرحمن الداخل الجارية « العجفاء » المغنية وابليت له  
من أحد موالى بني زهرة بالمدينة وثلاث موصوفة بجمال الصوت وحسن الأداء .  
ويظهر أنه كان يحد في طلب المغنيات المشهورات من المشرق وخصوصاً المدينة  
لما اشتهر من إجادة جواربها بالغناء . فقد اشترى « فضل »<sup>(١)</sup> المغنية وكانت حاذقة  
بالغناء كاملة الخصال<sup>(٢)</sup> و « علم » و « قلم » وهي رومية الأصل ، الى صواحب  
لهن أيضاً<sup>(٣)</sup> .

ودخل المغنون بعد المغنيات ، وأول من دخل الأندلس علقون وزرقون ،  
« دخلا في أيام الحكم بن هشام فننقعا عنده وكانا محسنين . . » ومن أشهر المغنين  
الذين دخلوا الأندلس ، زرياب تلميذ إسحق الموصلي<sup>(٤)</sup> ، وقد ترك آثاراً في  
الغناء والادب والآداب الاجتماعية ما لا يستطيع رجل واحد تثبيته في بلد  
طويل عريض . كان زرياب في بغداد في خدمة الرشيد مع أستاذه اسحق ،  
وظهر من زرياب ما أثار حفيظة أستاذه وخشي معه مزاحته في مركزه ، ورأى  
زرياب ذلك منه ، فأرسل الى صاحب الأندلس ( الحكم بن هشام ) في الورود  
عليه فرحب به وأرسل مغنياً يهودياً في طلبه . ودخل زرياب الأندلس ، وعلم  
بوت الحكم قبل الانتهاء الى قرطبة فاستبقاه المغني رسول الحكم لأن ولي العهد

١ ( نفع الطبيب : ٤ : ١٣٨ .

٢ ( المصدر نفسه : ٤ : ١٣٦ .

٣ ( المصدر السابق : ٤ : ١١٦ .

٤ ( النفع : ٤ : ١١٧ .

لن يقصر عن سلفه في الإعجاب به . ونال زرياب من الخطوة في الأندلس ما تسامع به المشاركة ، وحسبي أمام المأمون <sup>(١)</sup> .

وشاع الغناء ، وانتشرت مجالس الطرب في قرطبة ، وفي كثير من الأمصار الأندلسية ، وفي جذوة المقتبس <sup>(٢)</sup> وطبقات الزبيدي <sup>(٣)</sup> والذخيرة وغيرها من كتب الأدب الأندلسية أخبار طويلة عن مجالس الأنس والطرب ، وما يدور فيها من شعر ونشيد وغناء . ومن طريف ما ذكر عن شيوع الغناء في مدينة فوق الحد المؤلف ما جرى من المناظرة بين يدي « ملك المغرب المنصور يعقوب بن الفقيه أبي الوليد بن رشد والرئيس أبي بكر بن زهر » فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما أدري ما تقول غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تساع فيها ، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى إشبيلية <sup>(٤)</sup> . وفي الذخيرة أن أحد الطنبوريين واسمه ( زربوط ) أصيب في وقعة ( قنتيش ) فأقام عليه الطنبوريون مأثماً مشهوراً بعد الحادثة <sup>(٥)</sup> . والخبران طريفان ، وفيها دلالة على كثرة المغنين وتفاق سوقهم . وقد استمر الحال بالغناء والمغنين طوال مدة العرب بالأندلس . ولدينا خبر أورده لسان الدين بن الخطيب في القرن الثامن عن أهل غرناطة يدل على انتشار الغناء ، وشيوعه بين فئات الناس المختلفة قال « والغناء بمدینتهم فاشر حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث <sup>(٦)</sup> » .

١ ( نفح الطيب ٤ : ١٢٨ - ١٢٩ .

٢ ( جذوة المقتبس ١٥٨ ، ١٨٠ ، ٣٢٤ .

٣ ( طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم - ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م . نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة . انظر ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

٤ ( نفح الطيب ١ : ١٤٧ .

٥ ( الذخيرة - القسم الأول - المجلد الأول : ٣١ .

٦ ( اللوحة البدرية في الدولة النصرية : لسان الدين بن الخطيب . تحقيق عبد الدين الخطيب المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٤٧ : صفحة : ٢٨ .

## موقفهم من الغناء :

تقبل الاندلسيون الغناء قبولاً حسناً ، وقد تقدم من الاخبار ما يقوم دليلاً على ذلك ، وأقبل على سماعه وحضور مجالسه العامة والخاصة وأتقنه أحياناً بعض كرام الناس مثل الأمراء ، فقد ذكر ابن حزم أن المطرف بن الأمير محمد كان عالماً بالغناء وكان له أخوان عارفين بالغناء جداً<sup>(١)</sup> . ولابن عبد ربه حكاية نقلها الحميدي : « فقد وقف تحت رؤس بعض الرؤساء وقد سمع غناء حسناً فرش بماء ولم يعرف من هو فمال إلى مسجد قريب من المكان واستدعى بعض الواح الصبيان فكتب :

يا مَنْ يَضَعُ بصوت الطائر الغرير      ما كنتُ أحسب هذا البخلَ من أحد  
لو أن أساع أهل الأرض قاطبة      أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد  
فلا تثنُ على سمعي تُقلِّده      صوتاً يحول مجال الروح في الجسد<sup>(٢)</sup>

ولم يكن كثيراً على قاض من القضاة أن يحضر مجلس طرب أو يبدي إعجاباً بغناء جارية أو مغن أو زامر . فقد كان فيهم من أخذ هذه الأمور بصدور واسع<sup>(٣)</sup> ، وإن كان هذا لا يعني أنه لا يجد من يشنع عليه ويتنقص من هيئته . وإذا كان الخبر التالي يدل على مشاركة العلماء والقضاة في الأنس بمجالس الطرب وتذوق الأدب ، فإن فيه مغزى آخر هاماً : هو هذا الجانب من طبيعة الشعب الاندلسي القائم على البساطة والطرافة . روى ابن حزم بإسناده أنه شوهده « قاضي الجماعة محمد بن أبي عيسى في دار رجل من بني حدير مع أخيه

( ١ ) جمهرة أنساب العرب . ابن حزم - تحقيق : ليفي برنيسال - دار المعارف بمصر - صفحة : ٩١ .

( ٢ ) جذرة المقتبس : ٩٥ .

( ٣ ) لابن حزم ( رسالة في الغناء الملهي أمباح هو أم محظور ) انظر رسائل ابن حزم - تحقيق الدكتور احسان عباس : ٩٣ - ١٠١ ( نشر الخانجي بمصر ) .

أبي عيسى في ناحية مقابر قریش وقد خرجوا لحضور جنازة ، وجارية للحديري  
تغنيهم هذه الأبيات :

طابَّت بطيب لثانك الأقداحُ	وزَّهت بِحُمْرة خدك التُّفاح
وإذا الربيع تنسَّمت أرواحه	طابت بطيب نَسيمك الأرواح
وإذا الحنَّادِسُ البست ظلماءها	فضياءُ وجهك في الدُّجى المصباح

قال : وكتبها قاضي الجماعة في يده ثم خرجوا ، قال فلقد رأيتُه يكبِّر  
للصلاة على الجنازة والأبيات مكتوبة على باطن كفه <sup>(١)</sup> .

### المغني والزامر :

وتضاف إلى شخصية المغني صورة شخص آخر له دوره في إقامة الحفلات  
وتطريب الأغاني ، وهي شخصية الزامر . وكانت له رسوم خاصة وهيئة معهودة  
تكون بمثابة المظهر اللازم أو الملائم بالإضافة إلى العمل الأساسي وهو الزمر  
والإنشاد بشعر ما ، ولدينا نموذج يصور زامراً في حفل عرس فيه وصف حاله ،  
وفيه ذكر الشعر الذي كان ينشده . ونقل الحميدي رواية بعضهم : « فلعمري  
بعرس في بعض الشوارع بقرطبة والنكوري الزامر قاعدٌ في وسط الحفل وفي  
رأسه قلنسوة وشي وعليه خَزَّ عبيدي وفرسه بالحلية المحلاة بمسكه غلامه ،  
وكان فيما مضى يزمر لعبد الرحمن الناصر ، وهو يزمر في البوق بقول أحمد بن  
كليب في ( أسلم ) :

أسلمني في هواه	أسلم هذا الرشا
غزالٌ له مقلةٌ	يصيبُ بها من يشا
وشي بيننا حاسدٌ	سيُسالُ عما وشي
ولو شاء أن يرتشي	على الوصل رُوحِي ارتشني

( ١ ) جذرة المغنيس : ٧٠ .

ومعنى 'مُحَسَّنٌ' يسايره فيها (١) . . .

ومن أوجه ازدهار فن الغناء وتنوع أساليبه أن زرياب زاد في الأندلس وترّاً خامساً على أوتار العود بعد أن كان ذا أوتار أربعة فوولت بها الطبائع الأربع ، فزاد عليها وترّاً خامساً أحرّ متوسطاً فاكتسب به عوده اللطف معنى وأكمل فائدة (٢) .

الغناء وكتبه :

تكلّمت طرائق اسحاق الموصلي وزرياب في الأندلس ، وصارت عنواناً للذوق الراقي المتدارس المتسبّع . وقد ورد في ترجمة عقيل بن نصر وهو شاعر أديب ، قديم أن « له أغاني » يجري فيها مجرى الموصلي (٣) . بينما ذكر لأسلم ابن عبد العزيز « كتاب مشهور في أغاني زرياب » (٤) . وصار باستطاعة الأندلسيين بمجاعة أبناء زرياب في الغناء والنسيج على منوالهم واستحقاق إعجاب الناس والأمراء (٥) . وألف أبو زكريا يحيى بن إبراهيم الأصبهني الحكيم المعروف بالخنزوج كتباً كثيرة « أكثرها مختصرات » مما يدل على اهتمامه بالكتب السالفة ، وذكر الرعيّني في ترجمته أن « الخنزوج عرض عليه « كتابه الكبير الذي سماه بالأغاني الأندلسية » (٦) . ولكننا لا نعلم لهذا الكتاب على أمر ، ولو وجد لكشف لنا عن ناحية هامة من نواحي الموسيقى والغناء والشعر والأدب ذات أهمية بالغة . وذكر الكتاب والمؤلف صاحب 'نفح الطيب' نقلاً عن ابن سعيد

١ ( جذوة المقتبس : ١٣٤ .

٢ ( نفح الطيب : ١ : ١٢٢ .

٣ ( جذوة المقتبس : ٣٠٤ .

٤ ( جذوة المقتبس ١٦٢ وانظر ١٣٧ .

٥ ( طبقات النحويين واللغويين : ٢٩٢ .

٦ ( برنامج شيوخ الرعيّني - تحقيق إبراهيم شيوخ - نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق ١٣٨١ - ١٩٦٢ ، صفحة : ١٦٤ . واختلف رسم ( الخنزوج ) بين البرنامج والنسخ .

رسالة ابن حزم في فضل الاندلس ، وأضاف مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة ، ومنها كتب علم الموسيقى ، قال : « وليحيى الخدج المُرسي ككتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لأبي الفرج ، وهو من أدرك المئة السابعة <sup>(١)</sup> » ، وكان هناك اهتمام بالموسيقى الخاصة ان صح القول ، قال ابن سعيد : وأما كتب علم الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي في ذلك فيه كفاية ، وهو في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق واليه تنسب الألحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد <sup>(٢)</sup> ، ولنا أن نخمن أن كتاب يحيى الخدوج هذا جمع أغاني الأندلسيين : ألحانها وأصواتها من شعر وربما من زجل ايضاً ؛ لان قياسه بأغاني أبي الفرج الاصفهاني وتشبيهه به يدل على ضخامته واستيعابه ، وشموله اغاني أهل الاندلس . ومن كتاب ابن باجة نأخذ دلالة هامة ، ولنا ان نفترض ايضاً ان الذوق الاندلسي تطور مع الايام ، وبعد ان كانت الحان الموصلي وزرياب شائعة سائدة ، تبدل الحال ، وسادت الحان ابن باجة الذي يصفه ابن سعيد بأنة « إمام الاندلس في الألحان <sup>(٣)</sup> » .

### موسيقى اندلسية :

وإذا كانت المغنيات والمغنون المشارقة قد أثروا في إشاعة الاشعار المشرقية في البيئة الاندلسية ، فإن تطور فن العناء في الاندلس أخرجه عن التبعية المطلقة ، وجَدَّ فيه جديدٌ خاصٌ به . فقد برع مغنون أندلسيون أهم ما يلاحظ فيهم أنهم من نوابغ الشعراء ، فهم كانوا يغنون من شعرهم ويلحنون لأنفسهم ، وكان لشعرهم ذلك وألحانهم شيوع وذبوع . فمن رجال الذخيرة محمد ابن أحمد بن الحسن الشاعر الكاتب ، قال فيه ابن بسّام : « وله في العروض

١ ( نفح الطيب ٤ : ١٧٦ .

٢ ( المصدر نفسه .

٣ ( المغرب في حلى المغرب ج ٢ : ١١٩ .

تأليف وتصنيف مشهور معروف مزج فيه بين الانحاء الموسيقية والآراء الخليلية<sup>(١)</sup> ، ولعله جاء فيه ببسند ، لان بعض معاصريه كان أنكر عليه آراءه . وفي ترجمة ابن باجة الشاعر الفيلسوف الموسيقي انه مدح ابن تيفلويت ملك سرقسطة ، وانه اكثر من رثائه وغنى بقصائد رثائه في الحان مبكية<sup>(٢)</sup> .

وكان له تلميذ هو ابو عامر محمد بن الحمارة الغرناطي ومن خبره أنه « برع في علم الألحان واشتهر عنه انه كان يعمد للشعراء فيقطع العود ببسده ثم يصنع منه عوداً للغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغني به<sup>(٣)</sup> » . . . ومما يوضح هذا الرأي ويزيده وثوقاً أن الاندلسيين الذين اخترعوا الموشح وضعوا بأنفسهم ألحانه ، ومن ثم ألحان الأزجال ، ويقول ابن سناء الملك عن الموشحات التي خرجوا بها عن أوزان العرب إنها لا ميزان لها إلا التلحين « واكثرها مبني على تأليف الأرغن والغناء بها على غير الأرغن مستعاراً وعلى سواه مجاز<sup>(٤)</sup> » . وفي كل هذا بيان عن الاتصال الوثيق بين الغناء وبين الأدب عموماً ، وعن آثاره المباشرة فيه .

#### ٥ -- الشعر والكتابة :

في فصل لاحق سأحدث عن الذوق الاندلسي في فهم الشعر ، والإقبال على أغراض منه والإعراض عن أخرى ، وسأعرض لتطور هذا الذوق واختلافه وتلاؤمه مع البيئات المكانية والزمانية . وما نحن بسبيله هنا هو بيان إقبال الاندلسيين على الشعر ، ومن ثم الكتابة ، ومكانة الشعر والشاعر ، والكتائب

١ ( الذخيرة القسم الاول - المجلد الثاني : ٢٠١ ، والخبر في نفع الطيب : ٩ : ٢٢٨ .

٢ ( المغرب في حلى المغرب ١ : ١١٩ .

٣ ( المغرب ٢ : ١٢٠ . والشعراء : شجرة تخرج عيداناً شداداً ( اللسان ) .

٤ ( دار الطرار في عمل الموشحات لابن سناء الملك - تحقيق الدكتور - جودة الركابي - دمشق ١٣٦٨ - ١٩٤٩ . صفحة ٣٥ .

وكتابتة ، ودور ذلك في تكوين « بيئة ثقافية » تصلح لأن تُحِيل عليها أنشاء  
فصول الكتاب ، في الحديث عن النقد والنقاد ، والأدب والآداب .

وإذا كان الشعر « ديوان العرب » فيه ما أثرهم وأخبارهم وقصصهم وجمالي  
حياتهم ، فإن ذلك أو ما هو قريب منه يصدق على معظم الشعر الأندلسي ،  
فإنه ديوان حياة الأندلس . وكان للشاعر من المكانة - على اختلاف في  
تقديرها - ما يؤهله لأن يكون ممثلاً لبيئته ومشاركاً في تكوين ثقافة الأندلس .  
والحكم العام الذي يتجاوز بعض الجزئيات أو يأخذ بالغالب الأعم أن نقول كما  
نقل المقرئ : « والشعر عندهم له حظ عظيم ، وللشعراء من ملوكهم وجاهة  
ولهم عليهم حظ ووظائف ، والمُسْجِدُونَ منهم ينشدون في مجالس ملوكهم  
المختلفة ، ويوقع لهم بالصلوات على أقدارهم ، إلا أن يختل الوقت ويغلب الجهل  
في حين ما ، ولكن هذا الغالب ، وإذا كان الشخص بالأندلس نحويًا أو شاعرًا  
فإنه يعظم في نفسه لا محالة ويسخف ويظهر المعجب ، عادة قد جبلوا عليها<sup>(١)</sup> . »

وكانت للكاتب في الأندلس شخصية أكثر ظهوراً في المجتمع وأعظم التقا .  
فقد كانت حاجة السلطان إلى كاتب يعينه في توجيه أمور الحكم أكثر من شاعر  
يطربه ساعة من الزمن . وكان ارتباط خطة الكتابة بالرياسة والسلطان السبب  
الأول في شهرة الكتاب وذبوع صيتهم ، ووقوفهم مع القضاة في موقف متقارب  
من نظر العامة والخاصة من التعظيم والمكانة . وينقل المقرئ أن الكتاب عندهم  
سنى ضربين : « أعلاما كاتب الرسائل وكان له حظ في القلوب والعيون عند  
أهل الأندلس ، واسرف أسمائهم الكاتب وبهذه السمة يُمَيِّزُهُ من يعظمه في  
رسالة . وأهل الأندلس كثير و الانتقاد على صاحب هذه السمة ، لا يكادون  
يففلون عن عثراته لحظة ، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا  
مكانه من سلطانته من تسلط الألسن في المحافل والطمع عليه وعلى صاحبه . »

---

( ١ ) نفع الطيب ١ : ٢٠٧ .



والكاتب الآخر كاتب الزمام : هكذا يعرفون كاتب الجتهبذة ، ولا يكون بالأندلس وبرّ العدوة لا نصرانياً ولا يهودياً<sup>(١)</sup> . . . . . ولعل هذا التقسيم ينطبق على الاندلس بعد مرور فترة من الزمن على الاستقرار الأموي وتدوين الدواوين وضبط أمور الدولة . وذكر لسان الدين بن الخطيب<sup>(٢)</sup> أن الأمير النصري يوسف بن اسماعيل ( ٧٣٤ - ٧٤٩ ) قلده ( كتابة سره ) إضافة الى منحه رتبة الوزارة ، في حين كان كاتبه ( الرسمي ) الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الجيباب ؛ وهذا منصب كتابي آخر . كما تأصلت أيضاً خطة منصب جديد احتفل له في الدولة النصرية ودول المغرب منذ القرن السابع وهو منصب كاتب العلامة وفي ذكر هذا الكاتب ومن تولى هذا المنصب كتاب لابن الأحمر مطبوع<sup>(٣)</sup> .

وقد زاد من مكانة الكاتب أنه كان يصل في بعض من الأحيان الى مرتبة الوزارة لسايبديه من البراعة في تصريف الامور ، أو لسا يكون فيه من المواهب . والمثل مطّرد في مملكة غرناطة اطراداً كبيراً .

هذه مكانة الكاتب ومشاهيرهم ، وسنعرض اطرائقهم وتأثرهم بالمشاركة في فصل آخر أكثر ملاءمة لسير البحث .

---

١ ( فصح الطيب ١ : ٢٠٢ - ٢٠٣ .

٢ ( اللعة البدرية في الدولة النصرية : ٩١ .

٣ ( مستودع العلامة ومستبدع العلامة لأبي الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر - طبع الرباط ١٩٦٤ - بتحقيق : محمد بن تاريت التطواني ومحمد التركي التونسي .

## الأندلسية

استمر الأندلسيون زماناً على الاكتفاء بما يردهم من المشرق من ثمرة الفكر ، ويعنيها من ذلك هنا الشعر والنثر والدواوين والآراء النقدية الأدبية ، والمثمل المحتدأة في ذلك كله . وقد استمر إعجاب الأندلسيين بالمشاركة وبما هو مشرقى إلى آخر عهد المسلمين بالأندلس ، إلا أنه مرت عليهم فترة أحسوا فيها بأنهم ( أندلسيون ) أنجبت بلادهم علماء وشعراء وأدباء وشيوخاً في كل فن ، فالتجهدت إلى ذلك أنظارهم ، ووجد من يقدر أعلامهم حق قدرهم ، وكانت تلك حركة تطاولت مع الزمن ، هي ما نسميها بـ ( الأندلسية ) .

وليس المقصود بالأندلسية ما يتبادر إلى الذهن أحياناً من معنى الإقليمية وتطبيقه على الدراسات الأدبية ، ولا علاقة لها مع نظرية البيئة التي شرحها أحد الباحثين ، وطلب أن يكون أساس تقسيم دراسة الأدب العربي الإسلامي ، هو اختلاف البيئة وتغايرها ووحدة المؤثرات المادية والمعنوية فيها <sup>(١)</sup> . ووجه الاختلاف من ناحيتين : الأولى أن تقصي هذه الفكرة والاحتجاج لها أو عليها له مجال آخر يطول ، وليس من برنامج هذا البحث الإفاضة في ذلك .

---

(١) مصر في تاريخ البلاغة - أمين الخولي - مقالة في مجلة كلية الآداب - مجلد ٢ - جزء ١  
مايو ١٩٣٤ - صفحة ٥ - ٦ .

والثانية أن التدليل على وجود ما يُشعر بالتفات الأندلسيين الى تاريخهم وعلمائهم وأديبهم وتراثهم لا يعني الأخذ بهذه النظرية ، ولا تندرج تحت أحكامها مظاهر تلك « الأندلسية » . ولا يدخل في نطاقها فيما نَصِفُ ونتحدث ما يتبادر الى الذهن من معاني القومية أو الإقليمية بمفاهيم اليوم ، فإن الأندلسيين لم يعتبروا أنفسهم يوماً جنساً آخر غير العرب بمعنى الكلمة العام ، ولا دولة أخرى تختلف عن بقية دول الإسلام . ولئن حصلت منافسة بين الأندلسيين والمشاركة للإثبات الوجود - كما نقول - أو بينهم وبين المغاربة في بعض الأزمان فللاختلاف بين البداوة والحضارة بكل معاني الكلمتين في الأكثر الغالب .

لقد تجلست هذه الأندلسية في شعور واضح باشتكارات الأندلسيين في التأليف والشعر والكتابة والعادات ، والتفات إلى تاريخ الأسداس وجغرافيتها وخصائصها ، وتاريخ علمائها وولاتها وقضائها وكتائبها وشعرائها ؛ ولا يعني ذلك ، ولكن الإشارة القليلة 'نغني' ، وسنكتفي بالإلمام بنصيب الأدب والأدباء وما يتصل بذلك .

استقر العرب في الأندلس ووطنوا النفس على اتخاذها داراً دائمة ، ولكنهم ظلوا ملتفتين بأذهانهم ونفوسهم الى المشرق يستطلعون أخباره ويتسقتطون نوادره ويلحقون بركبه أنسى اتجه ، ولا يُستغرب من الأمير الأموي عبدالرحمن ابن معاوية داخل الأندلس أن يقول في شعره - بعد أن استتب له الإمارة واستقر على كرسيها - إنه يحن الى المشرق والفرات ؛ وكأنه تمنى أن يعيش 'سوقة بين بني العباس في مرابعه على أن يكون أمير غربة' ، وما حاجته إلا فحلة مفردة ! :

يا غُزْلُ أنت غريبةٌ مثلي	في الغرب نائيةٌ عن الأهل
فابكي وهل تبكي مكسبةً	عجباء لم تطبع على خبل

لو أنها تبكي اذن لبكت  
لكنها ذهلت وأذهلني  
ماء الفرات ومنبت النخل  
بغضبي بني العباس عن أهلي<sup>(١)</sup>

ودخل الى الأندلس عدد من المشارقة كان لبعضهم حظ وافر من العلم والثقافة والمقدرة على التلاؤم مع البيئة ، فأثروا - كما سنبين - في ثقافة الأندلس وعاداتهم ، ومهدوا لتثبيت المثل المشرقية في الفكر والأدب وكثير من نواحي الحضارة ، ولكنها لم تكن كل شيء في الحضارة الأندلسية . وإلى جانب مدرسة الشعر ( القديم ) الذي شجعه القالي وصحبه ازدهرت مدرسة الشعر الحديث وظهر منها أعلام كبار .

### البلوطي

وقد بدأت مظاهر شعور بعض الأندلسيين النابيين بأنفسهم بعد استعمار من حولهم بمعرفة قيمتهم ، وعدم التفات المولعين بكل ما هو مشرقى - ومن ثم بالمشاركة أنفسهم - الى هؤلاء النفر البارزين . فظهرت الشكوى من اهتضام الحقوق ، ومن إغفال المبدعين ، كما اتخذ الأمر في بعض الأحيان طريقة التهجين على المشاركة ، والتندر عليهم ، لإيضاح هذا الغرض . ومن هذه الشكاوى ما روي عن خطيب بني أمية : منذر بن سعيد البلوطي ، الشهير ، وكان من خبره أن رسولاً للروم وفد على الحكم المستنصر وخطب بين يديه فانتدب له أبا علي القالي للرد عليه فأرتج عليه وتلعثم ، فابتدر منذر وأنقذ الموقف وأنشد لنفسه في آخر الخطبة :

هذا المقال الذي ما عابه فتند  
لو كنت فيهم غريباً كنت مطسرفاً  
لكن صاحبه أزرى به البند  
لكنني منهم فاغتالي التكد

(١) الحلة السراء لابن الأبار . تحقيق الدكتور - حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة . الجزء الاول - صفحة : ٣٧ .

لولا الخلافة 'أبقى الله بهجتها ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد' (١)

الغزال :

وأقذع يحيى بن حكم الغزال في هجاء زرياب فأزعجه عبيد الرحمن عن الأندلس ، فدخل العراق ، وذلك بعد موت أبي نواس بمدة يسيرة فوجدهم يملكون بذكره ولا يساوون شعر أحد بشعره ، فجلس يوماً مع جماعة منهم فأزروا بأهل الأندلس واستهجنوا أشعارهم ، فتركهم حتى وقعوا في ذكر أبي نواس ، فقال لهم : من منكم يحفظ قوله :

ولما رأيت القوم أكدت سماؤهم      تأبطت زيتي واحتبست إفاثي  
فلما أتيت الحان ناديت ربته      فثاب خفيف الروح لمخوندائي  
قليل هجوع العين إلا تملست      على وجل مني ومن نظرائي  
فقلت أذقنيها ... الخ .

فأعجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له ، فلما أفرطوا قال لهم : خففوا عليكم فإنه لي ، فأنكروا ذلك ، فأنشدهم قصيدته التي أولها :

تداركت في شرب النبيذ خطائي      وفارقت فيه شيمتي وحيائي  
فلما أتم القصيدة بالإنشاد شجلوا واغترقوا عنه (٢) . ومن الطريف أن اندلسياً آخر انتصر للأندلس وشعرها بقصيدة ليحيي الغزال موهاً أن الشعر لأبي نواس على الطريقة نفسها (٣) .

ولم يتورع الأندلسيون عن الغرض من المشاركة الوافدين ، ومنهم العجلي الذي وفد من العراق فمنع كتبه وضمن بها واستدعى الناس إلى أن يملي عليهم فنذب

( ١ ) جذوة المقتبس : ٣٢٦ . ونقله في البغية : ٤٥١ .

( ٢ ) المطرب من اشعار أهل المغرب لابن دحية بتحقيق ابراهيم الايباري وآخرين . القاهرة ١٩٥٤ - صفحة ١٢٨ ، والخبر في نفح الطيب ٣ : ٢٨ نقلًا عن المطرب .

( ٣ ) الجذوة : ٢١٢ .

الناس اليه ، وخلا مجلس عالم أندلسي شهير وقتها هو الخشني ، فاحتال بعض تلامذته ودخل مجلس العجلي وخطبته على مشهد من الحاضرين حتى أعاد الى حلقة الخشني حياتها (١) .

#### ساعد البغدادي :

ومن الامثلة البارزة على ما لقي بعض الوافدين إلى الاندلس من محاولات ( الاختبار ) ووضعه في موضعه الذي يرويه له ، والايقاع به : صاعد البغدادي الذي قدم في زمن المنصور بن أبي عامر وقد كان على علمه مُعْخَرَقاً ، وَضْاعاً « ولما دخل قرطبة دفعوه بالجملة عن العلم باللغة ، وأبعدوه عن الثقة في علمه وعقله ودينه ، ولذلك ما رضىه أحد من أهلها أيام دخوله إليها ولا رأوه أهلاً للأخذ عنه ولا للاقتداء به (٢) » . ولم يثبت أمام الجمع الذي جمعه المنصور للتباحث معه ، ولكنه ظل عنده كالنديم ، إلى- شعر يصنعه وقصص يؤلفها .

#### ابن حزم : رسالته في فضل الأندلس

فإذا بلغنا القرن الخامس وجدنا أبا محمد بن حزم وله رسالة هامة « في فضل الأندلس وذكر رجالها » ، احتفظ بها المقرئ في نفح الطيب (٣) ، وذكر أن أبا محمد وضعها للرد على رسالة أبي علي بن الربيب القروي ( القسيرواني ) التي بعث بها إلى أبي المغيرة بن حزم (٤) ( ابن عم أبي محمد ومعاصره ) يذكر فيها تقصير أهل الاندلس في تخليد أخبار علمائهم ومآثر فضلائهم وسيرملوكهم . ورفع أبو محمد بن حزم رسالته هذه إلى صديقه : أبي بكر محمد بن إسحاق (٥) .

١ ( طبقات الربيعي : ٢٩٨ .

٢ ( الذخيرة القسم الرابع - المجلد الأول - صفحة : ٢ - ٣ .

٣ ( نفح الطيب ٤ : ١٥٥ - ١٧٠ .

٤ ( رد أبو المغيرة على صاحبه برسالة ، في الذخيرة ١/١ : ١١٣ ، ١١٦ مقتطفات منها .

٥ ( جذوة المقتبس : ٤٢ .

بدأ ابن حزم رسالته فذكر أنه وقع في يده كتاب ألفه رجل من مُصَاقبي الأندلس أخذ فيه عليهم إهمال الأندلسيين لذكر علمائهم . . وأنه لقي من شجته على التأليف في الرد عليه . قدّم الحديث بمن ألف في مآثر الأندلس وأولهم أحمد ابن محمد الرازي التاريخي ، وقال إن قرطبة مع سرّ من رأى في إقليم واحد « قلنا من الفهم والذكاء ما اقتضاه إقليمنا <sup>(١)</sup> » . وأقام دراسة مقارنة لطيفة خرج منها إلى أن « ينسب الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكنائها إلى أن مات <sup>(٢)</sup> » . وهو على هذا يضيف القالي إلى الأندلسيين ، ولا ينازع في محمد بن هانيء « الأندلسي » . وجأر بالشكوى من إعراض أهل الأندلس عن علمائه لأن أزهد الناس في عالم أهل « ولا سيما أندلسنا فإنها خُصت من حسد أهلها للعالم الظاهر فيهم الماهر منهم واستقلالهم كثير ما يأتي به » ، واستهجانهم حسناته وتبشعهم سقطاته وعثراته وأكثر ذلك مدة حياته بأضعاف ما في سائر البلاد <sup>(٣)</sup> . وهو هنا يقيس على ما حوله ويطبّق على نفسه وما لقي من أهل عصره . وعدد تأليف الأندلسيين في التفسير مثل تفسير القرآن الكريم لبقّي بن مخلد « فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله » ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره <sup>(٤)</sup> . وذكر تأليفهم في أحكام القرآن وعلوم الشريعة وكتب السنة ، وكتبهم في اللغة . وذكر كتباً ألّفت في الشعر مثل : كتاب عبادة بن ماء السماء في أخبار شعراء الأندلس ، وكتاب الحدائق لأبي عمر أحمد بن فرج الجيتاني الذي عارض به الزهرة لداود الأصفهاني ، والتشبيهات من أشعار أهل الأندلس « صنعه علي بن محمد الكاتب . ونوّه بشرح ابن الأفلح الديلمي على ديوان المتنبي وقال فيه إنه حسن

١ ( نفح الطيب : ١٥٧ : ٤ ) .

٢ ( نفح الطيب : ١٥٩ : ٤ ) .

٣ ( نفح الطيب : ١٦١ : ٤ ) .

٤ ( المصدر نفسه : ١٦٢ : ٤ ) .

جداً<sup>(١)</sup> ثم تحدث عن بحث الأخبار المتعلقة بتاريخ الأندلس ، وكتب الطب ، والفلسفة ، والعدد ، والهندسة ، وعلم الكلام . وعاد إلى استكشاف ما يصدر عن الأندلسيين « وبلدنا هذا على بعده من ينبوع العلم ونأبه عن محلة العلماء فقد ذكرنا من تأليف أهله ما إن يُطلب مثلها بفارس والاهواز وديار مضر وديار ربيعة واليمن والشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق التي هي دار هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها<sup>(٢)</sup> » . وختم الرسالة بفضائل الأندلس من حيث كمن فيها من الأدباء ، وقسم شعر الأندلسيين إلى قسمين : فمنه ما يجري على مذهب الأوائل ومنه ما يتبع طريقة المحدثين ؛ ودخل في موازنة شعراء الأندلس وأدبائها مع المشارقة مساوياً أو مرجحاً . وله في هذا نظرات صائبة ، فقال إن ذكر أبو الأجرم جمونة بن الصّمة الكلّابي لم يُبأ به إلا جريماً والفرزدق لكونه في عصرهما ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جارٍ على مذهب الأوائل<sup>(٣)</sup> . ووصل إلى المحدثين من الشعراء فقال « ولولم يكن لنا من فحول الشعراء إلا أحمد بن محمد بن درّاج القسطلي لما تأخر عن شأو بشار وحبيب والمتنبي ، فكيف ولنا معه جعفر بن عثمان الحاجب وأحمد بن عبد الملك بن مروان ، وأغلب بن شعيب ومحمد بن شخيص وأحمد بن فرج ، وعبد الملك بن سعيد المرادي وكل هؤلاء فحلّ بهاب جانبه ، وحسان ممسوح الغيرة<sup>(٤)</sup> » ، وختم بذكر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، ومحمد بن مسرة .

ووصل ابن سعيد رسالة ابن حزم فذكر المؤلفات التي خلفها الأندلسيون بعد عصر ابن حزم ممّا رأى فيه طرافة وابتكاراً ومما يُفأخر به . واتخذ الطريقة نفسها من عرض الكتب حسب موضوعاتها ، وذكر أسماء المؤلفين ، ومنزلة

١ ( نفع الطيب : ١٦٦ .

٢ ( المصدر نفسه : ١٦٩ .

٣ ( المصدر نفسه : ١٦٩ .

٤ ( المصدر نفسه : ٤٣ : ١٧٠ .



الكتاب من فنه بين الصكيب الأخرى .

### المقارنات :

ومن واقع الصلة بين الأندلس والمغرب نشأت مفاضلات ومفاخرات بين البلدين فقد كانت الأندلسيون يتعصبون دائماً لبلدهم ويفضلونه على غيره يجوه وإقليمه وعلمائه وتراثه . ومن ذلك رسالة المفاضلة التي كتبها أبو الوليد الشقندي <sup>(١)</sup> مناظراً أبا يحيى بن المعلم الطنجي بعد أن تنافسا مشافهة : " كل " يفضل بلده : فهذا الأندلس والثاني : بر العدو . وكان الشقندي معاصراً لدولة المرابطين حيث كانت الرياسة للمغاربة على الأندلسيين فكان في هذه الرسالة ما يشفي بعض الصدور لما رأوه من ذهاب الملك عنهم وانتقال السلطان إلى سواهم . وتبدأ الرسالة بمفاخرة عامة وانتصار للأندلس بما فيها ، بلهجة خطابية بالغة ، ثم فاضله بالعلماء وعدة أئمة في الفقه والسنّة والقرآن ، والنحو واللغة والأدب ، فمن ذلك قوله « وهل لكم في حفاظ اللغة كابن سيده صاحب كتاب ( المحكم ) وكتاب ( السماء ) ، العالم الذي إن أعمى الله بصره فما أعمى بصيرته . وهل لكم في النحو مثل أبي محمد بن السّيد وتصانيفه ومثل ابن الطراوة ومثل أبي علي الشلوبين .. وهل لكم في علوم اللّحون والفلسفة كابن باجة » <sup>(٢)</sup> واعتصب بعدد من الشعراء فائز عليهم واختار لهم الأبيات القليلة مما استحسّن ، ووصف ما اختاره بالإبداع والحسن والاختراع . وعرج على فرسان الأندلس وأورد نخباً من ما قرء ، وتحدث عن بعض شمائل أهل الأندلس ، ومرّ على بعض المدن الأندلسية فعدد خصائصها ومحاسنها كاشبيلية وقرطبة وجيّا وغرناطة ومالقة .

ويلحق بهذه الرسالة من بعض وجوهها رسالة أسان الدين في المفاضلة بين مالقة ( الأندلس ) وسلا ( المغرب ) وقد سبقت الإشارة إليها . وكتب

١ ( نفح الطيب ) : ١٧٧ - ٢٠٨ .

٢ ( نفح الطيب ) : ١٨٢ .

بعض الأندلسيين رسائل في خصائص مدنها واستعراض محاسنها على سبيل المفاخرة والموازنة . ومن هذه الرسائل : رسالة أبي بحر صفوان بن إدريس ، ورسالة لسان الدين بن الخطيب .

#### تقليد المشاركة :

وكان ولع الأندلسيين بكل ما هو شرقي عجباً ، فقد احتالوا في اقتناء الطشرف والجواري والمغنيات والكتب مما جاءهم من المشرق . وقد تُصنِّع لهم الأشياء خصيصاً بناء على طلبهم . وقد اشترى الحَكَم كتاب أبي الفرج الأصبهاني ( الأغاني ) بألف دينار وهدايا كثيرة .

ومن ذلك أنهم سموا كثير أمن مدن الأندلس بأسماء مدن مشرقية لما رأوه من صلة وتشابه بين خصائصها . ونقل المقرئ أن أبا الخطار حسام بن خطار الكلاني كَتَبَ أهل الشام عنده ولم تحملهم قرطبة ففرقهم في البلاد وأنزل أهل دمشق إلىبيرة لتشابهها وسماها دمشق ، وأنزل أهل حص إشبيلية وسماها حص وأهل قنسرين جيان وسماها قنسرين ، وأهل الأردن ربة ومالقة وسماها الأردن ، وأهل فلسطين شَدُونَة وسماها فلسطين . وأهل مصر تدمير وسماها مصر .

وقد وُجد من ينسب إلى الأندلس متنبئياً وبخترها ومعرباً بشكل يدعو للتوقف والنظر ، فإن الأسماء كثيرة ، وعملية المقارنة استمرت زماناً وانتحلها كتاب كثيرون وانتقلت العدوى إلى المشرق فوجد فيهم من يسلك السبيل نفسه كالثعالبي . فابن اللبابة هو د سموأل الشعراء ( المغرب ٢ : ٤١١ ) ولحمدة بنت زياد : خنساء المغرب ( المغرب ٢ : ١٤٥ ) وأبو الأجر جعونة الكلبي عنقرة الأندلس ( المغرب ١ : ١٣١ ) وكانوا يقولون عن الرمادي ( فُتِحَ الشعر بكندة وختم بكندة ) الجلوة ٣٤٦ ، البغية ٣٧٨ ) وأبو الربيع سليمان بن علي الشهير بكثير ( الرايات : ٢٩ ) والزبيدي : ابن دريد ( النفح ٥ : ٢٤ ) والكاتب محمد بن سعيد الزجاجي يلقب بالأصمعي ( النفح ٥ : ٨٢ ) ومؤمن بن سعيد : دعبل

الاندلس ( المغرب : ١/ ١٣٢ ) وأبو بكر محمد الأعمى الخزومي بشار الاندلس ،  
وقد أحى سيرة الخطيئة ( المغرب : ١/ ٢٢٣ ) وشبهوا سيرة المعتمد بن عباد مع  
شاعره ونديه ابن عمار بسيرة الرشيد مع جعفر بن برمك ( المغرب : ١/ ٣٨٩ )  
وشبهوا أحمد بن محمد الجياني المعروف بتيس الجن بأنه يجري في وصف البحر  
يجري أبي علي الحسن بن هاني ( الجذوة : ١٠٧ ) ، وسماه في المغرب ديك تيس  
الجن ٢ : ٥٨ ) ، والرصافي : ابن رومي المغرب ( ٢ : ٣٤٣ ) ونقل المقرئ في  
النفح أن مروان بن عبد الرحمن الطليق كان في بني أمية شبه عبدالله بن المعتز  
في بني العباس بملاحة شعره وحسن تشبيهه ( ٥ : ١٢٤ ) . وقد يجدون للرجل  
أكثر من شبه لديهم فابن زيدون ، بجري الاندلس ( الذخيرة ١-١ : ٣٢٦ )  
وأبو عبد الله بن جبر بجري الاندلس أيضاً ( الرايات : ٧٨ ) وأبو العباس أحمد  
ابن عبد الله التطيلي الأعمى : معري الاندلس ( الرايات : ٨٩ ) ويرى  
كرتشكوفسكي أن الصلة بينهما هي العمى فحسب : ٨٥ ) وابن دراج القسطلي :  
متني المغرب ( عن اليتيمة في النفح ٤ : ١٨٤ الرايات : ٧٣ ) . وكذلك ابن  
هاني الاندلسي هو عندهم متني الاندلس . وأبو الحسن علي بن اسماعيل القرشي  
الاشبوني « كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه (الذخيرة القسم الثاني) (المخطوط)  
٢٦٢/ظ ) . وابن خفاجة : صنوبري الاندلس ( النفح ٥ / ٣٥ (١) ) . والعدد  
للمحصى كثير ، وهذه كانت نماذج من عصور متنوعة تدل على هذا الانكباب  
على المشرق وأعلامه .

#### دعائم الأندلسية :

ولكن هذا كله كان يطوي في بعض الاحيان شعوراً غامضاً أو بارزاً بتفوق  
الاندلسيين فهم بدأوا بإثبات المائلة والمجاعة إلى تحقيق التفوق والمباهاة . فابن  
حزم يريد أن يحتج في اللغة بأندلسيين معاصرين لجرير والفرزدق ، وابن شهيد

( ١ ) وذكر ابن سعيد في هذه الاجزاء والانتقابات أنهم « كانوا يلقبون شعراءهم ويقاربون بينهم  
وبين شعراء المشرق لأسباب تتعلق بشعرهم ونقط اجادتهم » ولعل هذا هو الغالب وان  
لم يكن دائماً مطابقاً للمشابهة والمضاهاة .

يتفوق على المشاركة في رسالة التوابع والزوابع ، ونقلوا عن المتنبي إعجابه بشعر ابن عبد ربه وقوله لقد تأتيتك العراق حبواً ( النفح ٥ : ١٠٤ ) <sup>(١)</sup> وصاحب الذخيرة يفخر بالاندلسيين ويؤري بالعالبي ورجاله في اليتيمة ( الذخيرة ١-١ : ٣٢٠ ) وتداول الاندلسيون دواوين شعرائهم ووُجد من يجمع كثير أمنها كالحميدي فقد جمع ديوان ابن حزم ، والسمرقسطي جمع شعر ابن عمار ، وابن الخطيب ركب ديوان ابن الجياب ؛ وحبيب بن أحمد الشطجي جمع ديوان الغزال ورتبه على الحروف ( الجذوة : ١٨٧ ) . وشاعت دواوين شعرائهم وكتب المختارات التي كانوا ينتقون فيها من أحسن كلامهم كالذخيرة والقلائد والمطمع وزاد المسافر وتحفة القادام ، والبديع . وصارت لهم في بعض الفنون طرائق مميزة يدركونها كالسرعة الخفاجية نسبة الى أبي اسحاق بن خفاجة جنات الاندلس ، فقد حمل عند أبو بكر بن زهر ديوانه ( زاد المسافر : ٥٥ ) <sup>(٢)</sup> . وحذا ابن الزقاق على طريقة ابن خفاجة في شعره <sup>(٣)</sup> .

وَألف الاندلسيون مؤرخين لأمتهات مدنهم : جغرافيتها وتاريخها وخصائصها وترجموا فيها مشاهير الأعلام . وكان المؤلف يترجم لأعلام مدينته ، ويضمخ عدد التراجم بل أكثر معظم من ألم بتلك المدينة ، فيكون ذلك داعية الى إيراد أسماء كتب المترجم به وشيوخه وتلاميذه ، وإيراد نسب من شعره وترسله ، فهي لاحقة بكتب التراجم من جهة ، وتعد في كتب تاريخ الأدب من جهة أخرى ، إضافة الى فوائد أخرى من جوانب متعددة . والمثال البارز لوجوده بين أيدينا - كتاب الإحاطة - أو هو مختصرة - الذي وصفه لسان الدين بن الخطيب في أخبار غرناطة . وذكر في مقدمة كتابه الكتب التي سبقته

١ ( ونقل في الذخيرة - القسم الثاني ( المخطوط ) ٢ : ١٧٠ / ط عن المتنبي أنه قال عن

( ابن هذيل الأنديسي ) بعد أن سمع نماذج من شعره : ه هذا شعر القوم .

٢ ( وغيره كثيرون انظر مقدمة الديوان ٨ - ٩ .

٣ ( المغروب ٢ : ٣٢٣ .

في تواريخ مدن الأندلس ، وإن كثرتها لتثير الإعجاب وتدهو الى التأمل <sup>(١)</sup> .

#### معارضات :

ولدينا مكتب وضعوها اختصاراً لمكتب مشرقية - اهتماماً بها - ومكتب أخرى معارضة لبعض الكتب . فابن فرج الجياني وضع كتابه ( الحدائق ) معارضاً كتاب الزهرة لداود الأصفهاني ( الصلة : ١ : ٥ ، الرايات : ٧٢ ) والطرطوشي عارض احياء علوم الدين للغزالي ( البغية : ١٢٥ ) وأبو القاسم عامر بن هشام الأموي القرطبي وضع مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد ( برقامج شيوخ الرعيبي : ١٩٧ ) وأبو عبدالله بن أبي الخصال عارض مبهج الشعالي بكتابه المنهج ( فهرسة ابن خير ٣٨٦ ) وكان لكتاب يتيمة الدهر للشعالي شهرة عظيمة في الأندلس لما فيه من نماذج مشرقية ، وهذا ما دعا ابن بسام الشنتريني ( ٥٤٢ ) لأن يؤلف كتابه ( الذخيرة ) ليضمنه محاسن أهل جزيرة الأندلس ويعارض كتاب الشعالي <sup>(٢)</sup> . ومثل ابن بسام صنّع أمية بن أبي الصلت ( ٥٤٦ ) وكان معاصراً له ، ورحل الى المشرق وألف كتاباً منها « كتاب الحديقة على أسلوب كتاب اليتيمة » <sup>(٣)</sup> . وكان همّ كثير من الكتاب إثبات تقدم الأنداسيين ، كابن سعيد صاحب المغرب إذ ذهب « مذهب المعارضة للمشاركة فلم يترك لبلدة من بلاده طرفة بديعة من طرف الشعر ولا تحفة نفيسة من تحف الموشحات والأزجال إلا جاء بها معارضاً متحدياً متجاوزاً في ذلك حد المحية الى حد العصبية <sup>(٤)</sup> » .

#### الموشح :

وقد أحدث الأندلسيون في الشعر فناً جديداً كان وليد بيئتهم ومن اختراع شعرائهم هو فن الموشح ، وينص ابن بسام على هذا بقوله « وكانت صنعة التوشيح

١ ( الاحاطة - طبعة دار المعارف بمصر - الجزء الاول : ص ٩١ .

٢ ( مقدمة الذخيرة ( ١ - ١ ) .

٣ ( المغرب : ١ : ٢٥٦ .

٤ ( مقدمة الدكتور شوقي ضيف لكتاب المغرب - صفحة ( ز ) .

التي نهجَ أهل الأندلس طريقةً ووضعوا حقيقةً غير مرقومة البرود ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة هذا منادها وقوّم ميلها وسنادها .. وهي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب تُشقى على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفئنا واخترع طريقةً فيها يلغني محمد بن حمود القهري الضرير <sup>(١)</sup> . . . وسأعود الى التفصيل في أمر الموشح وموقف الشعراء والنقاد منه في فصل آخر إن شاء الله .

### الأمثال :

ومن دلائل اختصاص الأندلس ، ومظاهر استقلال الشخصية الأندلسية الأدبية انه — مع الزمن — أخذت الأندلس تستقل في أمثالها ، وفي طبيعة لهجتها ولغتها <sup>(٢)</sup> . ففي أمثال عندهم أسماء وعبارات واستعمالات تسدل دلالة قاطمة على أنها وليدة البيئة الأندلسية ، مثل ( ما هذا إلا أبو حَرشَن ) و ( أفصح من بكر الكناني ) ، و ( أفصح من الرشاش ) وهذه أسماء مؤدبين ولغويين من قدامى الأندلسيين . أما ظاهرة الاستقلال اللغوي فالمقصود بها تميز اللهجة الأندلسية الدارجة ونحوها مع الزمن ، إضافة ما الى جد في البيئة الأندلسية عامة من تعبيرات ومصطلحات لو سمعها أهل المشرق لما عرفوا مدلولها ، مثل كلمة المسدّد أي الحاكم الذي يتولى شؤون بلدة صغيرة والقطيع للضريبة التي يؤديها المسلمون في بلاد الأندلس وبخاصة بعد الفتنة .. وكان لطبيعة أهل البلاد المؤلفين من عرب وبربر ومن أهل البلاد الأصليين أثره في ظهور لغة سائدة — الى جانب اللغة العربية ( الفصيحة ) يسمونها ( الأعجمية ) ومنها ثلاث لهجات كبرى هي الأرغونية والبلنسية والفشتالية . واستقصاء ذلك يخرج عن طبيعة البحث ، ولكن المقصود هو الإشارة إلى أن الأندلس تها لها من الأسباب ما جعلها تتميز وتنفرد ببعض الخصائص .

( ١ ) الذخيرة ١ - ١ صفحة ١

( ٢ ) تاريخ الادب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة - الدكتور احسان عباس صفحة ٦٤ - ٦٥ .

## الثقافة في الأندلس

بدأت الأندلس الإسلامية ولاية تابعة لعاصمة الدولة الأموية في دمشق . وكان الولاة يخرجون من الشام اليها ويحكمون هناك باسم الخليفة الأموي ويرمون عن قوسه في السلم والحرب . واضطرب الحبل سنوات قليلة فيما بين ضعف الدولة الأموية وبين ورود عبد الرحمن بن معاوية على المغرب ثم الأندلس ، فتولاها عمال من إفريقية أو رؤساء موقتون ، حتى قامت دولة الداخل على ساقها ، بعد أن ألقى عصا التسيار .

ومعلوماتنا عن هذه الفترة فيما بين الفتح وبين استتباب الأمر للدولة المروانية قليلة نزره ، تستأثر بها أسماء الولاة ، وتفاصيل الفتح ، وتواريخ الغزوات في بلاد الفرنجة ، والنظر في العود إلى المشرق عن طريق رومة والقسطنطينية ، ولكننا مع هذا لا نعدم لمحات قليلة وإشارات معبرة عن سير الحركة الأدبية في هذه الفترة من الزمن فقد كان أبو الأجرى جعونة الكلابي مداحاً للصميل بن حاتم - وهو أحد رؤوس المضرية في الأندلس يوم نزاعهم مع اليبانية - « أفنى فيه قوافيه ، وكان الصميل أغاظ القسم على نفسه ألا يراه إلا أعطاه ما حضره ، فكان أبو الأجرى يعتمد إغراب لقائه ، وكان لا يزوره إلا مرتين في العيدين . وكان فارساً شجاعاً يدعى عنقرة الأندلس<sup>(١)</sup> . . » وفي الخبر نفسه إشارة أخرى متممة عن

---

(١) المغرب : ١ : ١٣١ .

معلم صبيان يعلم تلاميذه القرآن الكريم ، كان له به الصميل .

### المساجد والمدارس :

كانت المساجد هي دور العلم في الاندلس ، فإنه لم تنشأ فيها المدارس المستقلة إلا في زمن متأخر في عهد دولة بني نصر ، ففي أيام يوسف بن اسماعيل ابن نصر « بنيت المدرسة المجيبة بكر المدارس في حضرته ، قتمت وكتلت أوقافها <sup>(١)</sup> » . وظل المسجد في الغالب المصدر الأول لتلقي العلوم والآداب ، وبخاصة علوم الشريعة . وكانت فئة من الأمراء والكبراء تجتلب لأبنائها المدرسين والمؤدبين ؛ ولكن هذه حالات قليلة لا تغير من الأصل الشائع . وفي صلة ابن بشكوال خبر هام ، عن شيخ كان يؤمه القاصدون للمسلم من بلدان مختلفة ، وكان عددهم نحو صف (فصل) كامل يتلقون دروسه ، وينعمون عنده في فصل الشتاء بشهوره القاسية الماحلة بالدفء والغذاء ، فنقل عن أحدهم قوله « كنت آتي إلى - أحمد بن سعيد بن كوثر الانصاري في طليطلة - من قلعة رباح وغيري من المشرق ، وكذا نيفاً على أربعين تلميذاً ، فكنا ندخل في داره في شهر نوفمبر ودجنبر وينير في مجلس قد فرش ببسط الصوف مبطنات ، والحيطان باللبود من كل حول ، ووسائد الصوف ، وفي وسطه كانون في طول قامة الانسان مملوءاً فحماً يأخذ دفاؤه كل من في المجلس فاذا فرغ الحديث أمسكهم جميعاً وقدمت الموائد عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب ، وأيام ثرائد باللبن بالسمن أو الزبد فنا كل حق نشبع منها ، ويقدم بعد ذلك لونا واحداً ونحن قد روينا من ذلك الطعام فكنا ننطلق قرب الظهر مع قصر النهار ولا نتعشى حتى نصبح إلى ذلك الطعام ، الثلاثة الأشهر ، فكان ذلك منه كرماً وجوداً وفخراً لم يسبقه أحد من فقهاء طليطلة إلى تلك المكرمة <sup>(٢)</sup> » . ولا شك في أن مثل هذه الحالة قليلة ، ولكن دلالتها أبعد مرمى ، فقد وجد فقهاء وعلماء يفتحون منازلهم للعلم ، بالإضافة إلى دور المساجد في ذلك .

١ ( اللمحة البدرية في الدولة النصرية - لابن الخطيب : ٩٦ .

٢ ( الصلة لابن بشكوال ١ : ٣٧ . طبعة الدار المصرية .



## أثر الحكم :

وكان للحكام دور فعال في تنمية الثقافة ، وتطويرها والتشجيع عليها . وكان من أهم الأمور اقتناء الكتب وبخاصة الشرقية منها ، وإضافتها إلى المكتبات وبشها في أيدي العلماء والمتعلمين . وكان الحكم المستنصر مثلاً نادراً للخليفة الذي تشغله الدولة ، وتشغله أيضاً رغبته في العلم واقتناء الكتب والإشارة بتأليف الكتب في موضوعات يقترحها ؛ « ولم يُسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في إهداء الكتب والدواوين وإيثارها والتهتم بها . أفاء على العلم ونوه بأهله ورغَّب الناس في طلبه ووصلت عطاياه وصلاته إلى الأمصار النائية عنه . وبعث إلى أبي الفرج الأصبهاني القرشي المرواني ألف دينار عيناً ذهباً ، وخاطبه يلتمس منه نسخة من كتابه الذي ألّفه في الأغاني وما لأحد مثله .. فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق أو بنسخة أحد منهم . وألف له أيضاً أنساب قومه بني أمية<sup>(١)</sup> .. » وكان له ورّاقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التوالمف ، ورجال يرجعهم إلى الآفاق عنها . وذكر صاحب الحلة السّيراء أسماء بعض ورّاقيه . ونقل عن ابن حزم أن عدد الفهارس التي كانت في مكتبة الحكم لتسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين فقط<sup>(٢)</sup> . وكان لعبد الله أخي الحكم هذا مكتبة ضخمة آلت إليه بعد مقتله<sup>(٣)</sup> .

استمر الازدهار الثقافي إلى آخر بني أمية - وفيها الدولة العامرية وتشجيع المنصور بن أبي عامر - ونشأت دول الطوائف ، وقد سبقت الإشارة إليها . ونضيف الآن أن كل دولة من هذه الدول حاولت أن تكون بؤرة ثقافة وهالة رياسة ، وإن اختلف نوع الثقافة المسيطرة . فبنو عباد للادب والأدباء وفي بلاطهم شعراء كبار كابن عمار ومنهم أنفسهم شعراء وأدباء . وكان للمعتمد في الادب باع وساع ينظم وينشر . وفي أيامه نفقت سوق الادباء فتسابقوا

( ١ ) الحلة السّيراء - ج ١ : ٢٠٠ - ٢٠١ . ( ٢ ) المصدر نفسه : ٢٠٣ .

( ٣ ) المصدر نفسه : ٢٠١ .

اليه وتهافتوا عليه <sup>(١)</sup>. وكان المعتصم بن صمادح التشجيبى « يعقد المجالس بقصره للمذاكرة ، ويجلس يوماً في كل جمعة للفقهاء والخواص فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث ، ولزم حضرته فحول من الشعراء كابن الحساد وابن عبادة وابن مالك <sup>(٢)</sup> .. وكان محمد بن أحمد بن اسحاق بن زيد بن طاهر القيسي صاحب تدمير جواداً ممدحاً ينتجعه الشعراء ويقصده الأدباء <sup>(٣)</sup> . وكان أحمد بن رشيق الكاتب على ميورة مقدماً من مجاهد العامري واشتهر عنه أنه « يشتغل بالفقه والحديث ويجمع الصالحين ويؤثرهم وهو آوى الفقيه أبا محمد بن حزم <sup>(٤)</sup> . واثن بدأت دولة المرابطين عسكرية بدوية فلما سرعان ما تأقلمت مع الجو الأندلسي ، وازدهر الأدب والشعر . ولا شك في ان الدراسات عموماً لم تتأثر بالتغير السياسي بمثل ما تتأثر به الحياة العامة ، لأنها عادة حلقات مستمرة متلاحقة يغذيها العلماء والوافدون من المشرق والآيرون من رحلات الحج والعلم والتجارة ، فاشتهر كتاب كبار وشعراء ذاع صيتهم . واستقدم علي بن يوسف بن تاشفين من كبار كتاب الأندلس نفراً كثيراً ، « ولم يزل أمير المسلمين من أول امارته يستدعي أعيان الكتاب من جزيرة الأندلس ، وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع للملك <sup>(٥)</sup> كابن الجداوين القبطرنة وأبي عبد الله بن أبي الخصال وأخيه أبي مروان وابن عبدون ..

واستمر الحال من تشجيع الدولة للعلم والمتعلمين في دولة الموحدين أيضاً . فكان عبد المؤمن - أول أمراءهم - مؤثراً لأهل العلم محباً لهم محسناً اليهم يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته ويحري عليهم الأرزاق الواسعة ويظهر التنوية بهم والاعظام لهم ، وقسم الطلبة طائفتين : طلبة الموحدين وطلبة الحضر بعد أن تسمى المصامدة بالموحدين <sup>(٦)</sup> . وعظمت مكانة الشعراء عند الموحدين وكثروا كما تقدم في فقرة سابقة . وكان أبو يعقوب يوسف ( ابنه )

١ ( الحلة السيرة . ج ٢ : ٥٥ . ٢ ( الحلة السيرة - ج ٢ : ٨٢ - ٨٣ .  
٣ ( الحلة : ١١٩١٢ . ٤ ( الحلة : ٢ : ١٢٨ . ٥ ( المعجب : ٢١٧ .  
٦ ( المعجب : ٢٦٩ .

بعيد المهمة سخياً جواداً . . مع إيثار للعلم شديد وتعطش إليه مفرط . . وكان له مشاركة في علم الادب واتساع في حفظ اللغة وتبحر في علم النحو<sup>(١)</sup> . ودفعه طموحه العلمي الى معرفة الفلسفة ، فصاحبه من علمائها : أبو بكر محمد بن طفيل أحد فلاسفة المسلمين ، ونبيه علي أبي الوليد بن رشد فقريه وأكرمه .

### الآثر المشرقي :

هذا وجه من وجوه تقدم الثقافة وازدهارها ، ذلك هو أثر الدولة في الثقافة ومناحي العلم والمعرفة . ولكن هل كان هذا هو كل شيء عن الثقافة في الاندلس؟ لا بد من وقفة عند أثر الوافدين على الاندلس في صبغ بعض وجوه الحياة الاندلسية بصبغة مشرقية ، وتثبيت بعض القيم الفكرية والحضارية ، وتوجيه الدراسات الادبية وجهة معينة . والاستقصاء صعب وغير عملي ، ويُغني في ذلك نماذج قليلة ندرسها ونحللها . وقد أورد المقرئ في النفع في الجزأين الثالث والرابع تراجم كثيرة وفيرة لمن رحل عن الاندلس إلى المشرق استقراراً ، أو لطلب العلم والحج والسمع - وهم الأكثر - ولمن وفد على الاندلس من أهل العلم والادب . ويستشف المرء من هذه التراجم مدى الأثر الذي تركه المشرق في الاندلس ، ويتبين مدى الصلة التي كانت تربط بينهما وإن كانا في الإدارة والسياسة في بعد واختلاف .

في سنة مئتين وست قدم إلى الاندلس من العراق علي بن نافع المعروف بزياب مولى المهدي العباسي وتلميذ اسحق الموصلي ، فلقني حفاوة بالغة ، اذ تلقاه عبد الرحمن الأوسط<sup>(٢)</sup> ، وأنزله في دار من أحسن الدور ، ووفر له مرتباً ومؤونة واقطاعات كثيرة . ولما سمعه عبد الرحمن وناداه زاد إعجابه به وعكست مكانته لديه وفتح له باباً خاصاً يستدعيه منه متى أراد<sup>(٣)</sup> . ويبدو أن زياب استطاب المقام واستقرت نفسه بما اثنال عليه فمكف على ألقائه وآلاته ،

( ٢ ) نفع الطيب ١ : ٣٢٢ .

( ١ ) المعجب : ٣١٠ - ٣١١ .

( ٣ ) نفع الطيب ٤ : ١٢١ .

واستنبط شيئاً جديداً في آلة الغناء التي برع فيها . فزاد في أوتار عوده وترأ خامساً اختراعاً منه <sup>(١)</sup> . واخترع مضرباب العود من قوادم النسر معتاضاً به من مُرَهَف الخشب . وكملت شخصية زرياب بأنه لم يكن مغنياً فحسب ، بل كان نديماً من الدرجة الاولى ، وكان عالماً بالنجوم وقسمة الاقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها <sup>(٢)</sup> ، إلى جانب علمه في الموسيقى وحفظه عشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بالحنها - كما ينقل المقري - وحمل زرياب مع ما حمل من المشرق نماذج وعادات وطرائق في آداب السلوك والمآكل ومعاشرة الملوك وأصول المنادمة وأنواع اللباس وأشياء كثيرة تدخل في باب الحضارة وزيادة التأنق في أساليب التمدن ؛ فقد ورث بغداد حضارة بني أمية وأضافت إليها ما استنبطته استناداً إلى ما صاقتها من حضارات الفرس وغيرهم . وإن الناظر في قائمة بأسماء اقتباسات الاندلسيين مما أحدثه زرياب ليعجب من كثرتها وتنوعها ، ولعل الأهم من ذلك أنها استمرت زماناً طويلاً مُسَلِّماً بها ، مقصوداً اتباعها والاخذ بها ، وصار كل ما جاء به مستمراً ، إلى آخر أيام أهل الاندلس ، منسوباً اليه <sup>(٣)</sup> .

اتخذ الاندلسيون ( زرياب ) ومن معه من أسرته وحاشيته قدوة ، وقلدوه في كل ما أحدثوه لديهم مثل قص الشعر وتطبيب الاجسام وتنويع المآكل والمشارب . وقد أشاع فيهم تفضيل آنية الزجاج على آنية الذهب والفضة ، ولبس كل صنف من الثياب في الزمان الذي يليق به . وأحدث في مراسم ( طرائق ) الغناء أنماطاً بقيت مقلدة ومتبعة طوال عهد الاندلس . واستمر بالاندلس أن كل من افتتح الغناء ، فيبدأ بالنشيد أول شذوه بأي نقر ويأتي إثره بالبسيط ، ويختم بالمحركات والاهزاج تبعاً لمراسم زرياب . وقد أسلفت الحديث عن أغاني زرياب ( المقطعات الملحنة ) وشيوعها وحفظها .

( ٢ ) نفح الطيب : ١ : ١٢٣ .

( ١ ) نفح الطيب : ٤ : ١٢٢ .

( ٣ ) نفح الطيب : ١٣٣ .

## مَثَلٌ من الوافدين :

وقبل أن نعرض للتراث المشرقي في انتقاله إلى الأندلس أحب أن أقف وقفة أخرى عند شخصية هامة ذات أثر واسع مثل أثر زرياب في الأهمية ، تلك هي شخصية أبي علي البغدادي <sup>(١)</sup> . قدّم أبو علي على الأندلس في خلافة الأمير عبد الرحمن الناصر ، وتلقاه الحكم ولي العهد بما هو معروف عنه من قبول أهل العلم والفكر ، فاستوطن قرطبة ونشر علمه بها ، واستفاد الناس منه وعولوا عليه عليه ، واتخذوه حجة فيما نقله . وألف في الأندلس كتباً كثيرة أملى بعضها على حلقات المتأدبين والمتعلمين ، ومال إليه متعلموهم ، وعلماءهم كالزبيدي مثلاً . فمن كتبه الأمالي والنوادر والمقصود والممدود ، وكتاب البارع الذي كاد يضم لغة العرب <sup>(٢)</sup> . وكان للوالي أثر في تعميد المدرسة الشعرية الفسائية على اتباع ( مذهب العرب ) الذي يقابل مذهب المحدثين وهذا كان شائعاً سائداً . ويظهر هذا الأثر من عرض الكتب والدواوين التي أدخلها إلى الأندلس وفي فهرسة ابن خير الأشبيلي الأندلسي ثبتت بها قال : تسمية كتب الشعر وأسماء الشعراء الذي وصل بها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي رحمه الله إلى الأندلس ، سوى ما تزايد عنه وأخذ بالقيروان منه : والكتب هي : شعر ذي الرمة ، وشعر عمرو بن قيس ، وشعر الحطيئة ، وشعر جميل ، وشعر أبي النجم العجلي ، وشعر معن بن أوس المزني ، والمفضليات ، وشعر النابغة الذبياني ، وشعر علقمة بن عبدة التميمي ، وشعر الشهاخ بن ضرار التميمي ، ونقائض جرير والفرزدق ، وشعر الأعشى ميمون بن قيس ، وشعر عسرة بن الورد ، وشعر المثقب العبدى ، وشعر مالك بن الربيع المازني ، وشعر النابغة الجعدي ، وشعر كثير عزة ، وشعر أوس بن حجر التميمي وشعر القطامي ، وشعر الأخطل ، وجزء من شعر عمرو بن شاس ، وشعر عدي بن زيد العبادي ، وشعر عبدة بن الطيب ،

( ١ ) انظر جذوة المقتبس : ١٥٤ . ونفع للطيب : ٧٠ - ٧٧ . وفهرسة ابن خير

( ٢ ) جذوة المقتبس : ١٥٩ .

٣٢٣ - ٣٩٥ - ٤٠٠ .

وشعر تميم بن أبي مقبل ، وشعر الأفوه الأودي ، وشعر زهير بن أبي سلمى ،  
 وشعر عبيد بن الأبرص ، وشعر المرقش الأكبر والأصغر ، وشعر سلامة بن  
 جندل ، وشعر قيس بن الخطيم ، وشعر الطرماح بن حكيم الطسائي ، وشعر  
 امرئ القيس ، وشعر دريد بن الصمة ، وشعر أبي خلدة ، وخسة أجزاء من  
 شعر روبة ، وأربعة عشر جزءاً من شعر الهذليين ، وشعر عمر بن أبي ربيعة  
 المخزومي ، وشعر أبي نواس ، وشعر جرير ، وشعر طرفة بن العبد ، وشعر طفيل  
 الغنوي ، وجزء من شعر أبي تمام حبيب بن أوس<sup>(١)</sup> . وحمل القالي عدداً من كتب  
 الأخبار مثل أخبار نفطويه ( ٢٨ جزءاً ) وخسة أجزاء من أخبار ابن الأنباري ،  
 وسبعة أجزاء عن ابن أبي الأزمهر ، وثمانية وخمسون جزءاً من أخبار ابن دريد ،  
 وجزآن من أخبار وإنشادات عن الأنخفش ، والمدخل للمبرد ، والمهذب  
 للدينوري ، وكتاب الأحباس لأبي نصر ، وجزء فيه عدة من أيام العرب ومعاني  
 الشعر للباهلي ، وكتاب البهي للفرءاء ... والضيفان لثعلب ، والعروض لابن  
 درستويه<sup>(٢)</sup> ...

#### كتب سائرة :

بدأت الحياة الفكرية في الأندلس في حين كانت الدولة العباسية في المشرق  
 مستقرة ، والأمصار فيها زاخرة مزدهرة وبغداد تبدأ ألقيها ونجومها . وفتح  
 الأندلسيون عيونهم على الشعر الحديث الذي اتضحت خصائصه مع أعلام كبار  
 من شعراء العباسيين واستقدموا ما كان شائعاً من شعر المشاركة في الوقت نفسه  
 الذي استقدموا فيه دواوين الجاهليين والإسلاميين ، والكتب المؤلفة في أخبار  
 العرب وأيامهم وبلادهم ، وما يتعلق بهم من خيلهم ونباتهم وأنوائهم .. ومن هنا  
 كان هذا الازدواج في التدقيق الشعري .. أو لنقل إنه ( تواجد ) المصدرين  
 المتكافئين من مصادر الثقافة : القديم الذي يعتمد بخاصة على دواوين الجاهليين

( ١ ) فهرسة ابن خلدون : ٣٩٥ - ٣٩٧ .

( ٢ ) فهرسة ابن خلدون : ٣٩٨ - ٣٩٩ .

والإسلاميين وشعرهم ، والحديث القائم على شعر المدرسة الجديدة كشعر أبي نواس وأبي تمام ومسلم بن الوليد .

ان استقصاء كتب الآداب ودواوين الشعر بترتيب دخولها الاندلس أمر عسير ، وخصوصاً إذا اعتبرنا ضياع بعض المصادر المساعدة ؛ ولكننا نستطيع أن نقارب في ذلك لتبين تطور مصادر الثقافة الأندلسية وحركة قدوم الكتب المشرقية ، يساعدنا في ذلك النقول المبثوثة في كتب التراجم ، وكتب الأدب العامة ، والنصوص الهامة في كتب برامج العلماء التي يروي فيها مؤلفوها ما روه عن شيوخهم بالتلقي المباشر أو السماع أو الإجازة المباشرة أو المكتوبة أو غير ذلك من الطرق . وسواء أكانت مرتبطة على الشيوخ أو على أسماء الكتب ، فإن غرضنا منها سهل التناول ، ولا بد من أن نلاحظ ابتداء ( مادة ) الثقافة الأندلسية . والمقصود بذلك العلوم والموضوعات التي كانت شائعة في حلقات التدريس أو كانت لها أهمية كبرى في تكوين عقلية المتعلم الدارس . والمشاركة هي صفة غالبية على معظم الدارسين ، فقد كانت العلوم الإسلامية مختلطة بالعلوم العربية — المعتبرة أصلاً من علوم الآلة — وتكون دراسات الآداب الذوقية المحض رديفاً وتابعاً للدراسات الأساسية : الإسلامية والعربية <sup>(١)</sup> . ولا يهملنا هنا إلا ما يتعلق بالدراسات الأدبية بالدرجة الأولى — فهي موضوع تعلقنا — فما هي كتبهم المعتمدة في هذا ، وكيف تطورت الكتب المختارة مع تطور الزمن ، وما هو نصيب الكتاب الأندلسي نفسه في حلقات المدرسين واعتماد المؤديين .

تحدث ابن خلدون عن المقصود بعلم الأدب ، والأسباب المؤدية إليه . وهو

---

( ١ ) قال ابن خلدون : ان أركان علوم اللسان أربعة : اللغة والنحو والبيان والأدب ، وعقب على ذلك بأن « معرفتها ضرورية على أهل الشريعة إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ومي بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ... فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة : ٥٤٢ - ٥٤٣ . ( المقدمة للعلامة ابن خلدون - الطبعة الثالثة المطبوعة الأميرية ببولاق - ١٣٢٠ ) .

يتحدث عن المثقف العربي وشادي علم العربية بوجه عام ، معللاً بذلك المواد التي كانت تدرس وفوائدها بما تعود به على الملكية الشعرية والنثرية ، بمحاكمة دقيقة وأحكام استقرأها من مطالعته ، وعاد في بعض منها إلى تقارير شيوخه . فالمقصود هو « الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم »<sup>(١)</sup> ، والسبيل إلى ذلك الأخذ من كلام العرب بمقدار ما يهيء حصول الملكية من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الاجادة ، ومسائل في اللغة والنحو .. مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم بها ما يقع في أشعارهم منها ، وكذلك ذكر المهم من الانساب الشهيرة والخبار العامة . ولا بد من هذا لفهم شعر العرب ، فان الحفظ لا يتأتى إلا بعد فهم . وفشر بعْدُ معنى قولهم إن الادب هو الأخذ من كل علم بطرف بأنهم « يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث . إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب »<sup>(٢)</sup> .

#### مراحل تثقيف الدارس :

لقد سارت الدراسات العربية في معظم أقطار المسلمين مواكبة ومتلازمة مع الدراسات الإسلامية ، ولا تشذ الأندلس عن ذلك ، بل ربما كانت هذه الناحية أشد وضوحاً في الأندلس منها في أي بلد آخر ، لظهور الناحية الدينية بعوامل مختلفة كما سبق أن بينت . ويعيننا على معرفة الكتب المعتمدة في الأندلس على تقلب الأيام ، كتب برامج العلماء التي أكثر الأندلسيون من تأليفها . والبرامج « كتاب يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم ، ذاكرة عنوان الكتاب واسم مؤلفه ، والشيخ الذي قرأ عليه أو تحمّله عنه وسنده إلى مؤلفه الاول »<sup>(٣)</sup> . وإذا كنا بحاجة إلى سلسلة من كتب البرامج لا تنقطع من أول

( ١ ) المقدمة : . . . . . ( ٢ ) المقدمة : . . . . .

( ٣ ) كتب برامج العلماء في الأندلس - مقالة الدكتور عبد العزيز الأهواني بمجلة معهد الخطوط - المجلد الأول - الجزء الأول والثاني : صفحة ٣ .



عهد الأندلس إلى آخره لتسكون الصورة واضحة بغاية الدقة - وهذا متعذر لفقدان الكثير من البرامج ولتأخر كتابها عن العصور الأولى - فأتى ما لدينا من البرامج بغني ويكفي لما في البرامج من أسانيد الكتب المدروسة عائدة إلى نازلها الأول عن المؤلف ، أو عن جالبيها من المشرق إلى الأندلس بدقة وتفصيل .

ويمكن أن نقسم حياة طالب العلم - قياساً على حياة بعض علمائها - أقساماً ثلاثة . « المرحلة الأولى : مرحلة الابتداء التي يشترك فيها الولدان جميعاً ، فيتعلمون الخط والقراءة ، ويؤخذون بمعرفة شيء من اللغة والنحو ، وحفظ القرآن إلى غير ذلك مما كان موضوعاً لفصل في مقدمة ابن لدون ( ص ٥٣٥ ) والمرحلة الثانية هي : الانقطاع للعلم رغبة في التخصص فيه واستعداداً لاتخاذ مهنة - وهي مرحلة طويلة - يؤخذ فيها الطالب بدراسة كتب مقررة على شيوخ مختصين ، تقام حلقاتهم في المساجد غالباً <sup>(١)</sup> ، وتكون له فيها فرصة مطالعات حرة كثيرة في مواضيع شتى من التاريخ والشعر والترسل والاختبار . والمرحلة الثالثة يتخذ فيها مكانه من حلقة التدريس معلماً ، يأخذ فرصته في التأليف ، ومطالعة العديد من الكتب والمؤلفات .

تحدث ابن خلدون عما يدرسه الطالب المبتدئ فيما هو المرحلة الأولى من مراحل التعليم ، وقال إن ذلك يختلف من قطر لآخر ، أما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو . وهذا هو الذي يراعونه في التعليم إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأساسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه أساساً في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط ، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب ، والترسل ، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب . ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه ، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا

---

( ١ ) كتب برامج العلماء : ٢٦ - ٢٧ .

بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرز في الخط والكتاب بأذبال العلم على الجملة (١) .

وليس لدينا مستند معروف يحدد ما كان يدرس في هذه المرحلة بالنص ، ونتوقع أن تكون المختارات الشعرية المنتقاة من الشعر الجاهلي والإسلامي بخاصة لأنها أقدر في الإعانة على فهم القرآن ، وغريب الحديث والوصل بين المعاني فيها جملة . وأما نصوص الترسيل فبين مشرقية تمثلها نماذج من اليتيمة ومن مقامات بديع الزمان والحريري ونثر المعري وبين أندلسية لابن حزم وابن شهيد وابن برد وابن زيدون ، ومن ثم لأبي عبد الله بن أبي الخصال ، لما اشتهر عن هؤلاء وأصراهم من براعة وحذق وذوق رسائل .

ما هي الأشياء المقررة في المقررة في المرحلتين الثانية والثالثة ؟ وبمعنى آخر : ما هي الكتب الأساسية التي دخلت الأندلس وكونت بذلك مصادر الفكر الأندلسي ؟ تسعفنا بذلك كتب برامج العلماء بالدرجة الأولى ، إضافة الى نقول كثيرة ومعلومات منشورة في كتب الأدب العامة والمختارات ، وما شاكل ذلك ، مع ملاحظة أن كتب برامج العلماء كانت في الغالب من عمل رجال الحديث أو علماء جُل همهم الرواية والحديث . فمن كتب البرامج ، فهرسة أبي محمد عبيد الحق بن غالب بن عطية الحاربي الغرناطي المتوفى سنة ٥٤١ هـ (٢) ذكر فيه شيوخه الذين تلقى عنهم ، وفي أثناء ذلك أورد أسماء الكتب التي رواها . ونجد نصيب كتب اللغة وكتب النحو وأقرأ وكتب الأدب أقل وسوى ذلك نادر كالتاريخ مثلاً . فقد ذكر الكافي في النحو لابن النحاس ( ١١ / أ ) والجل للزجاجي ( ١١ / ب ) والمقتضب للبرد ( ١١ / ب ) وكتاب سبويه ... عن أبي العتوح الجرجاني ( ٣١ / ب ) والجمع والإغفال والإيضاح

( ١ ) المقدمة : ٥٣٦ .

( ٢ ) فهرسة ابن عطية المحاربي ، مصورة - عن الأصل بالاسكوريال - بدار المصتب

المصرية برقم ب ٢٦٤٩١ .

لأبي علي الفارسي ( ٣١ / أ ) وشرح الجمل لابن بابشاذ ( ٤٣ / أ ) ، ثم مشكل الحديث لابن فورك ( ١٢ / أ ) وكتاب الألفاظ وكتاب اصلاح المنطق لابن السكيت . . عن أبي علي القالي ( ١٢ / ب ) وفصيح نعلب . . عن الجرجاني ( ٣٤ / ب ) أمثال أبي عبيد ( ٢٩ / أ ) ومن آثار الأندلسيين : الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ( ٥٦ / أ ) والدلائل لقاسم بن ثابت ( ٥٥ / أ ) ونقل خبر رحلة قاسم بن ثابت ، ووالده ثابت بن حزم السمرقسطي وأنها أول من أدخل كتاب العين للخليل بن أحمد ( ٥٥ / ب ) وذكر السيرة لابن اسحاق ( ٤٠ / أ ) ومعاني القرآن للزجاج ، ومعاني القرآن للفراء ( ٤٠ / أ - ٤٠ / ب ) وفي التاريخ والتراجم : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ( ٤٠ / ب ) ومن الطبقات : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي الأندلسي ( ٢٩ / ب ) . وفي كتب الأدب ، وبجاميع الشعر : مقصورة ابن دريد . . عن أبي علي القالي ( ١١ / أ ) وحماسة أبي تمام . . عن الجرجاني ( ٣٥ / أ ) والحماسة برواية عن أبي الحسن التبريزي وهو (بغدادى) قدم الى الأندلس سنة عشرين وأربع مئة ، فروى عنه مجلة من الأندلسيين ( ٣٩ / ب ) . ومن كتب الأدب العامة كتاب الأمالي لأبي علي ( ٢٣ / أ ) وكتاب الفصوص لمساعد البغدادي ( ٣٦ / أ ) وكتاب بهجة المجالس لابن عبد البر الأندلسي ( ٢٣ / أ ) . وكثيراً ما يشير الى ( ألفاظ من اللغة ) أو ( أبيات من الشعر ) دون تعيين . وتحدث عن إجازات تلقاها من بعض شيوخه لرواية ( جميع ) مروياته أو مؤلفاته أو مسموعاته . . ولكنه لم يثبت أسماء في ذلك ، فصغر حجم كتابه بالقياس الى كتب البراهج التي تدون ذلك كقهرس ابن خير الاشبيلي مثلاً .

وابن خير هو أبوبكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي ( ٥٠٢-٥٧٥ ) صاحب البرنامج المشهور<sup>(١)</sup> ، وهو برنامج واسع كبير ، ويعد « أوسع الفهارس

( ١ ) فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في نزروب العلم وأنواع المعارف الشيخ الفقيه ابن خير الأموي ، طبعة بيروت المنقولة عن طبعة سرقسطة الأولى

التي وصلتنا عن الأندلسيين من حيث ضخامتها وكثرة ما ورد فيها من أسماء الكتب<sup>(١)</sup> . وهو لا يقتصر على ذكر الكتب التي قرأها فعلاً على شيخه أو التي قرأها شيوخه مجتمعين ، ولكنه يضيف إليه ما أجز به من كتب ومؤلفات وهذا ضخّم الكتاب وضاعف حجمه . ولكنه على كل حال هام في تعريفنا بالكتب التي كانت تدرس والتي كانت شائعة لعصره . بدأ كتابه بذكر مروياته من الدواوين المؤلفة في علوم القرآن مثل : كتب القراءات ، والوقف والابتداء ، وناسخ القرآن ومنسوخه ، والأحكام والتفسير ، ثم أورد الحديث وما يتصل به من علوم ، ثم كتب السير والأنساب ، والفقه ، والزهد والرقائق ويصل — بعد — الى باب فيه « من كتب الأنحاء واللغات والآداب والشروح وأشعار العرب والمحدثين ، وما يتصل يتصل بذلك من نوعه » .

فروى في كتب النحو كتاب سيبويه (٣٠٥) وكتاب المقتضب للمبرد، والأصول في النحو لأبي بكر بن السراج ( ٣٠٧ ) ( والجمل للزجاجي : ٣٠٨ ) والكافي في النحو والمفنع لابن النحاس ، والإيضاح لأبي علي ( ٣٠٩ ) والاعمال له ( ٣١٠ ) والموجز في النحو لأبي بكر بن السراج ( ٣١٠ ) وكتاب الواضح في النحو لأبي بكر الزبيدي الأندلسي ( ٣١١ ) . وفي المرويات نسبة حسنة من كتب الأندلسيين مؤلفة في النحو أو تشرح كتب المشاركة مثل كتب ابن السيد البطليوسي ( ٣١٦ ) وكتب أبي الحجاج الأعلم الشنتمري ( ٣١٤ - ٣١٥ ) . وكتاب المفتاح في النحو لأبي الحسن بن أفلح ( ٣١٦ ) ومسائل لأبي عبد الله بن أبي العافية ( ٣١٦ ) . « ومن كتب الآداب واللغات والشروح وما يتصل بذلك من نوعه<sup>(٢)</sup> : الكامل للمبرد والنوادر للقيلي ( ٣٢٣ ) . وذيل النوادر له ( ٣٢٥ ) والتنبيه على أوهام أبي علي ، والآلي في شرح الأمالي للوزير الأندلسي أبي عبيد البكري ( ٣٢٥ - ٣٢٦ ) ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ والفصوص لصاعد البغدادي والمقد لابن عبد ربه الأندلسي ( ٣٢٦ )

( ١ ) فهرسة ابن خير : ٢٢٠ .

( ٢ ) كتب برامج العلماء : ٢٠ .

ومجالس ثعلب ، وبهجة المجالس وأنس المجالس لأبي عمر بن عبد البر الأندلسي ( ٣٢٧ ) . والألفاظ وإصلاح المنطق لابن السكيت ( ٣٢٩ - ٣٣٠ ) أدب الكتاب لابن قتيبة الدينوري ( ٣٣٣ ) فصيح ثعلب ( ٣٤٦ ) . وكتباً في الأمثال ، وكتباً في لحن العامة للزبيدي ، الأندلسي ؛ وللسجستاني ، وكتباً في اللغة ، وكتباً في العروض ، وكتب أبي زيد الأنصاري ( ٣٧١ ) .

وروى كتاب ( الموفقيات في الأشعار والأخبار للزبير بن بكار ( ٣٧٦ ) وأمالى الأخفش ( ٣٧٦ ) ، ومجموعة كبيرة من كتب ابن قتيبة . ويلاحظ أن ابن قتيبة قد ناله نصيب وافر من ذبوع كتبه في الأندلس ، وأهمها كتابه في ( أدب الكتاب ) الذي استمر إلى عهد ابن خلدون وما بعده ، وذكر كتاب الأنواء ، وكتاب المعارف ( ٣٧٧ ) وطبقات الشعراء ومعاني الشعر والميسر ( ٣٧٨ ) ، وطبقات الشعراء لابن النحاس ( ٣٧٩ ) . وروى كتاب زهر الآداب للمصري ( ٣٨٠ ) والنقائض لأبي عبيدة ( ٣٨٣ ) ؛ وكتباً لابن ولاد ( ٣٨٥ ) .

واختلط المروى من المقامات : الأندلسي بالشرقي لولعهم بهذا الفن ومحاكاتهم إياه . فروى المقامات السبع من إنشاء الوزير الأديب أبي الحسن سلام بن عبد الله الباهلي ، رواها عنه بمدينة شلب ( ٣٨٦ ) ومقامات الحريري عن الشيخ أبي الحجاج يوسف بن علي الأسدي بدكانة بحاضرة المرسية ( ٣٨٧ ) ، والمقامات اللزومية للسرقي ، رواية عن المؤلف نفسه ( ٣٨٧ ) .

ومن شروح الحماسات حماسة أبي تمام بتفسير أبي الفتح الجرجاني ( ٣٨٧ ) وشرح معاني أبيات كتاب الحماسة لأبي علي الحسن بن علي النمري ، وكتاب شرح أشعار الحماسة للأعلم الشنتمري ، وكتاب شرح أشعار الحماسة لعاصم بن أيوب البطلوسي ( ٣٨٨ ) .

وروى من الأشعار : كتاب الأشعار الستة الجاهلية شرح الأعلم الشنتمري ( ٣٨٨ ) وشرحها لأبي بكر عاصم بن أيوب ( ٣٨٩ ) وأشعار هذيل برواية

الأصمعي ( ٣٨٩ ) والمفضليات ، والأصمعيات ( ٣٩٠ ) ومجموعة من الدواوين الجاهلية والإسلامية ، وما رواه القالي ونقله إلى الاندلس - مما تقدم ذكره - .

وذكر من شعر المحدثين : شعر أبي تمام الطائي متصلة روايته بأبي علي القالي ( ٤٠٢ - ٤٠٣ ) وشعر أبي الطيب المتنبي متصلة روايته بابن العريف ، وكل أسانيده في روايات الدواوين تتصل بأبي القاسم بن الأفلح شارح ديوان المتنبي ، والذي أثنى عليه ابن حزم في رسالته عن فضل الاندلس . وروى شعر ابن المعتز ( ٤٠٤ ) وكتابه الآداب ( ٤٠٥ ) وشعر ابن حجاج البغدادي ، وابن سكرة الهاشمي ( ٤٠٩ ) . ومن أشعار الأندلسيين يبرز ديوان أبي اسحاق بن خلفاجة ( ٤٠٧ ) ومحمد بن مطرف بن شخيص ، وأبي بكر يحيى بن هذيل ( ٤٠٨ ) ، وابن دراج القسطلي ( ٤١٤ ) .

كما كان يروي ديوان الصنوبري ( ٤١٠ ) ومجموعة من آثار أبي العلاء : كتاب سقط الزند وضوؤه ( ٤١١ ) وشرح سقط الزند لابن السيد ، وترسيل أبي العلاء ولزومياته : وذكر شيئاً من ترسيل المعري مما وصل إليهم - برواية أبي بكر ابن العربي ، وهنا تلتقي رواية صاحب الفهرسة هذه مع رواية ابن عبد الغفور الكلاعي مع زيادات عند ابن عبد الغفور في كتابه « إحكام صناعة الكلام » مما سنعرض له بعد . وروى المختار من شعر أبي العتاهية وأخباره لابن العربي ( ٤١٤ ) ومن ترسيل الأندلسيين رسالة لابن أبي الحصال إلى النبي ﷺ وأخرى في الرد على ابن غرسية ( ٤١٩ ) . وروى رسالة ابن السيد البطليوسي في الرد على ابن العربي ، وسنعرض لها مفصلاً .

وبعد ابن خير بقرن من الزمان نجد أبا الحسن علي بن محمد الرعيني الأشبيلي ( ٥٩٢ - ٦٦٦ هـ ) صاحب كتاب في هذه السلسلة طبع في دمشق بعنوان « برنامج شيوخ الرعيني (١) » . وسنأخذ من مروياته ما يتعلق بالأدب وما يلحق

---

١ ( برنامج شيوخ الرعيني - تحقيق إبراهيم شيوخ - مطبوعات وزارة الثقافة السورية . دمشق : ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .

به ، وليكن ذلك أيضاً نموذجاً من أحد شيوخه ، ثم ما درسه المؤلف نفسه .  
ففي ترجمة شيخه أبي العباس أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد اللخمي  
المعروف بابن أبي عرفة <sup>(١)</sup> قال إنه قرأ — على شيوخ سمّاهم — مختصر العين  
للزبيدي وأدب الكاتب لابن قتيبة . والجمهرة لابن دريد ، والكامل للمبرّد ،  
ونوادر القالي ، والمقامات ( الحريية ) <sup>(٢)</sup> . والنوادر ، والأشعار الستة <sup>(٣)</sup>  
والدلائل لقاسم بن ثابت الاندلسي <sup>(٤)</sup> .

وفي ترجمة أبي بكر محمد بن طلحة بن محمد عبد الملك بن خلف .. بن حزم  
الأموي <sup>(٥)</sup> قال إنه لازمه أعواماً وقرأ عليه أكثر كتب المجلس نحواً وأدباً  
« كالجل ، والإيضاح والأشعار الستة ، وأدب الكتاب ، وإصلاح المنطق ،  
وفصيح ثعلب ، والحماسة ، والمقامات ( الحريية ) والأمثال ( لأبي عبيد ) .  
وسمعت عليه كثيراً من كتاب سيبويه ، ومن الكامل وشعر حبيب ، ونوادر  
أبي علي ، وغير ذلك على طريقة الفقه والتعلم » . وروى بيتين بعد ذلك عن  
أستاذه هذا لأبي الفتح البستي ، وقد أعجب الاندلسيون زمناً بطريقته في  
التجنيس . ونلاحظ تمكن الكتاب الاندلسيين من كتب الرواية ومن مكثبات  
الدارسين ، ولكن ( المقرر ) منها المتلو في حلقات التعليم يقل عن كتب المشاركة ،  
ولئن ذاع كتاب ( أندلسي الولادة ) مثل الأمالي والنوادر والفصوص . فإنما هي  
بضاعة مشرقية صرف ، لا ينازع في ذلك أحد . وقد نقل الرعيثي أنه طلب  
الإجازة من أبي الربيع الكلاعي فبعث بها إليه قال : « وكن يكتبني  
ويبعث إليّ بتواليه » <sup>(٦)</sup> . وأخذ إجازة أبي القاسم الملاحى صاحب تاريخ  
علماء البيرة <sup>(٧)</sup> ، ومن أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي بن مخلد الأموي وهذا  
تلميذ من تلاميذ أبي جعفر بن مضاء روى عنه كتباً منها : تنزيه القرآن عما لا

١ ( صفحة : ٤٢ .

٢ ( صفحة : ٤٤ .

٣ ( صفحة : ٤٤ .

٤ ( صفحة : ٦٧ .

٥ ( صفحة : ٧٩ .

٦ ( صفحة : ٦٤ .

يليق به من البيان <sup>(١)</sup> . ونجد رواجاً أيضاً لديوان ابن خفاجة الأندلسي <sup>(٢)</sup> .  
وقرأ الرعيئي ديوان أبي بكر محمد ابن عبدالله اللخمي الإشبيلي على مؤلفه .

وعاصر الرعيئي مؤلف آخر له برنامج هو عبيد الله بن أحمد بن أبي  
الربيع <sup>(٣)</sup> ، ذكر فيه تلميذه ابن الشاط الأنصاري مرويَات أستاذه . ويلاحظ  
فية قلة عدد الشيوخ وقلة الكتب ، وقلة الكتب المروية ، وهي الكتب التي  
كانت تدرس فعلياً في الحلقات - أو في بعض الحلقات بشكل أدق - مما  
حضره ابن أبي الربيع . ويتمد في كتب النحو واللغة والأدب : كتاب سيوبه ،  
والإيضاح للفارسي ، والجل للزجاجي ( ٤٩ ) وإصلاح المنطق لابن السكيت ،  
وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وفصيح ثعلب ، وأمثال أبي عبيد ، وكامل  
المبرد ( ٥٠ ) وأمثال القالي ، وأشعار الستة بترتيب الأعلم ، والحماسة بترتيبه  
ومقامات الحريري ، وشعر أبي تمام ( ٧١ ) وشعر المتنبي ، وسقط الزند لأبي  
العلاء . وتنضج هنا حقيقة الكتب المعتمدة للتدريس المباشر فإذا هي مشرقية في  
معظمها . وسيدخل الأندلسيون بكتب كثيرة في الحلقات ولكن على هوامش  
الكتب وحواشيهما : في الشروح والتعليقات والتنبيهات ، كما سيمر في بحث  
( الشراح الأندلسيين ) .

وبعد زمن يقول ابن خلدون « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن  
أصول هذا الفن ( علم الأدب ) وأركانه أربعة دواوين : أدب الكاتب لابن-  
قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب  
النوادر لأبي علي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتتبع لها ، وفروع  
عنها » . وأنسى . ذلك على كتاب الأغاني للأصفهاني <sup>(٤)</sup> .

١ ( صفحة : ٥٢ .

٢ ( صفحة : ٥٢ .

٣ ( كتب برامج العلماء في الأندلس ( نص برنامج ابن أبي الربيع من ص ٣٦ - ٥٢ )  
فصلة مجلة معهد الخطوط - المجلد الأول - الجزء الأول والثاني وانظر المقالة  
السابقة للبرنامج .

٤ ( مقدمة ابن خلدون : ٥٥١ .



### خلاصة :

لقد أتقن الأندلسيون الشعر القديم : جاهليته وإسلاميته ، وعرفوا معظم الدواوين واجتلبوها وقرؤوها ووضع بعضهم عليها شروحا وتعليقات ، وثقفوا بكتب المشاركة في الأشعار والروايات وأخبار العرب وأيامهم وبلدانهم ، ثم مالوا الى شعر المحدثين فتلقفوا دواوينهم كأبي نواس ، وصريع الغواني ، وأبي تمام والبحتري ، وأبي العتاهية وابن المعتز ، ثم المعري والمتنبي . وعرفوا ترسل الطبقة الأولى كابن المقفع وعبد الحميد ومن تلاهم كسهل بن هارون والجاحظ وانخرطوا في السجع والتعقيد مع الصاحب والصابي والبديع ، ثم الحريري والمعري .

كان لا بد للأندلس من أن تكون على صلة مستمرة بالشرق ، ولم ينقطع الوافدون إليها والراحلون عنها ، وظل الشرق دائما مطلب الأندلسيين ومحط تقليدهم . وتنكروا في البداية لعلمائهم وأدبائهم وشعرائهم ، ثم وجدوا فيهم من يناهض شعراء الشرق وكتابه وأعلامه ، وعرفوا قيمة النزعة الحفاجية في الشعر ، وحفظوا بعض رسائل مترسليهم ، فكانوا بين الانكباب على كتب الأندلسيين ، والالتفات الى تراث المشاركة ، ولكنهم كانوا الى الشرق أميل وبه أحفل .

## الباب الأول

الشُّراح الأندلسيون

الشرح التعليميّة العامّة

الشرح الذوقيّة الجماليّة

الشرح الخاصّة

الشرح الأدبيّة الجامعة



## الشراح الأندلسيون

في المغرب والمشرق على حد سواء نشطت منذ عهد مبكر حركة أدبية متصلة الحلقات ، عُنيت بشرح الكتب المختلفة في فنون متنوعة ، ومن أهمها الشروح على كتاب الله العظيم ، وأحاديث الرسول ( ص ) ، وخطب الصحابة . وتبَّع جمعُ الشعر العربي جاهليته - بخاصة - وإسلاميه خطة شرح واسعة النطاق في المشرق . وانتقلت المتون الشعرية ، وبعض الشروح إلى الأندلس ، فكان من الشروح مثال "يحتذى" ، وكان من المتون مادة يستقطب الطلبة من أجلها حول شيوخ وعلماء ، أو ينفرد بها بعضهم ، ليكون منها فيما بعد شروح أندلسية هامة .

ونقصد هنا بهذا الفصل أن ندرس حركة شرح الأندلسيين للشعر المشرق - وبعض النثر كشرح المقامات - باعتبار ذلك مما يدخل على وجه من الوجوه في موضوعنا ، لأنه يفيد في تبين معالم الذوق النقدي الأندلسي ، ويكشف عن بعض اتجاهات الدارسين هناك واهتماماتهم الأدبية واللغوية ، ويعرض بين الفينة والفينة إلى قضايا تمس موضوع النقد مستمباشراً ، وهي - إلى ذلك - تكشف عن بعض مقاييس نقدية وبلاغية شاعت في فترة من الفترات لم تترك لنا كتب الأدب العامة ، ولا ما تَبَقَّى من كتب النقد ، عنها شيئاً واضحاً بارزاً .

ومما يلفت النظر أن الأندلسيين اهتموا كثيراً بكتب الشروح ، ويظهر أن كل شيخ ( مدرس ) كان يعتني نفسه بشرح ما يقرره على طلبته غير مكتف بما يصنعه غيره من الشراح ، اللهم إلا إذا كانت من الشروح الذائعة لشارح كبير .

ولم يقتصر الأمر على شرح الشعر المشرقي ، بل تعداه الى كتب النحو واللغة والأدب . وتركز الاهتمام على بعض الكتب تركيزاً شديداً <sup>(١١)</sup> ، فكتاب الجمل للزجاجي - وهو في النحو - لقي عناية فائقة ووضعت عليه عشرات الشروح والتنبيهات ، وتطرق بعضها إلى شرح شواهد - على طريقةتهم في كتب شرح الشواهد - وكتاب الحماسة من اختيار أبي تمام الطائي ، شرحه أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني نزيل الأندلس ، وأبو بكر عاصم بن أيوب البطلبوسي ، وأبو الحجاج الأعمى الشنتمري وغيرهم <sup>(١٢)</sup> ، ولقيت مقامات الحريري عناية فائقة استمرت زماناً طويلاً كما سنفصل في موضعه .

وأدرك الأندلسيون أهمية شروح بعض علمائهم فتناولوها بالرواية والدرس ، وتناقلوها كما تناقلوا أحسن الآثار المشرقية ، بل إن حماسة الأعمى الشنتمري غطت على حماسة أبي تمام زمناً <sup>(١٣)</sup> ، وفي كتاب إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهم إشارة واضحة الى هذا ، قال « . ولما كانت حماسة أبي تمام - الموضوع كتاباً أبي الفتح هذان على ترتيبها - بحفوة القدر في عصرنا ومطروحة الاستعمال عند أبناء دهرنا حين أختست هذه الحماسة الأعلمية عليها باستمالة النفوس اليها <sup>(١٤)</sup> . . »

١ ( مثل شرح أبيات الجمل لعماد بن هشام النخعي ( التكملة ١ : ٦٧٥ ) وشرح الجمل لاسحاق بن الحسين ( التكملة ١ : ١٩٢ ) وكتاب وشي الحلل لاجود بن يوسف اللبلي النحوي ( النفع ٢ : ٤٠٧ ) وشرح الجمل لابن خورف الأديب ( النفع ٣ : ٢٩٥ ) وشرح الجمل لعبد الله بن محمد العبدي ( المفرد ١ : ١١٢ ) وشرح الجمل لعماد بن ميمون ( رايات البرزين : ٤٦ ) ، وشرح الجمل لأبي بكر بن طلحة بن حزم الأموي ( برنامج الرعيبي : ٨ ) . . الخ

٢ ( فهرسة ابن خير : ٣٨٨ . والتكملة ١ : ١٢٨ .

٣ ( سنمرض لهذا ثانية في ترجمة الأعمى حين درس شرحه على الشعراء الستة .

٤ ( مخطوط إيضاح المنهج في الجمع بين كتابي التنبيه والمبهم لأبي الفتح بن جني بما عني يجمعه الشيخ الفقيه الأستاذ النحوي اللغوي أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن منذر بن ملكون الحضرمي - مصور بالجامعة العربية ( ٢٤ لفة ) .

وعُرفت مجموعة من الشُّراح الأندلسيين بالضبط في النقل، والدقة في الجمع،  
والثبوت في الرواية، والعناية في الشرح، وحفظوا لنا مجموعات شعرية  
ودراوين مفردة أحياناً. ومن هنا جاءت أهمية الشارح الأندلسي في تاريخ  
الأدب العربي. وفي هذا يقول محقق ديوان مسلم بن الوليد الذي شرحه الطيبيخي  
الأندلسي: «وهو - الشارح الطيبيخي - في هذا الشرح لا يقل عن علماء المغاربة  
في شرح الدراوين القديمة، ويستوي في ذلك مع مواطنيه (الأندلسيين)  
كالبطليوسي والشتيمري ممن أسدوا يداً كبيرة إلى العربية في الرواية والجمع  
والشرح»<sup>(١)</sup>. وقد أتاحت ظروف الأندلس وتقلُّب عدد من الأمراء من محبي  
العلم والأدب فرصة دخول علماء كبار من المشاركة نقلوا معهم أحاسن تراث  
المشرق وأعلاه رتبة في الثقة والضبط والرواية، وأحلّه الدارسون محلّه من  
التكريم والحفظ وعادوا عليه بالشرح والتعليق والملاحظة والتنبيه: استوى في  
ذلك الشعر والنثر، والشعر القديم والشعر المحدث. فهناك شروح على الكامل  
للبرد، وأماي القالي، وأدب الكتاب وشرح على الشعراء الجاهليين وبخاصة  
(الشعراء الستة) وعلى مقصورة ابن دريد، وشعر حبيب وشعر المتنبي.  
فكانت الشروح شاملة لكثير من نواحي الثقافة والفكر ومتبعة للنواحي  
الأدبية بشكل خاص.

وأثّرت هذه الشروح في تكوين جانب واضح من جوانب فكر الدارس  
آنذاك. فقد كان حفظ الأشعار العربية وعلم معانيها ومعرفة ما فيها من خبر  
ولغة وأغراض بلاغية وميزات فنية جزءاً هاماً يقرر على الطلبة في حلقات  
الدرس، وبأخذ الدارس به نفسه من حفظ وفهم ودراية. وكان للاغراق في  
الاهتمام بالشعر القديم، واستقطاب الدراسات والشروح حوله لدى بعضهم أثر  
في استمرار وجود (مذهب العرب) في الشعر، وهو يقابل (مذهب المحدثين)  
الذي مال إليه أكثر شعراء الأندلس وهو ما ستفصله في الفصل التالي.

---

(٢) ديوان صريع الغواني: مسلم بن الوليد - تحقيق الدكتور سامي الدمان - دار المعارف  
بمصر - مقدمة المحقق صفحة (٦٥ م).

وباستطلاع كتب التراجم الأندلسية نلاحظ كثرة واضحة في كتب الشروح من أوائل عهد التأليف المعروف لدينا إلى أواخر أيامهم في غرناطة ؛ فإذا لاحظنا قلة تراث الأندلسيين في الدراسات البلاغية والنقدية ، وبخاصة من الوجهة النظرية ، أمكننا تفسير هذه الكثرة ؛ فكأنهم انصرفوا إلى الشروح مكتفين بتذوقهم هذا واستخلاص القيم الجمالية من النصوص نفسها . وكأنهم أيضاً مالوا إلى سوق الذوق والتذوق إلى الدارس عملياً ومن خلال الجمل والفقرات والأبيات . ونحن لانعدم ملاحظات بلاغية ونقدية أغلبها تطبيقي ؛ كما أننا نلاحظ استفادة بعض الشراح من كتب النقد والبلاغة المشرقية بإشارة حيناً وبإغفال ذلك أحياناً كثيرة . وليس من الضروري أن يكون هذا سبباً وحيداً لتفسير قلة الكتب النقدية والبلاغية ، ولكنه سبب قد يعطل كثرة كتب الشروح ، التي تدلنا كتب التراجم وكتب برامج العلماء على أنها كانت عملية ومتداولة وشائعة .

وقد أفاد الأندلسيون من الشراح المشارقة ، ونصّ أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي على أن شرحه على ( الأشعار الستة ) إنما هو جماع مما سجله العلماء والثقات قبله ممن يعتد برأيهم في اللغة والنحو الأخبار . فقد عرفوا شروح الأصمعي وأبي حاتم السجستاني وابن قتيبة وابن جني وأبي علي البغدادي ( القالي ) والمعري والتبريزي وسواهم ممن كان لهم باع في بسط معاني الشعر ، والغوص على غوامضه ، وتبيان أخباره وإشارات . فتكونت لهم ثقافة جيدة ، وتابعوا تطور الثقافة والأدب في المشرق وضموا القرين إلى قرينه بين متقدم ومتأخر ، فبلغوا بذلك شأواً يستحق الوقوف عنده .

ومقصودنا هو تتبع حركة الشرح ، وتبين المسالك التي انتهجها الشارحون ، واتجاهاتهم ، ومناحي شروحهم ، ولا شك في أن عملية عرض كافة الشروح الأدبية الأندلسية عمل طويل لا يمكن أن تكون هذه الرسالة مجاله ، فهذا لاحق بدرس مفصل خالص في إطار عمل يؤرخ للأدب الأندلسي بعامة . ولكنني سأستعرض عدداً من الشراح في عدد من شروحهم ، اخترتهم

من عه ور مختلفة ممتدة على مدى الفترة الفعالة أدبياً وتأليفياً ، وتوخيت أن تمثل المختارات ما توسمت أنه يشمل كافة الاتجاهات التي ظهرت في هذا الفن . وسيكون الحكم غالباً راجحاً ، ولا يمكن أن يكون قاطعاً باتاً ، بسبب طبيعة ما نريد من مجرد العرض والدرس ، وبسبب ما نلتزم من عرض لمجموعة خاصة من تلك الكتب ، وفئة معدودة من الشراح .

فمن الشراح ، أبو العباس وليد بن عيسى الشهير بالطبيخي ، بقي لنا من آثاره شرحه على ديوان مسلم بن الوليد ، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري وله شرح على ديوان المتنبي ، وأبو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده وله شرح على ما أشكل من شعر المتنبي ، وأبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعمى الشنتمري صاحب شرح الشعراء الستة وأبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري صاحب الآلي ، وكتب الشروح والتنبيهات . وأبو بكر عاصم بن أيوب البطلاني وله شرح على الأشعار الستة أيضاً ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلاني صاحب شرح سقط الزند للمعري ، وغيره من المؤلفات الهامة ، وأبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي الشريشي وله شروح على مقامات الحريري ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي الأندلسي صاحب شرح مقصورة ابن دريد ، وأبو القاسم عبد الملك بن عبد الله ابن بدرون صاحب البسامة ( قصيدة ابن عبدون في رثاء بني الأفطس ) ، وأبو القاسم محمد بن أحمد المعروف بالشريف الغرناطي وله : رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ( وهي شرح على مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني الأندلسي ) . وكان أبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني وافد الأندلس نموذجاً مشرقياً أندلسياً مبكراً في كتابه الذي شرح فيه حماسة أبي تمام باختصار .

وبعض هؤلاء المؤلفين والشراح ترك عدداً من الكتب ، لم ألتمز دراستها كلها واكتفيت بنص واحد يمثل طريقة المؤلف ومنهجه ومصادره وقيمة كتابه ، ومنزلته بين الكتب الأخرى المماثلة . وكان عليّ أن أعود إلى المخطوط من



هذه الكتب والمطبوع . وكان في هذا بعض المشقة المتوقعة ، كما أن بعض المخطوطات لم تصل إلي بعد طلب وإلحاح ، وسيكرر هذا في فصول أخرى من هذا البحث ، إذ سنجتزئ فيما بين أيدينا مما حصلنا عليه ، وأرجو أن يكون فيه الكفاية .

### أنواعها :

إذا عدنا الى الكتب التي أردنا دراستها ، استوقفنا قليلا موضوع تقسيمها إلى فئات لتسهيل البحث من جهة ، ولتبيين طرائق عامة تميز بعض الشروح عن بعض ، فتقرب بعضها من بعض ، وتجعل قسماً أو أقساماً مختلفة متباينة . ومنها كان نوع التقسيم الذي سأنتهي اليه ، فإنه تقسيم يأخذ بالصفة الغالبة المميزة ، لأن الشرح القاصر على وجه أدبي أو فني قصوراً فانياً نادر ، كما سنتبين فيما بعد . ويظهر لنا لأول نظرة أن كتب الشروح في قسمين اثنين بوجه عام : قسم تعليمي يقصد به - بحسب تأليفه واختصاره وشموله العام - إعطاء الشئذة وطلبة العلم مادة جيدة طيبة في رواية الشعر - خاصة - وشرحه وتبيان ما فيه من خبر وإشارة ، والنعليق على لفظة لغوية أو اصطلاح بلاغي . والغالب في هذه الشروح عموماً الاختصار ، وتبدأ عادة بشرح الألفاظ شرحاً لغوياً ، ثم بسط المعنى المقصود من البيت أو الفقرة والإشارة أحياناً الى إعراب كلمة يترتب على توجيهاً معنى أو معان ، أو تكون أثارت خلافاً قديماً ، أو حديثاً لدى الشارح نفسه ؛ وقد يتعرض لاصطلاح عروضي إن كان في البيت شذوذ أو خلاف ، وقد يفيد من بعض الاصطلاحات البلاغية . والشروح هذه تختلف فيما بينها بحسب ثقافة المؤلف وظروف تأليف كتابه ، ومستوى من يكتب لهم كتابه أو مؤلفه وسنيتين هذه الفروق في التحليل المنفرد لكل واحد من هذه الكتب . ويمثل هذا القسم في المجموعة التي أدرسها : شرح ديوان مسلم بن الوليد للطبيخني ، وشرح ديوان المتنبي لابن الإفلحي ، شرح الأشعار الستة للأعلم الشنتمري ، وشرح الأشعار الستة للبطلانيوسي ، وشرح مقصورة ابن دريد لابن هشام اللخمي .

والقسم الثاني مختلف عن القسم الأول بأنه قد يكون من الشروح المطولة حتى يكاد يلحق بكتب الأدب وتاريخه لاتساعه ، وقد يكون شرحه خاصاً بموضوع بعينه لا يعدوه ، أو يكون قائماً على أساس تذوقي جمالي ، فيه - إلى الشرح التدريسي التعليمي - خصائص نيتاج العالم الأديب من تعمق على المعاني ، واستنباط آراء شخصية ، والوقوف موقفاً جديداً . فمن الطراز الأول القائم على التوسع ، شرح مقامات الحريري للشريشي ، ونعني ( النسخة البسيطة ) ومن الطراز الثاني شرح البسامة وهو كامة الزهر وصدفة الدرر صنع ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون . وهو شرح تاريخي خالص لا مدخل فيه لشيء آخر . ومن الطراز الثالث شرح سقط الزند لابن السيد البطايوسي وشرح المشكل من شعر المتنبي لابن سيدة .

وهذا التقسيم كما أسلفت اعتباري ، أنظر فيه إلى الأمر الغالب والناحية الظاهرة ، ولا أزعج أن كتاباً من هذه الكتب لا يشارك الفئات الأخرى بعض المشاركة ، ولكن هذا أقرب إلى طبيعة تلك الشروح ، وأدنى متناولاً من حيث الدرس والمعالجة . وعلى هذا فإن هذا الفصل سيكون في أقسام أربعة :

- ١ - الشروح التعليمية العامة .
- ٢ - الشروح الذوقية الجمالية .
- ٣ - الشروح الخاصة ( ابن بدرون ) .
- ٤ - الشروح الأدبية الجامعة اللاحقة بكتب تاريخ الأدب .



## الشرح التعليمي العامة

ذكرت في الحديث عن الثقافة الأندلسية مدى اهتمامهم بالآثار الشرقية ، وكان من مكملات الثقافة دراسة مختارات من الشعر الجاهلي والإسلامي وهو ما يعبرون عنه باسم الشعر القديم ، ومختارات من الشعر المحدث الذي يشمل طبقة مسلم وبشار وأبي نواس ومن بعدهم . وإذا كانت شروح شعر المحدثين داخلة في التعمق الأدبي ، فإن شروح الشعر القديم أولى وأشد ضرورة . ومن هنا تصدت جماعات لاختيار مجموعات من دواوين الجاهليين وشرحها والتعليق عليها ومعظم ذلك بقصد إلقائه في أيدي الطلبة وبين يدي الدارسين . ولعل ذلك اتصل - كما ألمحت قبل - بكثير ممن لا يصلح أن يتصدوا للخوض في الشعر الجاهلي - وربما ما تلاءم - بأرائهم الشخصية على حين نزلت معلوماتهم العامة عن حياة العرب وطرائق معاشهم ومقاصد شعرهم بعامة ، وقللت معلوماتهم في اللغة وعلوم العربية . ولدينا كتاب ، يشير إلى هذه الناحية ، بل هو يقوم أساساً للرد على أوهام مدرّسين شرح بعض أشعار شعراء الجاهلية ، وهو كتاب ( التنبيه على المغالطة والتمويه وإقامة المسأل عن طريق الاعتدال بالبرهان الكافي والبيان الشافي ) (١) مؤلف مجهول كنيته أبو حاتم ، يرجح أن يكون من أعلام القرن الخامس (٢) ،

(١) مخطوط في الاسكوريال برقم ٢٩٦ ، مصور .

(٢) أبو المطرف بن عميرة الخزرمي - محمد بن شريفة - منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس - الرباط ( ١٤٨٥ هـ - ١٩٦٦ م ) - صفحة ٢٧٦ .

وهو يرد على معلّم كنيته أبو المطرف ويفتد أخطائه وأوهامه . وقال فيه ..  
 « .. وقُرئت عليّ كتب فيها بعض أشعار شعراء الجاهلية قد جُرّدت من شرح  
 المتقدمين أعني العلماء باللغة ، وعلى كل غريب وحشي شرحٌ بلفظه العامي مثل  
 أن يشرح جرّعنا بتخلفنا وحشّ بكد ، فتأملت ذلك كله فرأيت أنه قد أخطأ في  
 كثير من تفسير المواضع التي أغفلها العلماء لاشتغالها واستعمال الناس المنطق  
 بأكثرها (١) . » والمؤلف يشير أحياناً إلى بعض المعلمين في معرض تخطئهم في  
 بعض معاني شروحيهم (٢) ، وقد قال في موضع آخر : « فالتسوّرون في الصناعة  
 كثير — أعني صناعة التفسير — فمنهم مؤدبون للأطفال في المكاتب ، ومنهم  
 مؤدبون بالعربية ضعفاء في الأدب ، يؤدّبون في البوادي قد خلاهم الجو هنالك .  
 ومنهم ورّاقون لا علم عندهم يزيدون في التفسير من تلقاء أنفسهم وينسبوت  
 ذلك إلى الأسانيد والعلماء ، يريدون بذلك استجزال الثمن في ذلك الكتاب ،  
 ومنهم شدة شيء من اللغة إذا أرادوا كلمة تشبه كلمة أخرى ظنوا أنها منها  
 فوضعوها مكانها (٣) . » وهذا نص هام لأن كتب التراجم وكتب البرامج  
 لا تُعنى عادة إلا بالمعروف من الأعلام والمؤلف من الكتب ، وضياح الكثير  
 من التراث الأندلسي حجب عنا أموراً كثيرة ، ونستخلص منه إقبال الناس  
 على شراء كتب الشروح واهتمامهم بذلك إلى درجة سَوّلت للوراقين التزبد في  
 رقاقهم لإغراء المشتري إيهاماً وتدليساً . ويمكن أن نرُدّ كثرة كتب الشروح التي  
 تذكرها كتب التراجم لمدى ضخّم من المؤلفين إلى استمرار الثقافة الأندلسية  
 على رأي صالح في الشعر القديم ، وإعجاب متواتر بما يجد في المشرق من شعر  
 وفنون نثر ، وسنقصل فيما التزمنا الحديث عنه إن شاء الله .

١ ( التنبيه صفحة ٣ .

٢ ( التنبيه صفحة ٥ .

٣ ( التنبيه صفحة ١٤٥ .

# شرح ديوان صريع الغواني للطبيخ

( ٠٠٠ - ٣٥٢ )

هو أبو العباس وليد بن عيسى بن حارث بن سالم بن موسى ، من ولد رشيد مولى الوليد بن عبد الملك ، يعرف بالطبيخ . ترجم له الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين <sup>(١)</sup> ترجمة قصيرة ، ولكنها غنية وهامة ، لأنها صادرة عن مؤلف ثقة في بابيه ، معاصر لصاحب الترجمة <sup>(٢)</sup> . وذكره أيضاً ابن الفرضي في كتابه تاريخ العلماء والرواة <sup>(٣)</sup> . ولا تسكاد تزيدنا ترجمته هذه شيئاً كثيراً عما في الطبقات . قال الزبيدي « وكان ذا علم باللغة والشعر ، وكان له حظ من علم العربية ، وكان بصيراً بمعاني الشعر ، حسن التلقين لمن تلمذ فهمه عندها . وكان يقرئها ويضرب الأمثال فيها حتى عُرف بذلك ، وتنافس الملوك فلم يؤدب إلا عند الجله » . وفي هذه الجمل القليلة أوصاف دقيقة وأخبار عن الطبيخ واضحة . فقد عرف أنه عالم باللغة وعالم بالشعر . وأن مهنته كانت التعليم ، وأنه تميز بطريقة 'حمدت له في تعليم الطلبة وتقريب معاني الشعر إلى أذهانهم ، وأنه زاد على ذلك في قدرته على تفهيم الطلبة ذوي الذهن المتبدل . وكل هذه خصائص رغبته إلى ذوي الجاه والسلطان . فأدب أولادهم ، واستغنى بتعليم أبناء السراة عن سواهم . ونقل الزبيدي عنه أنه كان « خيراً ديناً » <sup>(٤)</sup> .

١ ( طبقات النحويين واللغويين للزبيدي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط الخانجي

بصر - صفحة : ٣٢٦ .

٢ ( توفي الزبيدي سنة ٣٧٩ .

٣ ( تاريخ علماء الأندلس - ابن الفرضي - ط الدار القومية سنة ١٩٦٦ - القسم الثاني .

صفحة ١٦٢ - ١٦٣ .

٤ ( الطبقات : ٣٢٩ .

وذكر ابن الفرضي أنه كان « رجلاً طاهراً »<sup>(١١)</sup> . ولعل هذه الصفات الشخصية من خلق عال ودين قويم ، مما زاد في شهرته وفي تقريبه إلى بيوت ذوي الجاه والسلطان .

#### أخباره :

لا نكاد نعرف شيئاً واضحاً عن دقائق ثقافة الطيبيخي ، ولا عن شيوخه أو تلامذته ، وقد نقل الزبيدي في ترجمة أبي عبدالله الغابي<sup>(١٢)</sup> ، أن الطيبيخي أخذ عنه . وجاء في ترجمته أنه « كان من أحفظ الناس لأخبار أهل الأندلس وأشعار شعرائهم وأنه كان ذا فهم بارع وخلق نبيل » ثم قال : « وكان يُقرأ عليه شعر حبيب » وعنه أخذ أبو العباس الطيبيخي<sup>(١٣)</sup> . وقال ابن الفرضي في ترجمته إنه نقل بعض خبر الطيبيخي عن عبد الرحمن بن سعيد<sup>(١٤)</sup> ، ولم يفصح عن هذا الرجل بشيء . وفيما سوى ذلك لا نجد له أخباراً أخرى . ونستطيع أن نتوقع أنه درس ثقافة عصره على شيوخ ذوي عناية مثل شيخه السالف ، ولعله أفاد من قدوم أبي علي البغدادي إلى الأندلس ، وأخذ عنه بعض ما حمله من شعر ورواية .

أما مؤلفاته فقد ذكر الزبيدي أن له « شروحاً في شعر حبيب وصريع »<sup>(١٥)</sup> وصفها بأنها « قريبة مبسطة »<sup>(١٦)</sup> ، وقال ابن الفرضي « شَرَحَ شعر أبي تمام الطائي ، وشعر مسلم بن الوليد ، فأخذ عنه الناس هذه المشروحات » وكانت مؤدياً بعيد الاسم في التأديب<sup>(١٧)</sup> ؛ ولا تقع على ذكر غير هذين الكتابين .

- 
- ١ ( تاريخ علماء الأندلس ٢ : ١٦٢ .  
٢ ( الطبقات الزبيدي : ٣١٥ .  
٣ ( ابن الفرضي : ٢ : ٢٦٢ .  
٤ ( الطبقات الزبيدي : ٣٢٩ .  
٥ ( ابن الفرضي : ٢ : ١٦٢ .  
٦ ( في التكملة ١ : ١٧ ) في ترجمة محمد بن رزق الله بن مطوف ، وهو من روا عن أبي بكر عاصم بن أيوب الجليلوسي ، أن له « في شعر حبيب بن أوس الطيبيخي اختصاراً أفاد به ، وأضاف إليه من غبوه ما دل على مكانته من النباعة » . والإشارة إلى شرح الطيبيخي على ديوان أبي تمام . انظر التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار - طبعة عزة المطار - نشر الحانجي - مصر .

ولعله انشغل بالتدريس والتعليم الذي كان يدر عليه رجحاً وفيراً ، وأكعباً على شاعرين يفضلها ويتذوق شعرهما ، بالشرح والتحليل ، بمسائلهم غرضه من التعلم أيضاً .

ديوان مسلم : في سنة ١٨٧٥ نشر المستشرق الهولندي ميخائيل ده خويه ديوان مسلم بن الوليد بشرح أبي العباس الطبيخي لأول مرة عن « نسخة مغربية سافرت معه إلى خزانة ليدن من أعمال هولندية <sup>(١)</sup> » ، وطُبع بمسند ذلك عدة مرات ، إلى أن حققه الدكتور سامي الدهان تحقيقاً علمياً ونشره في دار المعارف بمصر ؛ وقدم له بدراسة وافية <sup>(٢)</sup> . ومخطوطة الديوان - وهي فريدة - لا تضم كل شعر مسلم ، ولا ما شرحه منه الطبيخي ، بفعل عوادي الزمن التي أتت على بعض أوراق النسخة ، « فهذه المخطوطة في أغلب الظن تحوي مختارات من شعر مسلم بن الوليد ، وتروي عيون شعره <sup>(٣)</sup> » . وأثنى المحقق على عمل الشارح في كتابه وألفقه بالمشهورين من الأندلسيين من الشراح الكبار كابن أيوب البطليوسي والأعلم الشنتمري <sup>(٤)</sup> .

والموجود من الديوان كما حقق ذلك الدكتور الدهان قسمان من ثلاثة ، هما الثاني والثالث ، ويقع هذا من طبعة مسابن صفحة ١ و ٢٩٨ . ويضم ٧٥ خمساً وسبعين قصيدة ومقطوعة . ويلاحظ أن القسم الضائع أخفى مصدر رواية الطبيخي : أهى عن القالي أم عن غيره ؟ . والموجود من شعر مسلم في شرح الطبيخي نحو ١٨٠٠ بيت ، في حين أن القرائن تدل على أن نسخة الطبيخي لو كانت كاملة لما زاد ما فيها عن نصف شعر مسلم الأصلي <sup>(٥)</sup> ولا تزيد في تفصيل أمر الديوان عن هذا ، وهو متوفر بين أيدي الدارسين .

( ١ ) صفحة م ٥٤ من ديوان مسلم .

( ٢ ) شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد المتوفى سنة ٥٢٠ هـ - عني بتحقيقه والتعليق

عليه الدكتور سامي الدهان عضو الجمع العلمي العربي بدمشق - نشر دار المعارف

بمصر - ١٣٧٦ - ١٩٥٧ . وهي الطبعة المعتمدة لدينا في الهوامش كافة .

( ٣ ) صفحة م ٦١ . ( ٤ ) صفحة م ٦٥ . ( ٥ ) صفحة م ٦٠ .



**شرح الطبري :** ذكرت أن الشارح لم يبين لنا مصدر روايته ، لفقدان القسم الأول من الديوان على ما يظهر ، ولكننا نلاحظ أنه يشير في بعض المواضع إلى روايات أخرى ينسب عليها . ففي القصيدة الأولى أورد البيت الرابع والستين ، وهو :

وقمت بالدين يوم الرسّ فاعتدلت منه قوائمُ قد أوفت على ميسل  
وقال فيه : وروى : منه دعائم قد أوفت على زلل ، وروى وقمت بالملك<sup>(١)</sup> . ويذكر الروايتين ويرجع في شرحه إحداهما ، وأورد البيت الثاني من القصيدة السادسة وهو :

لله واش رعى زوراً ألم بنا لو كان يمتعنا في النوم أحلاماً  
ثم علق في ذيل الشرح بقوله « والرواية بلو أحسن من الرواية » بأن كان<sup>(٢)</sup> . وقد يرد الرواية نهائياً<sup>(٣)</sup> ، كما سنفصل بعد .

وهو لا يقدم للقصائد بمقدمات طويلة ، وحسبه في ذلك ذكر غرض القصيدة العام ، أو قيمت قيلت إن كانت مدحاً أو هجاء أو ما شابه ذلك . وبدأ الموجود من شرحه بقصيدة قال فيها ، مفتتحاً القسم الثاني : « قال صريع الغواني — واسمه مسلم بن الوليد الأنصاري — يمدح يزيد بن يزيد الشيباني<sup>(٤)</sup> » . وفي القصيدة الثانية « وقال أيضاً يمدح سهلاً<sup>(٥)</sup> » . وفي الثالثة « وقال أيضاً يتنزل ويصف الخمر<sup>(٦)</sup> » ، وهكذا .

وفي شرحه ما يدل على أنه اطلع على عدد من كتب الأدب المشرقية ، وكتب اللغة . فهو ينقل عن أبي عمرو بن العلاء<sup>(٧)</sup> ، والخليل بن أحمد<sup>(٨)</sup> وأبي العباس المبرد<sup>(٩)</sup> . وينقل عن ابن قتيبة سبب تسميته صريع الغواني<sup>(١٠)</sup> ،

---

١ ( صفحة : ٢٠ .	٢ ( صفحة : ٦١ .	٣ ( صفحة : ٥١ .
٤ ( صفحة : ١ .	٥ ( صفحة : ٢٤ .	٦ ( صفحة : ٣٣ .
٧ ( صفحة : ٣٨ .	٨ ( صفحة : ٥٠ .	٩ ( صفحة : ٩١ ، ٣ .
١٠ ( صفحة : ٤٣ .		

ورواية أخرى لببت من الشعر ، توجه معناه بتغير روايته<sup>(١)</sup> . وهو يبرهن على اطلاعه الواسع باحتجاجه بالقرآن الكريم ، وأمثال العرب ، ومناقشاته للروايات ، وتقليبه المعاني على وجوهها المحتملة . ولكن خروج الشارح عن شرح الألفاظ وتبيان المعاني إلى ما سوى ذلك كان قليلاً ، يكتفي منه باللمحة والإشارة والاختصار . فمن ذلك إشارته إلى انتصار صريع الفواني للطرماح - بعد موته بزمان - ويعمل ذلك بإجماع أنها من طيء قال صريع :

أحيى أبا ذفر عظام حَفيرة      دَرست وبقي عزها لم يَدْرُس

وقال في الشرح « .. وأبو ذفر هو الطرماح الشاعر ، وكان يهجو قوم الفرزدق ، وقد قال :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القنطار      ولو سلكت سبل المكارم ضلت  
وكان شاعر عارض شعر الطرماح بعد موته ، ونقض عليه في أيام (صريع) فاحتفى عنه صريع لطيفاً ، إذ هي من اليمن فرداً على الطرماح ، فأراد أن يشكر طيفاً على ذلك<sup>(٢)</sup> . »

ولا يخلو شرحه من إشارات تاريخية لا بد منها كحديثه عن الوليد بن طريف الشاري<sup>(٣)</sup> لأن المدوح حاربه وقتله ، ومن أمثلة إشارات التاريخية السريعة هذه ، ما جاء في مطلع القصيدة العاشرة من ديوان صريع<sup>(٤)</sup> وفيها :

لولا سيوف أبي الزبير وخيله      نشر الوليد بسيفه الضحكا

يقول : لولا سيوف أبي الزبير ، نشر الوليد أي ابن طريف الخارجي الضحكا الخارجي ، أي قام مقامه في الشر . وقال : أحيى فلان أيام جده في

( ١ ) صفحة : ٣٥ .  
( ٢ ) الديوان : ١٣٨ .  
( ٣ ) انظر مثلاً صفحة ٦٧ .  
( ٤ ) الديوان صفحة ٩٧ .

الشرف إذا قام في الشرف مقامه . والضحاك هذا خارجي قُتله مروان بن محمد .  
والوليد بن طريف خارجي خرج على هرون الرشيد ، فأخرج إليه يزيد فقتله .  
وكان يزيد بن مزيد له كنيستان . كان يكنى في الحرب أبا الزبير ، وفي غير  
الحرب أبا خالد . فهو أجمل في هذه السطور شرح معنى البيت وبعض لفظه ،  
وعرف بإيجاز شديد بالأعلام الواردة فيه ، ومناسبة ذكرها في مطلع القصيدة ،  
وربط ذلك بالمعنى العام .

ويتضح لنا من الدنف المبعثرة من الإشارات أنه كان على ثقافة واسعة ،  
اختصر منها الكثير جهده ، وأضرب عن كثير ، مكتفياً بما يوضح المعنى ،  
ولعله أراد ألا يصرف قارئه — أو تلميذه — عن المعنى ، بالدرجة الأولى .  
قال صريع من أبيات تعرض فيها لوصف جارية تضرب بعودها :

تضاحكه طوراً وتبكيه تارة خدلسجة هيفاء ذات شوى عبل

« يقول : تضحك العود مرة وتبكيه تارة . بإضحاكها له أنها تلح على الزير  
والمنثى . فكان العود يضحك عند ذلك ، وتلح على المثلث ، والهم ، فكان العود  
يبكي عند ذلك لأن الهم غليظ الصوت ، وهو إذا قرن بالزير كمثل النجاسة مع  
القلمية ، والحدجلة الحسنة الخلق<sup>(١)</sup> » .

وإذا عدنا إلى الزبيدي في ترجمته وجدنا قوله « وكان يقرّ بها (معاني الشعر)  
ويضرب الأمثال فيها » . وسنكتفي هنا بمثالين ، سنفيد منهما من جانب آخر .  
فهو يشير إلى إعراب كلمة أو جملة حين يرى ضرورة ذلك لإيضاح المعنى لا  
تفضلاً أو تزيداً ، قال صريع<sup>(٢)</sup> :

أما كفى البين أن أرمى بأسهميه حق رماني بلحظ الأعين النشجل  
مما جنى لي وإن كانت مئى صدقت صباية خلّس التسليم بالمقل  
يقول : « مما جنى لي صباية خلّس التسليم بالمقل » كأنه قال : خلّس التسليم

( ٢ ) الديوان صفحة : ٣ .

( ١ ) الديوان صفحة : ٤٠ - ٤١ .

بالمقل مما جنى لي صباية . أي من الأمر الذي جنى لي صباية . و « خلس » رفع بالابتداء . و « مما جنى لي صباية » خبر الابتداء . ونصب صباية يجنى ، وفي « جنى » ضمير ما مرفوع بفعله . وفعله جنى . ومثله « من الذين جنوا لي صباية زيد » . وقال قوم : إن صباية مفعول لجلس التسليم ، وإن خلس التسليم رفع يجنى . وإنما دخل عليه في ذلك الغلط من طريق قولك : « من الدار جنى لي صباية زيد » . فقولك من الدار ظرف لا ضمير له في جنى . وجنى فعل فارغ من الضمير ، وزيد فاعله كأنك قلت : جنى لي زيد صباية من الدار . وقوله : « وإن كانت منى صدقت » أي وإن كانت منى التي كنت آتمنى فيها برؤية أحبتي قد صدقت فرأيتهم كما تمنيت غير أن البين نفص علي رؤيتهم . والجلس جمع خلصة ، وهي استراق اللحظ مخافة الرقباء . هذا الذي أراده .

وهو يحتج في مواضع مختلفة بالشواهد الشعرية لتأييد شرحه لمعنى كلمة من الكلمات « ٤ ، ٥ ، ١٢ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٢ ، الخ » . واحتج لمعنى من المعالي بشطر من أبي تمام ( ٧٠ - ٧١ ) وأشار مرتين إلى الأمثال ( ٣٧ ، ٩٢ ) . وأشار مرة واحدة إلى ضرورة من الضرائر الشعرية دون ذكر كلمة الضرورة <sup>(١)</sup> . قال صريع :

سل الناس إني سائل الله وحده وصائن عريض عن فلان وعن فل

الشرح : « أي وأصون عرضي - يعني نفسه - عن فلان وعن فلان وحذف من فلان الثاني الألف والنون استخفافاً وللقافية كما ترى <sup>(٢)</sup> » .

السرقا : ويعرض بين الفترة والأخرى إلى سرقا صريع الغواني أو السرقا منه . وهو أشار إلى نحو خمسة عشر مثلاً . ويعبر عن السرقة بالأخذ حيناً ، وأن « مثله » لفلان ، و « هذا كقول القائل » . وعبر بالأخذ صراحة

١ ( نقل ابن عبد ربه في العقد أن ( فل ) تستعمل ضرورة بدلاً من فلان : ٤ : ٥٤ .  
٢ ( الديوان صفحة : ٢٦ .

أربع مرات فقط ، ذَكَرَ بيت صريع :

قاله ما جهل السرور ولا الكرى أن الفراق من اللفاء أديلا  
وقال : أخذه حبيب فقال :

أترى الفراقَ يظن أني غافلٌ عنه ، وقد لمست يداه لميسا (١)  
هذا عن سرقة أبي تمام من صريع . وفي موضع آخر (٢) ، قال صريع :  
فإن تبقي الأيام تجنبني العصا وإن تفنني فكل حيٍّ لها أكل  
... وأخذ هذا المعنى من قول لييد بن ربيعة حيث يقول :

أليس ورائي إن تراخت منيқи لزوم العصا تحنى عليها الأصابع  
وأشار الى أخذ العباس بن الأحنف أحد معاني صريع (٣) . ووصف  
مواطنه ابن عبد ربه بالأخذ من صريع ، مع انه اعترف بأن ابن عبد ربه نقل  
المعنى من شيء الى شيء آخر ، قال صريع :

لنطُف المزاج لها فزَّين كأسها بقلادة جعلت لها إكليلا  
... وإنما يريد أن الماء أحدث لها ( للخمر ) عند المزاج زبداً كالدر أهدق  
بحيطان كأسها . وأخذ ابن عبد ربه هذا المعنى وجعله في وصف الدمع :  
وكأنما غاض الأسى يحفونها حتى أنك بلؤلؤ منشور (٤) .  
هذا عن تعبيره بالأخذ . وهذه نماذج من رأيه في مماثلة الشعر بعضه لبعض .  
قال صريع في الخمر :

ومالحة شرابها الملك ، قهوة بجوسية الأنساب ، مُسلعة البعل  
... ومثله للأخطل :

إذا ما نديمي علّتي ثم علّتي ثلاث زجاجات لهن هدير  
خرجت أجر الذيل خلفي كأنني عليك أمير المؤمنين أمير (٥) .

( ٢ ) الديوان : ٨٠ - ٨١

( ٤ ) الديوان : ٥٧ .

( ١ ) الديوان : ٥٤ .

( ٣ ) الديوان : ١٠٣ .

( ٥ ) الديوان : ٣٥ .

ولم يعلق بأكثر من ذلك ، ولعله رأى أن مسلماً اختصر معنى البيتين في  
فقرة واحدة وزاد في بيته معاني أخرى فسكت عن أن يسمي ذلك أخذاً أي  
سرقة مباشرة ، ولكننا نقر بأنه لم يشر مرة واحدة صراحة إلى شيء يشبه  
هذا الكلام . وقد يكون رأيه في المماثلة لسبب وجيه ، فأبو نواس معاصر لمسلم  
ابن الوليد ولا يملك أن ينسب المعنى إلى واحد قبل الآخر . « قال صريع :  
تصد بنفس المرء عما يغمه وتنتطق بالمعروف ألسنة البخل  
... كما قال أبو نواس : « وتنزل درة اللحن الشحيح <sup>(١)</sup> » .

وإن كانت الصيغة التي أورد بها الشارح حديثه توحى بسبق أبي نواس . وقد  
يعني بالمماثلة أن الشاعر أخذ بعض المعنى ، دون تمامه . « قال صريع :  
ورُحْنٌ والعينُ للتوديع والكفة إنسانها من مسيل الدمع في صعد  
... ومثله لدى الرمة :

وإنسان عيني يحسر الدمع نارة فيبدو ، ونارة يحيم فيغرق <sup>(٢)</sup> » .  
ولا شك في أن الدراسات النقدية الخاصة بالسرققات في المشرق لم تكن قد  
اكتملت وانتهت <sup>(٣)</sup> ، ولا ندري أيضاً ماذا كان بين يدي الشارح من كتب  
عالجت هذا الموضوع على وجه من الوجوه . ويظهر من قلة ما تحدث عن  
السرققات في شرحه دون ذكر كلمة السرقة أنه كان يزين شرحه بذلك ،  
ولا يعنسي نفسه بتحقيق سرققات صريع ، ولا السرققات منه ، وإلا لكان اتخذ  
موقفاً أكثر وضوحاً وأدق اصطلاحاً .

البديع . ثارت حول طريقة مسلم بن الوليد مناقشات كثيرة في المشرق ،  
فقد قال فيه الجاحظ عند حديثه عن البديع <sup>(٤)</sup> : ومن الخطباء ممن كان يجمع

---

١ ( الديوان : ٣٦ .  
٢ ( الديوان : ٨٦ .  
٣ ( مشكلة السرققات في النقد العربي - محمد مصطفى هدار - نشر مكتبة الأنجلو  
المصرية - سنة : ١٩٥٨ .  
٤ ( البيان للثمين للجاحظ - تحقيق عبد السلام عارون - الطبعة الثانية - ١ :  
ص ٥١ .

الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمرو العتابي وكنيته أبو عمرو ، وعلى أفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين. كنجو منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد الأنصاري وأشباههما . وافتتح ابن المعتز كتابه ( البديع ) بالحديث عن طرائق المحدثين ومنهم مسلم بن الوليد فقال : « قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ، ليُعلم أن بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقيتهم وسالك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، ولكنه كثر في أشعارهم فمرف في زمانهم<sup>(١)</sup> . ولكن الشارح لم يشر إلى شيء من ذلك ، ولا أثار له جدالاً . وهو مع إشارته القليلة التي سنتحدث عنها فيما يتعلق ببعض أغراض البديع ، لا ينبه على أي مصدر يدلنا من أين استقى ولا من أين نقل . وهو اكتفى بعرض بعض المعلومات القليلة الساذجة عن التشبيه ، والاستعارة ، ولم يزد على ذلك . وكان كثيراً ما يشرح المعنى المقصود بالتشبيه أو الاستعارة دون الإشارة إلى اسميهما ، وحين يذكر ذلك فنادر ما ينبه على طرف من أطراف الاصطلاح إلى وقته .

كان الشارح يميز كل تشبيه ويشرح المعنى المقصود بكل وضوح ودقة ، ولكنه لم يكن يلتزم القول : شبه كذا بكذا ، ولا تبيان أركان التشبيه ، إلا ما جاء من إيضاح بغير كلمات الاصطلاح الذي صار معروفاً فيما بعد . وسنقف على بعض تشبيهات صريع ، ونقتبس معالجة الشارح للتشبيه فحسب .

قال صريع :

كأن حبابَ الماء حين يَشْجُشُ لآلئِ عقد في دماليج أو حجل  
قال الشارح وشبه الزبد بالآلئ<sup>(٢)</sup> ، وخرج إلى شرح المفردات وجملة المعنى .  
وهنا أورد كلمة ( تشبه ) .

١ ( البديع لابن المعتز - نشر عبد المنعم خفاجي - مطبعة مصطفى الحلبي : ١٣٦٤ -

٢ ( الديوان : ٣٩ .

١٩٤٥ . ص : ١٥ - ١٦ .

قال صريع :

كَأَن فَنِيْقًا بِأَزْلًا شُكَّكَ نَحْرُهُ إِذَا مَا اسْتَدْرَت كَالشَّمَاعِ عَلَى الْبَزَلِ  
قال الشارح : « يقول كأن صبيها إذا ثقت هذه الخابية كصبيب دم انبعث  
من نحر جبل فنيق أي أبيض حين نحر . والنحر أن يطعن في ثغره ، وهي  
النقيرة في أصل حلقه ، فتبلغ الحديدية إلى داخل صدره . وجعله فنيقا أي أبيض  
ليستبين مع ذلك حمرة الدم <sup>(١)</sup> . » فهو هنا شرح معنى الاستعارة وجاء بالكاف  
بين طرفي الكلام إشارة إلى مشبه ومشبه به ، ولم يستعمل كلمة ( شبه ) التي  
كان استعمالها في البيت السابق ، لفكرة لم يُفَضَّ في شرحها .  
وهو يدرك معنى الاستعارة كما شرحها وبين أمثلتها ابن المعتز في ( البديع ) <sup>(٢)</sup>  
فيقول إن الشاعر أجرى كلامه على الاستعارة أو على سبيل الاستعارة أو  
استعار كذا . ويشرح المعنى بعد ذلك بما يتلاءم مع فهمه للاستعارة . قال  
صريع <sup>(٣)</sup> :

« وَقَمْتُ بِالْدِّينِ يَوْمَ الرِّسِّ فَاعْتَدَلْتُ مِنْهُ قَوَائِمٌ قَدْ أَوْفَتْ عَلَى مِيلٍ  
... » وجعل الدين دعائم على الاستعارة . يقول ليزيد بن مزيد : نصرت  
الدين وكاد أهله يغلبون . هذا الذي أراد . ونجد إشارات للاستعارة صريحة في  
مواضع أخرى مختلفة <sup>(٤)</sup> . ولكنه لا يلتزم ذلك ، بل قد يشير إلى جانب  
التشبيه من الاستعارة صراحة ، دون التصريح بالاستعارة نفسها .  
قال صريع عن النحر :

« أَمَانَتْ نَفُوسًا مِنْ حَيَاةٍ قَرِيبَةٍ وَفَاتَتْ فَلَمْ تَطْلُبْ بِتَسْبَلٍ وَلَا ذَحَلٍ  
... » يريد أنها أسكرتهم ، فشبه سكرهم بالموت ... <sup>(٥)</sup> وإذا كنا لانطالع  
الشارح بإيضاح كل ملاحظة بلاغية أو التنبيه عليها ، فإن ما ذكره الشارح  
وأورده لا يتناسب مع مكانة صريع الغواني من ( البديع ) ولا مع ما ملأ به

١ ( الديوان : ٣٩ .

٢ ( البديع : ١٩ وما بعدها .

٣ ( الديوان : ٢٠ .

٤ ( ٨١ ، ١٦٣ .

٥ ( الديوان : ٣٨ .



ديوانه من تشبيهات واستعارات وكنيات ، وفنون أخرى بديعية كانت لا شك معروفة زمن الشارح ، شائعة .

ملاحظات ذوقية نقدية : انصب اهتمام الشارح على المعاني وإيضاحها ، وجعل من اهتمامه الدقيق باللغة واسطة أمينة لذلك . وهذه الحاسة كان يميز بين الروايات المختلفة ويرجح . وكان يعضد آراءه بما يلائم من شاهد لغوي أو مأثور شعري أو قول عالم مشرق مشهور . قال صريع في الخبر :

« شققنا لها في الدن عينا فأسبلت كما أسبلت عين الخريد بلا كحل يقول : شققنا لها في الدن عينا أي ثقباً فأسبلت أي ففاضت كما فاضت عين الخريد بدمعها بلا كحل . قال أبو عمرو بن العلاء : يقال امرأة خريد وخريدة وهي الحبيبة أي المحتشمة . وقد وقع في بعض الروايات : ( عين الخريدة بالكحل ) واعتل له بعض الناس بأن قال : إنما أراد بذكر الكحل الزفت الذي يكون حوله ثقب الخابية محققاً لها كإحداثي الكحل بالمقلة والأول أجود ، لقول الحسن بن هانئ البصري :

قضت خواتمها في مثل واسفها عن مثل رقرقة في جفن مرهه<sup>(١)</sup> .

ورد رواية أحد الأبيات لمخالفتها أصلاً في اللغة ، قال صريع :

« والناس كلهم لضيئي واحد ثم اختلاف طبائع في أنفس

. . . ووقع في بعض الروايات : والناس كلهم لصينو واحد « وكيف يكون هذا صواباً ، والصنو ليس يكون صنواً حتى يكون له صاحب مثله . وأصله النخلتان تنبتان في أصل واحد وجذوعهما مختلفة<sup>(٢)</sup> . . . » ، فرجع هناك رواية ، ورد هنا أخرى . ويصل به حسه إلى التشكيك في رواية بيت — لم يشر إلى غيرها — ويكاد ينفي نسبته إلى صريع ، وهو :

« ظللنا نشوف الجلد بالجلد لا نرى له ولها في طيب مجلسنا قدرا

وقع في الرواية : « نشوف الجلد بالجلد » وليس هذا الكلام يشبه كلام صريع

(١) الديوان : ١٣٣ .

(٢) الديوان : ٣٨ - ٣٩ .

لأنه معقد في شعره وصف العفاف « لا نرى لها - يعني الحر - في طيب مجلسنا قدرا . ولو روى « نشوف اللهو بالراح لا نرى له ولها في طيب مجلسنا قدرا لكان حسناً <sup>(١)</sup> » .

وهو في ذلك كله يصدر عن ثقافة عربية ، وعن تقدير للقيم الشعرية العربية تذكرنا بآراء ابن قتيبة « وليس لتساخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين <sup>(٢)</sup> » . فهو يعرض بعض شعر صريع الغواني على تلك القيم ، ويرجح مذهب المتقدمين . قال صريع :

« وتجنبني الخفراء إن سيوفهم حدث وإن قناتهم لم تضرس  
يقول للسحابة أمطري الأنصار « وتجنبني الخفراء إن سيوفهم حدث ، أي جمع حديث ، وإن قناتهم لم تضرس . ولو قال : ( إن قنيتهم حدث وان سيوفهم لم تضرس ) لكانت أجسود لأن الشعراء إنما تصف بالفلول السيوف ، وتصف الرماح بالانقصاص . والخفراء قوم بأعيانهم <sup>(٣)</sup> » . وناقش مسألة أخرى بالطريقة نفسها <sup>(٤)</sup> . وعلق على قول صريع :

إذا ما بدا رُفَع الأستار عن ملك تنكسي الشهود به نوراً وإظلاماً  
بقوله : « وهذا من بديع الكلام <sup>(٥)</sup> » . وأغلب الظن أنه استحسن المعنى العام للبيت ، لأنه لم بشر قط إلى الطباق في شرحه لنوجه الكلام إليه . ولا نعلم بعض الإشارات الأندلسية وهي قليلة جداً ، ولا دخل لها بجوهر شرحه الذي قال فيه محقق الديوان إنه شرح مشرقى الروح . فقد رأينا ملاحظته الفريدة عن سرقة ابن عبه ربه من شعر صريع الغواني . وشرح كلمة المهامه بالفحوص <sup>(٦)</sup> . وشرح قول صريع <sup>(٧)</sup> .

حق إذا الفجر استضاء أختها لأذوق نوماً أو أصيب مكيلاً

- |                     |  |
|---------------------|--|
| ١ ( الديوان : ٥١ .  | ٢ ( الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٦٦ . |
| ٣ ( الديوان : ١٣٦ . | ٤ ( الديوان : ٤٥ .                     |
| ٥ ( الديوان : ٦٦ .  | ٦ ( الديوان : ٥٩ .                     |
| ٧ ( الديوان : ٥٩ .  |  |

« يقول : مشيت طول الليل حتى إذا الفجر استضاء أنخنتها لأذوق نوماً أو أصيب مليلاً ، أي خبزاً مملولاً وهو المطبوخ في الملة . وذكر أبو حاتم أن الملة : الموضع الذي يطبخ فيه الخبز . وأهل الأندلس لا يعرفون الملة إلا التي يطبخ الخبز في قوش منها <sup>(١)</sup> ، مستعمل من الأرض قصد صار متوسطها بين أرضها وسقفها » . فهو ينبه قارئه إلى خلاف في استعمال الكلمة بين ما ورد في الشعر المشرقي ، وبين ما آلت إليه استعمالها في الأندلس .

وفي موضع آخر قال صريع <sup>(٢)</sup> :

« أطلت بمجدافين يمتورانها وقومها كبح اللجام من الدبر

يقول : ( أطلت السفينة بمجدافين يمتورانها أي مقدافين يتداولانها . وقومها كبح اللجام من الدبر ) أراد باللجام ههنا الرجل رجل المركب ، وهو الذي يقول له أهل البحر في الأندلس الأشباطة <sup>(٣)</sup> وبه يقوم المركب كما يقوم الفرس باللجام . وهذه الاشارات على قلتها أثر أندلسي طريف في هذا الشرح المبكر من الشروح الأندلسية . وما ندري فلعل المؤلف ضمن أول كتابه وقسمه المفقود معلومات كثيرة وملاحظات هامة .

وخلاصة ما نقول في طريقة شرحه إن الشارح كان يشرح كل بيت بمفرده في أغلب الأحيان ، ويكون شرحه الكلمة الغربية بكلمة مرادفة أو جملة ،

١ ( الديوان : ٥٩ وانظر دوزي ٢ : ٤٩٩ ونقل عبارة الطيبي .

٢ ( الديوان : ١٠٩ .

٣ ( في كتاب ( لحن العمامة ) لابن هشام اللخمي مقتطعات نشرها الدكتور عبيد العزيز الأهواني في مجلة معهد المخطوطات المجلد الثالث ١٩٥٧ - فصلة صفحة : ١٦ ما نصه : يقولون للقي يسكنها الملاح الإشبطة ، والصواب الخيزرانة . وقيل إن الخيزرانة السكان . قال النابغة :

يظل من خوفه الملاح ممتصماً بالخيزرانة بعد الأين والنجد  
وقيل الخيزرانة المردى ، وكل خشبة ناعمة لينة فهي عند العرب خيزرانة » . وانظر دوزي : ١ : ٧٢١ قال في إشبطة : وتفسيره بالسريانية عصا الراعي .

ويستعين على ذلك حين يرى حاجة ماسة بالشواهد الشعرية أو الآية من القرآن الكريم . ثم يشرح معنى البيت ، شرحاً مبسوطاً وبخاصة المعاني الخفية أو الدقيقة ، ويستخرج معاني الشاعر المستترة وراء الاستعارات والكنائيات والتلميحات . ويستعين كثيراً بألفاظ الشاعر نفسه مضمناً إياها في شرحه . وكان يشير بعض الإشارات القليلة في التساريخ أو الاعلام ، وتركز اهتمامه على شرح المعاني بالدرجة الأولى مستعيناً بثقافة لغوية جيدة ، وثقافة عربية عميقة تدل على اطلاعه على كثير من التراث المشرقي .



## شرح ديوان المتنبي لابن الأفلحلي \*

٣٥٢ - ٤٤١

عبد ابن حزم فضائل بلده الأندلس وذكر من رجالها من شهد له بالبروز والنبوغ منذ بدايتها إلى عصره ، وكان ممن قال ثناءه نحوي أديب من قرطبة ، فقال في حديثه عن تآليف الأندلسيين في الشعر « ومما يتعلق بذلك شرح أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن الأفلحلي لشعر المتنبي ، وهو حسن جداً » . وهي شهادة ذات مغزى كبير ، لأنها صدرت عن رجل خبير عالم بالأندلس وأهلها ، وشارك في علوم شتى <sup>(١)</sup> .

\* ( ترجمته في الذخيرة لابن بسام - القسم الأول - المجلد الأول ٢٤٠ - ٢٤٢ ، وانظر تعريض ابن شهيد لابن الأفلحلي ٢٣٣ - ٢٣٥ . وذكره في الصلة لابن بشكوال ٩٣١ - ٩٤ وجذوة المقتبس للحميدي : ١٤٢ - ١٤٣ ، ونقل ثناء ابن حزم عليه . وفي بغية التمس للضيبي صفحة ١٩٩ ، الترجمة رقم ٤٨٥ واعتمد في معظمه على الحميدي ، وفي إرشاد الأريب لياقوت ٢ : ٤ ( طبعة مصر ) ، وفي رقيات الأعيان لابن خلكان - طبعة الشيخ محي الدين عبد الحميد الأول ١٣٦٧ - ١٩٤٨ : ٣٣ - ٣٤ وفي بغية الرعاة للسيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الأولى ١ : ٤٢٦ ، ومظمها من ياقوت وفي إنباء الرواة على أنباء الرواة للقطبي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٩٥٠ - الجزء الأول ١٨٣ - ١٨٤ . وشذرات الذهب ٣ : ٢٦٦ ، ومعجم البلدان لياقوت ( ليبزيسغ ١٨٦٦ ) ١ : ٣٣٢ ، ونقل عن ابن بشكوال ، وله ترجمة في المغرب ١ : ٧٢ - ٧٣ ، ونقل ما قاله ابن شهيد ، عن ذخيرة ابن بسام . وشذرات الذهب الذهبي - ط القدسي ١٣٥٠ مصر - ج ٢ : ص ٢٦٦ .

ر . : 142 . 1 . s . 88 , G 1 . Brock

( ١ ) نفح الطيب ٢ : ١٦٦ .

### ترجمته :

ابن الافليلي هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا . بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الافليلي ، وهو من أهل قرطبة . وحدث أحد الذين رووا عنه وهو أبو مروان عبد الملك بن زيادة الله الطنبجي قال « أخبرني أن إفليلاً<sup>(١)</sup> قرية من قرى الشام ، كأن هذا النسب اليها<sup>(٢)</sup> » . ولد في شرال سنة ٣٥٢ وتوفي في ذي القعدة سنة ٤٤١ ، فهو عمر طويلاً وأدرك زمناً من الدولة الروانية ، وعاصر الفتنة التي زعزعت هيبة الخلافة ثم أدرك زمناً يسيراً من عصر ملوك الطوائف . ويلقب في بعض المصادر بالوزير ، لأنه كتب لأحد خلفاء بني أمية زمناً يسيراً ، ونقل ابن بسام قصته عن ابن حبان المؤرخ الاندلسي فقال : « واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي بعد أن برد فوقه كلامه جانباً من البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم يجز في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزُهد فيه »<sup>(٣)</sup> . وقد حكم المستكفي الاندلسي في ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربع مئة ، وخلع في أوائل سنة ست عشرة وأربع مئة ، فكانت دولته سبعة عشر شهراً صعباً نكدات ، سوداً مشوهات

( ١ ) قال ابن بشكوال في الصلة ١ : ٩٣ ان نسبته الى افليل . وضبطها محقق كتاب إنباه الرواة ١ : ١٨٣ بكسر الهمزة ومد الألف بلا همزة ( إفليل ) . وابن خلكان في وفيات الأعيان ١ : ٣٤ ينقل ترجمته - دون أن يعين صراحة - عن ابن بشكوال نقلاً شبه حرفي ، ولما انتهى من ترجمته قال « والإفليلي بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام ، وسكون الياء المثناة من تحتها وبمدها لام ثانية ، هذه النسبة الى الإفليل وهي قرية بالشام كان أصله منها » . والعبارة الأخيرة من ابن بشكوال أيضاً . وينفرد ابن خلكان ويتابعه الذهبي في شذرات الذهب بتعريف المدينة وضبط لفظها . وفي ياقوت ( البلدان ) ١ : ٣٣٢ . « أفليلاء » بفتح الهمزة ، ثم نقل ترجمته عن ابن بشكوال . فكل المأخذ عن ابن بشكوال . ويزيد ياقوت همزة متطرفة في آخر الكلمة ، يمكن أن يكون طابع الصلة الأول سها عنها لاحتمال رسمها مدة فوق الألف الأخيرة ( إفليل ) أما ابن خلكان فلا تدري من أين أخذ الا أن يكون اجتهد ، قياساً على حذف ياء النسب . ويظل ياقوت أرجح الآراء .

( ٢ ) الصلة ١ : ٩٣ ، ونقله القفطي ١ : ١٨٣ .

( ٣ ) الذخيرة ١ - ١ : ٢٤١ .

مشؤومات<sup>(١)</sup> ، وأنحى ابن حيان على المستكفي وهجن سلوكه وخطئته فوصفه بالغفلة والانقطاع إلى البطالة ، والجهالة ، ووصفه بسوء التدبير وأنه قد « تسمى بالوزارة في أيامه مفردة ومثناة أراذل الدائرة ، وأخابث النظر فضلاً عن زعائف الكتاب والخدمة<sup>(٢)</sup> » وإن المستكفي ارتقى بكثير من ضمايف الفقهاء وأصاغهم إلى منزلة الشورى وسمه الفتوى . وصب المؤرخ غضبه ، وصور البلاد بأنها كانت في أسوأ حال . وهو عالم نحوي أديب ، تصدر للاقراء فدرس الناس عليه ، وتلقوا اللغة والادب والنحو . وقال فيه معاصره الحسيني إنه « كان متصديراً في علم الادب ، يُقرأ عليه ويُختلف فيه اليه<sup>(٣)</sup> » . ويظهر أن أيامه القليلة التي قضاها وزيراً لم تؤثر في مجرى حياته ، فسرعان ما عاد إلى عمله الأصلي ، في حلقة العلم والرواية .

#### ثقافته :

وقد روى عن أبيه<sup>(٤)</sup> ، وعن أبي عيسى الليثي<sup>(٥)</sup> ، وأبي أحمد القلمي<sup>(٦)</sup> وأبي زكريا بن عائذ<sup>(٧)</sup> وأبي عمر بن أبي الحباب<sup>(٨)</sup> ، وأبي القاسم أحمد بن أبي أبان بن سعيد<sup>(٩)</sup> وأبي محمد ثابت بن أبي ثابت<sup>(١٠)</sup> وأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي<sup>(١١)</sup> وغيرهم . وأخذ عنه جماعة منهم الأعم الشنمري<sup>(١٢)</sup> وأبو مروان عبد الملك بن سراج<sup>(١٣)</sup> وأبو مروان عبد الملك بن زيادة الله التميمي الطنبلي<sup>(١٤)</sup>

- 
- ١ ( الذخيرة ١ - ٣٧٣ . ٢ ( الذخيرة ١ - ٢٨٣ .  
 ٣ ( جذرة المقتبس : ١٤٢ . ٤ ( الصلة ١ : ٩٣ .  
 ٥ ( فهرسة ابن خير : ٣٩٩ . ٦ ( الصلة ١ : ٩٣ .  
 ٨ ( الصلة ١ : ٩٣ ، ابن خير ٣٥٤ ، ٢٦٤ .  
 ٩ ( الصلة ١ : ٩٣ ، ابن خير وفيه ابن سيد بدلاً من سعيد : ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٦٤ .  
 ١٠ ( ابن خير : ٣٨٣ .  
 ١١ ( الصلة ١ : ٩٣ . وابن خير ٣٤٥ - ٣٤٧ ، ٣٢٣ ، ٣٧ ، ٣٨٧ الجذوة : ٤٣ .  
 ١٢ ( ابن خير : ٣٣٤ .  
 ١٣ ( ابن خير ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٤٥ - ٤٥ ، ٣٤٧ - ٤٥ ، ٣٣٩ .  
 ١٤ ( الصلة ١ : ٩٣ ، وابن خير ٣٢٢ .

وغيرهم . وقد أكثر الأخذ عن أبي بكر الزبيدي الذي اتصل بأبي علي القالي ، وأخذ تراث القالي عن الكاتب صاحب الشرطة أبي القاسم أحمد بن أبان . وفي مواضع متفرقة من فهرسة ابن خير أسماء لبعض الكتب التي رواها ابن الإفليلي عن ذكرت آنفاً . فمن كتب الأنحاء واللغات : فعلت وأفعلت للزجاج<sup>(١)</sup> وكتاب أبنية سيدي<sup>(٢)</sup> واختيار فصيح الكلام لأبي العباس ثعلب ، وفائت الفصيح<sup>(٣)</sup> وكتاب أدب الكتاب لابن قتيبة<sup>(٤)</sup> والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام<sup>(٥)</sup> وكتاب الألفاظ لابن السكيت<sup>(٦)</sup> . ومن كتب الأمثال ، كتاب الأمثال لأبي عبيد<sup>(٧)</sup> . وروى أيضاً كتاب خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت<sup>(٨)</sup> ، والميسر لابن قتيبة<sup>(٩)</sup> ونوادر ابن الأعرابي<sup>(١٠)</sup> . ومن كتب الأدب : البيان والتبيين للجاحظ<sup>(١١)</sup> أخذه عنه ابن سراج ، ولم تكن لابن الأفليلي فيه رواية ، وأخذ النوادر وذيل النوادر ، من تصنيف أبي علي البغدادي ، عن أبي بكر الزبيدي<sup>(١٢)</sup> ، وروى المفضليات<sup>(١٣)</sup> وشعر ذي الرمة وأعشى بكر<sup>(١٤)</sup> وشعر حبيب بن أوس الطائي<sup>(١٥)</sup> . وروى عن شيخه الزبيدي كتابيه : لحن العامة ، ومختصر لحن العامة — مما يلحق بكتب اللغة<sup>(١٦)</sup> وروى ديوان المتنبي كما سندكر .

وما من شك في أن هذه ليست كل مروياته ، ولكنها تبين نموذج ثقافته ، فهي من النحو ، وكتب اللغات المختلفة ، ومن الشعر القديم ، والمحدث أيضاً ، فهو يروي ديوان أبي تمام . وينص<sup>٤</sup> ابن خير — ونقل القفطي — أن ابن الإفليلي أقرأ كتاب النوادر لأبي علي<sup>(١٧)</sup> ، وذكر أيضاً أنه أقرأ شعر حبيب بن أوس

- 
- ١ ( ابن خير : ٢٥٢ . ٢ ( ابن خير : ٣٥٢ . ٣ ( ابن خير : ٣٣٨ ، ٣٣٩ .  
 ٤ ( ابن خير : ٣٣٤ . ٥ ( ابن خير : ٣٢٧ ، ٣٢٨ . ٦ ( ابن خير : ٣٢٨ .  
 ٧ ( ابن خير : ٣٣٩ . ٨ ( ابن خير : ٣٧٤ . ٩ ( ابن خير : ٣٧٨ .  
 ١٠ ( ابن خير : ٣٧٢ . ١١ ( ابن خير : ٣٢٦ . ١٢ ( ابن خير : ٢٤٠-٢٤١-٢٤٢ .  
 ١٣ ( ابن خير : ٣٩٠ . ١٤ ( ابن خير : ٣٩١ . ١٥ ( ابن خير : ٤٠٢ .  
 ١٦ ( ابن خير ٣٤٦ — ٣٤٧ . ١٧ ( فهرسة ابن خير : ٣٢٣ .



الطائي<sup>(١)</sup> وقال في الصلة : إنه « عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي ، وأبي الطيب المتنبي ، كثير العناية بها خاصة ، على عنايته الأكيدة بسائر كتبه »<sup>(٢)</sup> ، وهو أفاد من شيوخه الذين ذكرنا ، ومن غيرهم ، و « لقي جماعة أهل العلم والأدب ، وجماعة من مشاهير المحدثين . وعاش في فترة ازدهر فيها الأدب وتآلق المشاهير من الشعراء والكتاب والمؤلفين ، وعرف عنه اهتمامه بأشعار أهل بلده ، وجمعه مجموعة جيدة منه ، على علم بانتقاء الكلام ومعرفة رائعة . وقد أثنى عليه الحميدي في الجذوة ، وأطنب في الثناء عليه ابن بشكوال في الصلة ، وترددت أصداء ذلك في كتب التراجم الأخرى . وأكثر الثناء عليه بحفظ اللغة ومعرفة الأشعار والعناية بالنحو ، وحسن الانتقاد .

#### شخصيته :

ونقل ابن بشكوال عنه صفات شخصية من حسن الخلق وطيب الأحدوثة « وكان صادق اللهجة حسن الغيب ، صافي الضمير ، حسن المحاضرة ، مكرماً جليسه » . إلا أن ابن حبان الذي كان ناقماً على مستكتب ابن الأفلحلي - وأعني الخليفة المستكفي - كما تقدم ، يصور ابن الأفلحلي من ناحيتين : فهو يثني عليه بالعلم والضبط ومعرفة اللغة ، ويتحرج في إطلاق الثناء بمعرفة معاني الشعر قال « وكان أبو القاسم .. قد بذل أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربي ، والضبط لغريب اللغة في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية ، والمشاركة في بعض معانيها »<sup>(٣)</sup> ويدخل إلى الناحية الأخرى بتمهيد يوطئ « وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن ، كثير الحسد فيه » ثم يخرج إلى نواقص ابن الأفلحلي كما يرويها هو من أنه « عدم علم العروض ومعرفته مع احتياجه إليه وإكمال صناعته به ، فلم يكن له شروع فيه » .

هذا مؤرخ ينقل الصالح والطالح ، ويحكم لابن الأفلحلي كما يحكم عليه . ولكننا

١ ( ابن خبير : ٤٠٢ . )

٢ ( الصلة : ١ : ٩٣ . )

٣ ( الذخيرة : ١ - ٣٤٠ : ١ . )

نقف أمام ناقد آخر له لا يورد إلا المثالب ، ويهاجمه من طرف جلي وطرف خفي ، وسياق كلام ابن شهيد - في مقتطفات ابن بسام من رسالته : التوابع والزوابع - يدل على أن الخلاف : إما وُصِف من غير ابن الأفلح على صناعته ، وعجبه بما عنده ، ولعله أيضاً انتقد طريقة ابن شهيد في شعر ونثر . وقد جعل ابن شهيد شيطان ابن الأفلح على صورة بشعة قبيحة ، باسم أنف الناقة فلم يكثرثَ إلا تفاخر من رواياته وحفظه . « قال - أنف الناقة - : فطارحني كتاب الخليل قلت هو عندي في زنبيل . قال فناظرني كتاب سيبويه قلت : خريت الهرة عندي عليه وعلى شرح ابن درستويه . فقال لي دع عنك ! أنا أبو البيان . قلت لا ها الله ! إنما أنت كمنّ وسط . لا يحسن فيطرب ، ولا يسيء فيلمهي . . ليس البيان من شعر يفسر ، ولا أرض تكسر ، هيهات ... حتى تتناول الوضيع فتزفمه ، والرفيع فتضعه ، والقبيح فتجسسه (١) » والخلاف الأساسي هو ما ذكره ابن حيان من لجوء ابن الأفلح في كتاباته الديوانية إلى ما سماه « طريقة المعلمين المتكلمين » في حين شيوخ طريقة الكتّاب المطبوعين .

أما عن مؤلفاته فقد اشتهر الخبر بأنه لم يؤلف غير شرحه على ديران المتنبي (٢) في حين أن كافة المصادر لم تذكر غير مؤلفه هذا . ولا يمكن أن نفهم من عبارة ابن بشكوال « وكان عنده قطعة صالحة من أشعار أهل بلده » أكثر من وجود مجموعة أندلسية شعرية في متناول يده . ونقل في المغرب عن الحنجاري أن ابن الأفلح « كان بارد النظم والنثر ، ولم يندر له من شعره إلا قوله :

صحبْتُ القطيعَ وفادمتُه      وأصبحتُ في سربه ذا انقطاع  
وأبصرت أنسي به وحده      كأنس الرضيع بثدي الرضاع (٣) »

كما قيل في ابن الأفلح شعر ( هجاء ) لمناسبة ذكرها ابن حيان . قال

١ ( الذخيرة ١ - ٢٣٤ : ١ . وانظر ( ٢٣٣ - ٢٣٥ ) .

٢ ( الذخيرة ١ - ٢٤١ : ١ ، المغرب ١ : ٧٣ . السيوطي : بغية الوعاة ١ : ٢٦١ .

٣ ( المغرب ١ : ٧٣ .

« ولحقته تهمة في دينه أيام هشام الرواني في جملة من تستبَع من الأطباء في وقته كابن عاصم والبسباسي والمختار وغيرهم . وطُلب ابن الافليلي وسجن بالمطبق ، ثم اطلق . وفيه يقول موسى بن الطائف من قصيدة :

يا مبصراً عحيت نواظر فهمه      عن كنه عرضي في البديع وطولي  
لو كنت تعقل ما جهلت مقاومي      من ضاق فرسخه بخطوة ميل  
ولئن ثلبت الشعر وهو أباطل      فلقد ثلبت حقائق التنزيل...<sup>(١)</sup>

ولا نكاد نسمع صدى لهذا الخبر فيما تلا من كتب التراجم ، ولا عند ابن بشكوال الذي أجمل معظم خبر أبي القاسم .

أثر هذا الشرح : في ترجمة ابن حزم أنه ألفت كتاباً في ( التعقيب على ابن الافليلي في شرحه لديوان المتنبي ) وهذا يعني ان ابن حزم بالرغم من ثنائه على الكتاب — كما صدرت أول الحديث — استدرك عليه بهض الأمور وتعقبه في بعض الشروح والآراء ، ولا نعرف عن الكتاب غير اسمه . وانتقل الكتاب إلى المشرق ، وأفاد منه العكبري في شرحه عن المتنبي إفادة كبيرة ، ونبه في مقدمته على أنه اعتمد على ابن الافليلي في جملة مصادره<sup>(٢)</sup> . ولم يكن العكبري يشير حين ينقل من ابن الافليلي إلى اسمه ، على حين يذكر ابن جني وابن فورجه وابن وكيع وسواهم . ولاختصار شرح ابن الافليلي — نسبياً — فإن العكبري كان يضم إلى شرحه إضافات أخرى ، فتندرج عبارته ، وكأنها من إنشائه . كما كان يفرق الشرح على منهجه إلى قسمين : شرح الغريب ، وشرح المعنى ، والحق ان إفادة العكبري من ابن الافليلي كبيرة جداً على الرغم من اغفاله اسمه إلا في مقدمة الكتاب تقريباً . وألح على النقل منه في المواضع التي أشار فيها أبو القاسم إلى بعض الفنون البلاغية . قال أبو القاسم في شرح مطلع قصيدة لأبي الطيب :

( ١ ) الذخيرة ١ - ١ : ٢٤١ .

( ٢ ) شرح التبيان للعكبري - المطبعة الشرقية بصر ١٣٠٨ هـ - ٢ : ٢٤١ - ٢٤٢ .

أين أزمعت أيها الهمامُ نحن نبت الربى وأنت الغمام

« المزمع : المعتزم ، والربا جمع ربوة وهي الأكمة . يقول : أين أزمعت الرحيل عنا أيها الملك ونحن الذين أظهرتهم نعمك لإظهار الغمام لنبت الربا ؛ وهو من آتق النبت ، ولذلك ضرب الله تعالى المثل به فقال ( كمثل جنة بربوة أصابها وابل ) وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام وأشدّه افتقاراً إليه لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسياب عنه ، ولهذا ما تشبه المتنبي به في حالته ، اهـ . وقال المكبري :

« ( الغريب ) الإزماع : العزم على الرحيل . والهمام الملك العظيم الهمة . والرباب جمع ربوة ، وخص الربا دون غيرها لأن الروضة إذا كانت على يفاع من الأرض كانت أحسن . ( المعنى ) يقول أين ، وهو سؤال عن مكان أي مكان عزمت عليه أيها الملك . قال الواحدي ونحن لاعيش لنا إلا بك فإذا فارقتنا لم نعيش كنبات الربا لا يبقى إلا بالغمام لأنه لا شرب له إلا من مائه . وغير نبات الربا يمكن أن يجري إليه الماء ، وهو من قول الآخر :

نحن زهر الربا وجودك غيثٌ هل بغير الغيث يوتق زهر

هذا كلامه وهو كلام أبي الفتح زفلا . والمعنى [ يقول أين أزمعت أيها الملك عنا ونحن الذين أظهرتهم نعمتك لإظهار الغمام لنبت الربا وهو من آتق النبت ، ولهذا ضرب الله تعالى به المثل في قوله ( كمثل جنة بربوة أصابها وابل ) وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام وأشدّه افتقاراً إليه لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ولهذا شبه أبو الطيب حاله به ] قال ابن وكيع أول هذه القصيدة سوء أدب لسؤاله ملكاً جليلاً بأين . . . » .

والكلام الذي بين معقوفتين هو كلام أبي القاسم بن الأفليلي بالحرف الواحد والمجيب أن المكبري انتقد الواحدي لنقله كلام ابن جني دون إشارة ، ثم أخذ كلام غيره حرفاً حرفاً وسكت عن ذلك ، وهذا من غريب ما يكون ! وسأشير في بعض نقولي عن شرح ابن الأفليلي الى مواضعها من شرح المكبري

لنكون نماذج ، ولو اكتمل شرح أبي القاسم في يدي لكان حديث آخر .  
وذكره ابن خلكان في ترجمة ابن الأفلح فقال : « شَرَحَ ديوان المتنبي شرحاً  
جيداً وهو مشهور <sup>(١)</sup> » وأشار في ترجمة المتنبي الى شرح أبي القاسم أيضاً ،  
وفحواها تدل على اطلاع ابن خلكان المباشر على الكتاب <sup>(٢)</sup> .

نسخ الكتاب : ذكر بروكلمان <sup>(٣)</sup> في تاريخه أن لشرح ابن الأفلح على ديوان  
المتنبي خمس مخطوطات . منها واحدة في القرويين ( رقم ١٣٤٣ ) وأخرى في الرباط  
( ٣٢٤ ) ، والمتحف البريطاني ( الملحق : ١٠٤١ ) ومنه مقتطفات في الموصل  
( داود جلي صفحة ٢٣ ) وقد حصلت على الثنتين منها : نسخة الرباط ، ونسخة  
المتحف البريطاني <sup>(٤)</sup> والحق أن النسختين مقتطفات من شرح ابن الأفلح .  
فنسخة الرباط تحوي تقريباً معظم سيفيات المتنبي . بينما تحوي نسخة المتحف  
البريطاني على مئة ورقة من السيفيات أيضاً . وستقوم الدراسة على هاتين  
النسختين ، لعلنا ندرك فيما بعد بقية الكتاب ، ونتم صورة الرأي فيه .

النسختان : نسخة المتحف البريطاني نفيسة ، ولو كانت كاملة لكانت قيمتها  
عظيمة جداً . وهي بخط مشرقى نسخي جميل واضح مشكول متقن . نسق فيه  
في الغالب كل بيتين معاً يتلوها الشرح . وهي مبتورة الأول ، وتبدأ بقوله :  
« وقال يمدحه وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أين أزمعت أهدا الهشام نحن نبت الربى وأنت الغمام .. »

وتقع هذه القصيدة في الصفحة التاسعة من مخطوطة الرباط ، وهي الثانية من  
قصائدها . ويتخلل النسخة بعض الخروم . أما نسخة الرباط ففي ٢٧٢ صفحة ،  
بخط مغربي ، كتبت في القرن العاشر ، فرغ منها نسخها سنة خمس وسبعين  
وتسميته . جعل فيها كل بيت وشرحه على حدة . وسقطت من الشرح الورقة

( ١ ) رفيات الأعيان ١ : ٣٣ . ( ٢ ) رفيات الأعيان ١ : ١٠٦ .

( ٣ ) Brock . S . 1 . 142 .

( ٤ ) ذكر الخامسة ( وأنها في برلين برقم ٧٥٦٩ ) في Brock . G . 1 . 88 .

اولاً الى فاتها شخص آخر بنسخه بديل عنها بخط مغاير . والناظر لأول وهلة يظن الكتابين مختلفين . فنسخة المتحف البريطاني جملة كل بيتين معاً ، وشرحها معاً في أغلب الأحيان ، على حين أن نسخة الرباط نسقت كل بيت وحده مع شرحه . وشيء آخر ، هو أن صاحب نسخة الرباط لعب قليلاً بالنص . فقد كان المؤلف يبدأ بشرح بعض الكلمات شرحاً لغوياً مفرداً ثم يشتمل بشرح المعاني مع شيء من الملاحظات الاخرى كما هي . وقد تطابقت لدي الشروح في كل ما ورد من قصائد النسختين . وهناك دليل قائم على ان ناسخ الرباط اجترأ على النص بحذف شرح الألفاظ . ففي الصفحة ١٥١ في شرح بعض أبيات المتنبي اضطر الناسخ إلى الاحتفاظ بشرح الالفاظ للضرورة الملحة . وفيها : « وأنشد أبو الطيب هذه القصيدة سيف الدولة بحضرة جماعة ، فلما بلغ إلى قوله : ( أقل أنل .. البيت ) رأى من حضر يعضد حروفه ويستكثرها فأنشد :

أقل أنل أن صنّ احملّ علّ سلّ أعيد  
زردّ هسّ بشّ كهب اغفر أدنّ منّ يصلّ  
فراهم يستكثرّون الحروف ويستعظمون سرعة خاطره ، فقال :

عش ابق اسمُ سدّ قدّ جُدّ مرّ انه ره فيه اسرّ نلّ  
غِظ ارم صِيب احم اغز اسب رُع زع ده له ائن بيل<sup>(١)</sup>

وَرَيْتَ الرجل إذا أصبت رثته ، وصب بمعنى أصب يقال صاب وأصاب بمعنى . ورع بمعنى أخف . يقال راع يروع . وزرع بمعنى كف ، وبيل بمعنى أمطر وأن بمعنى ارفق فيما تبدر إليه من فضلك ، وظن بكرمك من يقصدك من فضل غيرك . ثم يقول لسيف الدولة . . « وهذا كله مطابق في نسخة المتحف البريطاني لما في الورقة رقم ٤٣ .

( ١ ) دبران أبي الطيب المتنبي — تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٣٦٣ — ١٩٤٤ . ص ٣٣٢ .

رواية ابن الأفليلي للديوان : ذكر ابن خير في فهرسته أنه يروي شعر أبي الطيب المتنبي عن شيخه أبي عبد الله جعفر بن محمد بن مكي ، عن الوزير أبي مروان ابن سراج ، عن الوزير أبي القاسم بن الأفليلي ، وأيضاً عن أبي بكر بن فندلة ، عن الأعمى الشنتمري عن ابن الأفليلي ، ومن طريق ثالثة عن ذي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الحصال عن أبي تميم بن بقنة عن ابن الأفليلي . أما أبو القاسم هذا فيرويه بسنده ، قال ابن خير : « قال أبو القاسم . قرأته على أبي القاسم الحسين بن الوليد ويعرف بابن العريف عن أبي بكر الطائفي وإبراهيم المغربي كلاهما عن أبي الطيب المتنبي <sup>(١)</sup> » فقد كان ابن الأفليلي راوية مشهوراً لشعر المتنبي خاصة كما تبين من سند ابن خير .

**منهج الشرح وطريقته :** اتبع الشارح في ترتيب قصائد الديوان ، الترتيب الذي وصلت إليه روايته . والمقدمات التي يشتملها في أوائل القصائد وذكر مناسباتها قريبة في اللفظ من كثير من المقدمات - كما يتوقع من صنم المتنبي نفسه <sup>(٢)</sup> واتبع ابن الأفليلي الترتيب التاريخي شأن معظم النسخ <sup>(٣)</sup> ويظهر أنه شرح الديوان على النسق الذي وصلته روايته دون تغيير .

وهو يقدم لشرح معاني الأبيات بإيضاح بعض الكلمات وشرحها شرحاً لغوياً سريعاً ، مثل شرحه :

« أعلى الممالك ما يُبنى على الأسَل والطعن عند محبين كالقفل  
وما تفر سيف في ممالكها حق تقلقل دهرأ قبل في القفل  
الممالك جمع مملكة ، وهي سلطان الملك في رعيته ، والأسل الرماح ،  
والقفل جمع قبلة ، والتقلقل دوام الحركة ، والقفل الرؤوس واحدها قلة . وقلة

( ١ ) فهرسة ابن خير ٤٠٣ .

( ٢ ) ديوان المتنبي - تحقيق عزام - المقدمة - صفحة : ل .

( ٣ ) المصدر نفسه ، صفحة : كج .

كل شيء أعلاه . فيقول . . (١) ويمزج بين الشرح السريع لبعض الكلمات ، وبين المعنى العام ، مستخلصاً منه دقائق المعاني مستفيداً من ثروته اللغوية الغنية .

و قليلا ما يعقب على معنى من المعاني برأي يستقيه من وحي الكلام أو من ملازمته ومشابهته ، كنعقيبه على شرح البيت التالي :

« إذا ما تأملت الزمان وصرفه    تيقنت أن الموت ضرب من القتل »

ثم قال : إذا تأملت الزمان وصرفه وقد برت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الانسان من الموت كالذي يتوقعه من القتل لأن الأمرين متساويان في مكروهما ، مماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة بها ، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره الى أكره ما يكون من أموره ، وهذا يوجب الزهد في الدنيا ويدعو الى الإعراض عنها ، وقلة الأسف عليها (٢) ، فهذا التعقيب الأخير من الشارح ، وهذا التوجيه ممكن ، ولكن إيجابه إنما هو من رأي الشارح ، وهو نادراً ما يقع منه في تعليقاته .

ومعالجة الشارح لمعاني المتنبي تم عن أساليب سهل ، وحسن تأت ، وبساطة عرض . وهو يعلل المعاني ويدلل على مقاصد الشاعر المكنونة وراء لفظة أو خلف عبارة ، ويأثف لديه في هذا تبين دلالات العبارات بذاتها مع تبين الغرض البعيد من ورائها ، قال المتنبي في سيف الدولة :

« فالعُرب منه مع الكُندري طائفة » والروم طائفة منه مع الحِجَل

ثم يقول : ان عُصاة الاعراب يبتزقهم من سيف الدولة يعتصمون منه بما غرض من الرمال وبتعد من المهامه والقفار — وهناك تستقر القطا وتأمين وتفرخ وتسكن — وكذلك الروم تعتصم منه بالأوعار وقبطن الجبال ، وتلك مواضع الحِجَل ومساكنها . فأشار بجمعه بين الروم والحِجَل الى مستقر الطائفتين ومساكنهما .

( ١ ) شرح ابن الاثير ( المتحف البريطاني ) ورقة ١٢ ( الرباط صفحة ٣٢ ) .

( ٢ ) نسخة الرباط : ٤٦ .



إليه غاية قرار الصنفين ، ودل على أن سيف الدولة لا يتعرض الأعداء لحربه ولا يقاومون شدة بأسه ، وإنما يفزعون إلى الاعتصام منه بالقلوات النائية ورؤوس الجبال الشائخة <sup>(١١)</sup> . وهذا شرح في غاية من السهولة والبساطة والنفاذ .

شواهد : وهو يتوسل إلى إيضاح شروحه اللغوية وشروح المعاني ، على قلة وبقدر ، بالآيات القرآنية أو الشواهد الشعرية . كاحتجاجه بشعر الفرزدق ( ص ٥ ) والجمفري ( ص ٥٥ ) وزهير ( ص ٩٥ ) ونادراً ما يشير إلى حادثة تاريخية مثل إشارته إلى ما صنعه الحجاج من رسم عجم السواد ( ص ٥ ) قال :   
 والوسم في الأعناق والأيدي غاية استدلال المالك لمن ملكه وقصد فعل ذلك الحجاج بقوم من عجم السواد <sup>(١٢)</sup> . أو إشارة جغرافية كشرحه عن مدينة ميفارقين <sup>(١٣)</sup> . وكل هذا نادر معدود ولا يكاد يدخل في حسابات طريقته الأساسية في الشرح .

ملاحظات نحوية : وللشارح وقفات سريعة تتردد بين الفينة والفينة عند بعض القضايا النحوية ، وهو يستشهد أحياناً بكتاب سيوييه ، وبأقوال الفراء <sup>(١٤)</sup> ومن وقفاته ، ما ذكره عن الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل <sup>(١٥)</sup> ، و :   
 ما الاستفهامية بعد إلى الجارة <sup>(١٦)</sup> ، وذى اسم الإشارة المؤنث والمذكر <sup>(١٧)</sup> وحذف أن قبل المضارع وتقديرها <sup>(١٨)</sup> وإسقاط حرض الجر مع ورث وإثباته في النية <sup>(١٩)</sup> والاختبار عن التثنية بالجمع <sup>(٢٠)</sup> وتثنية أب دون رد الكلمة إلى أصلها <sup>(٢١)</sup> .   
 وحذف ياء المتنادي حين يضيف المتنادي إلى نفسه ، وحذف عساند ما التي للتعجب <sup>(٢٢)</sup> ، وتأقش النداء في وحر قلباه <sup>(٢٣)</sup> ، وفي فواعجباه <sup>(٢٤)</sup> . ويظهر

---

١ ( نسخة الرباط : ١٤٧ .	٢ ( نسخة الرباط : ٥ .	٣ ( نسخة الرباط : ٨١ .
٤ ( صفحة : ١٧ .	٥ ( صفحة : ١٨ .	٦ ( صفحة : ٢٣ .
٧ ( صفحة : ٣٢ .	٨ ( صفحة : ٤٧ .	٩ ( صفحة : ٥٥ .
١٠ ( صفحة : ١١١ .	١١ ( صفحة : ١١٧ .	١٢ ( صفحة : ١٢٢ .
١٣ ( صفحة : ١٣٢ .	١٤ ( صفحة : ٢٠٢ .	

من استعراض هذه الأمثلة أن ابن الأفلح مطلع على أمور النحو متمكن منها  
منها كما ذكرها في ترجمته ، وهو هنا يتسقط اللغات المختلفة ليجد سبلا تسوِّغ  
« شوارد » المتنبي في استعمالاته ، ووجوه عباراته . وكثيراً ما يشير إلى أن لغة  
المتنبي أو استعماله النحوي مما استعمله العرب أو وردت فيه لغة أو له شاهد ،  
أو سُمع به في الشعر .

قال المتنبي :

إلى مَ طماعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل

إلى م هي : إلى التي للتخفيض دخلت على ما التي للاستفهام فبنيت معها بناء  
كلمة واحدة ، وسقطت الألف من ( ما ) استخفافاً ، واعتدوا بالي في الكلمة  
الموصولة بها . وكذلك يفعلون بما التي للاستفهام إذا اتصل بها سائر حروف الجر ،  
ولا يفعلون ذلك بـ ( ما ) في الخبر . وأخرجهم إلى ذلك كثرة الاستعمال ،  
فيقول .. ،<sup>(١)</sup> وفي موضع آخر :

« تسل بفكر في أبيك فانما بكيت فكان الضحك بعد قريب .

وقوله في أبيك يريد في أبوك فثنى الأب على لفظه ، ولم يردده إلى أصله .  
وقد روى الفراء ذلك ، وذكر أن من العرب من يقول إذا ثنى الأب والأخ  
في الرفع أبان وأخان ، وفي النصب أبين وأخين ، والجمع على ذلك .  
وأنشد سيبويه :

فلما تبين أصواتنا بكين وفديننا بالأبين

وليس ثنية أب على لفظه بأعجب من جمعه جمع سلامة على ذلك . فهو  
استخدم ما رواه عن الفراء من جواز ثنية أب دون ردها إلى الأصل ، واحتج  
من وجه آخر بما قاس على جواز الجمع ، فجوز الثنية . ونكتفي بهذا ، بما  
يدل ويمثّل .

( ١ ) شرح ابن الأفلح ( الرباط ) ٢٣ .

في السرقات : في ثنايا الشرح ملاحظات قليلة عابرة فيما نسميه السرقات ، لأن الشارح لم يكلف نفسه هذا ، وإنما هي ملاحظات فادرة معدودة ، وهو ينتبه إلى المعاني المشتركة التي يطرحها الشعراء بحكم ما هو مألف من معاني العرب ، ولا يكون ذلك أخذاً ولا سرقة ، قال المتنبي :

« أيدري الربيع أي دم أراقا وأي فلوب هذا الركب شاقا  
الشعراء تذكر أن الحزن إذا أفرط والبكاء إذا اتصل امتزج الدم بالدمع فتلاه  
في جريه ، والمحدث في أثره ، فيقول .. (١) » .  
وعلق على قوله :

« فجاز له حق على الشمس حكماً وبأن له حق على البدر ميسم  
فقال بعد شرح البيت : « والعرب تفعل ذلك ، نصف المدرج بالقدرة على  
ما لا يقدر أحد عليه في الحقيقة لتوجب له بذلك غابة القوة وابتعد نهائيات  
القدرة » (٢) وقال أنه قول المتنبي :

« له عسكرا خيل وطير إذا رمى بها عسكراً لم تبق إلا جماجمه  
... على نحو قول النابغة :

إذا ما غزوا بالجيش خلق فوقهم عصائب طير تهندي بعصائب (٣) »  
وفي موضع آخر قال المتنبي :

« هو الشجاع يمد البخل من جبن هو الجواد يمد الجبن من بخل  
... وأجمل ما فسرهُ أبو تمام بقوله :

وإذا رأيت أبا يزيد في وغي وندى ومبدي غارة ومعيدا  
يقري مرجئه حشاشة ماله وشبا الأسنة ثغرة ووريدا  
أيقنت أن من السباح شجاعة تدمي وأن من الشجاعة جودا

---

١ ( صفحة : ٥٨ . ٢ ( صفحة : ٧٦ . ٣ ( صفحة : ٦

فبيّن أبو تمام وفسّر ، وجع أبو الطيب ، واختصر ،<sup>(١)</sup> . وأشار مرة أخرى إلى بيت للمتنبي على نحو بيت للناطقة .<sup>(٢)</sup>

ملاحظات بلاغية : كل الأحكام التي تصدرها قابلة للزيادة والنقصان ، على مخطوط ناقص ، لا نستبين فيه كل معالم شرح الشارح وآرائه ، ولكن ما نحصل عليه يعطى صورة أولية ، وإن نعمم الأحكام أو نقطع بها ، فقد يكون الاحتباس في مثل هذه الدراسات أصدق وأدق من التصميم والقطع . أقول هذا في سياق حديثي عن ملاحظات بلاغية تنخّلتها من أثناء ما لديّ من شرح ابن الإفلح . ونستطيع أن نقول إن ملاحظاته البلاغية هذه ، وشرحه للألفاظ والمعاني ، هي التي تكوّن صلب شرحه ، وتميزه عن سواه من الشروح ، لأن ما سوى ذلك ملاحظات عابرة تتخلّل أي عمل ولا تسميه بميسمها أو تلاحقه بها .

في فصل لاحق سأحدث عن البلاغة في الأندلس بنظرة عامة ، ولكنني استبق الحديث لأذكر أن الأندلسيين لم يعنوا بالدراسات البلاغية النظرية عناية أهل المشرق . وعلل ابن خلدون فيها بعد بتعميل خاص سنتعرض له . ولكن لم يكونوا معزولين عما يدور من بعيد ، وكانوا يستفيدون من ذلك ، كما سنلاحظ من الدراسات التطبيقية .

تحدث الشارح عن بعض المصطلحات البيانية والبديعية والبديعية في أثناء شرحه ، وهو لم يلتزم الإشارة إلى كل ناحية فيها نوع بلاغي أو بديعي ، بل كان يراوح بين ذلك . فنبّه على التشبيه ، والاستعارة ، والكناية . وذكر عشرة من أنواع البديع ، وهي مقتبسة من بديع ابن المعتز ، ونقد الشعر لقدامة ، والصناعتين لأبي هلال العسكري كما سأبين ، وهو لم يذكر أسماء هذه الكتب ، وعيّن ذلك بالمصطلحات نفسها مقارنة بما في تلك الكتب .

( ١ ) صفحة : ٣٨ .

( ٢ ) صفحة : ٧٩ .

قال المتنبي :

كان خلاص أبي وائل معاودة القمر الآفل

ثم شبه خلاص أبي وائل من إيساره بخروج القمر من سراره ، ومعاودته للإنارة ، وما كان عليه من السيادة بمعاودة القمر الآفل لضيائه ومراجعته لبهائه <sup>(١)</sup> . وهو يرى أن تشبيهه شيئين بشيئين أجود من تشبيهه شيء بشيء ، قال المتنبي :

« لأكبت حاسداً وأرى عدواً كأنهما وداعك والرحيل »

.. فشبه شيئين بشيئين أصح تشبيهه ، وهذا أرفع وجوه البديع <sup>(٢)</sup> . وهذا قريب من قول قدامة « وقد يقع في التشبيه تصرف الى وجوه تستحسن ، فمنها أن تجمع تشبيهات كثيرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة... » <sup>(٣)</sup> . وهو ما عبر عنه ابن الأفلح بقول ( أصح تشبيهه ) .

ونبه كثيراً على الاستعارة ، وفي أبيات يصعب احصاؤها ، وعدّها في فنون البديع كما فعل ابن المعتز <sup>(٤)</sup> ، وصاحب الصناعتين <sup>(٥)</sup> على حين أغفلها قدامة <sup>(٦)</sup> . فمن ذلك :

« وأنبت فيهم ربيع السباع فأثنت بإحسانك الشامل »

ثم قال : وأنبت من أجسادهم ربيع السباع فأخصبت في نجومها إخصاب السائمة في ربيعها فأثنت بما عمّها من فضلك وشملها من إحسانك ، وأجرى أكثر

( ١ ) شرح الديوان ( الرافط ) : ٢٥ .

( ٢ ) صفحة ١٢ ونقل المكبري الوجه البلاغي : ١٨ .

( ٣ ) نقد الشعر لقدامة بن جعفر - طبعة الخالجي ١٩٦٣ - ص ١٢٦ ، والصناعتين لأبي

هلال العسكري المتوفى ٣٩٥ - الطبعة بالآستانة ١٣٢٠ هـ ، ص ١٨٩ .

( ٤ ) البديع : ١٩ . ( ٥ ) الصناعتين : ٢٠٥ .

( ٦ ) البلاغة تطور وتاريخ - الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف بمصر ١٩٦٥ - ص :

٩١ - ٩٢ .

لفظ البيت على الاستعارة <sup>(١)</sup> ، وقال بعد شرح البيت التالي :

ويوم شرابُ بنيه الردى بفيض الحضور إلى الواغل

.. وجرى هذا الكلام على مثل ما تقدم من الاستعارة ، وهي من أبواب البديع ، وقال في موضع آخر « وجرى في هذا على الاستعارة من بديع الكلام <sup>(٢)</sup> » فلم يكن تقسيم الفنون البلاغية قد تم بعد <sup>(٣)</sup> .

وأشار إلى الكناية <sup>(٤)</sup> في مواطن مختلفة ، وفضل لفظة الكناية ، على ( الإرداف ) التي اصطلمحها قدامة ، و ( المائلة ) التي اصطلمحها أبو هلال ، فن ذلك ، شرحه قول المتنبي :

« فصرتُ إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

قال : فهو إذا أصابه الدهر بخطب من خطوبه ، وصرف من صروفه فإن ذلك إنما يوافق مثله ، ويقرع شكله ، وكنى بنصال السهام عن اشتداد الخطوب ، وقال : ان بعضها يكسر بعضاً في فؤاده لتزاحمها فيه ، وتكاثرها عليه <sup>(٥)</sup> وقد يلحق كلمة أشار بعد كلمة كنى لإيضاح المعنى ، ولكنه قد يقتصر بها عن ( كنى ) ، مثل شرحه :

ولم يخل من أسمائه عود منبر ولم يخل دينارٌ ولم يخل درهم

قال : ولم يخل من أسمائه منبر يريد أن بلاد الأرض مضافة إلى ولايته مُختطَب على منابرها له بلزوم طاعته ، ولم يخل دينار ولم يخل درهم يريد الآفاق ودراهمها مطبوعة باسمه مُسكَّكة بذكره ، يشير إلى عظم شأنه واتساع أعمال سلطانه <sup>(٦)</sup> ، وهو يستعملها هنا بمعنى الدلالة اللغوية فحسب لأن

١ ( شرح الديوان ( الرباط ) : ٣١ : المكبري ٢ : ٢٧ .

٢ ( شرح ابن الأفلح ( الرباط ) : ٦١ .

٣ ( البلاغة تطور وتاريخ : ١٦٠ .

٤ ( ص : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

٥ ( نقله المكبري : في ٢ : ٢١ ، وفيه ( اشتداد الخطوب ) .

٦ ( شرح ابن الأفلح : ٧٩ ، والمكبري : ٢ : ٢٤٨ .

للاشارة معنى آخر عند قدامة وأبي هلال <sup>(١)</sup> وباقي الفنون البديعية التي أشار إليها هي : ( ١ ) التتميم ، في شرحه قول المتنبي .

فلما نشقن لقين السياط      بمثل صفاء البلد الماحيل

يقول : فلما نشق عرق هذه الخيل على ما التبس به من الغبار لقيته سياط  
الفرسان من جلودها بمثل الحجر الأملس الذي يكون في البلد المسمعل ، وهو  
البعيد العهد بالمطر ، وذلك أبلغ في بيبسه وجفوفه . وهذه الزيادة التي تطلب بها  
الغاية وقد كان يتم الكلام دونها باب من البديع يعرف به التتميم <sup>(٢)</sup> ، كما انتبه  
إلى الصنف الآخر الذي أدخله قدامة في التتميم ثم صار من الاحتراس <sup>(٣)</sup> .

( ٢ ) الاستطراد وهو من الفنون التي وردت في الصناعتين ، وقد ورد ذكرها  
في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني أيضاً . ولكن ما ندري أوصل كتاب الباقلاني  
إلى ابن الأفلح أم لا ، وعلى كل حال فكلا الكتابين لم يرد في فهرسة ابن خير ولا  
فيما بين أيدينا من برامج العلماء . وبطل الرأي الغالب أن ابن الأفلح عرف كتاب  
ابن المعتز ، وكتاب قدامة — وقد أثني ابن حزم ( المتوفى ٤٥٦ ) عليه — وعرف كتاب  
الصناعتين لما نرى صراحة من تطابق الاصطلاحات وتطبيقاتها بكل دقة . قال  
في شرح قول المتنبي :

« فلا تعجبا أن السيوف كثيرة      ولكن سيف الدولة اليوم واحد »  
قال .. وهذا الخروج باب من البديع يعرف بالاستطراد ، <sup>(٤)</sup> .

( ٣ ) الطباق . ورد عنده بعبارة ( الطباق ) و ( المطابقة ) ؛ شرح قول  
المتنبي :

١ ( نقد الشعر ١٧٤ ، الصناعتين : ٢٧٣ .

٢ ( ص : ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، والمكبري : ٢ : ٣١ .

٣ ( تحرير التعبير لابن أبي الإصبع .

تحقيق د - حنفي محمد شرف ١٢٨٣ - ١٩٦٣ ص ٢٤٥ .

٤ ( شرح الديوان ( الرباط ) ١٠٦ .

« توليّه أوساطَ البلاد رماحه وتمنعه أطرافهنّ من العزل  
ثم قال : توليه قواعد البلاد وأوساط الأرض رماحه بتغلبه عليها ، وتمنعه  
أطراف تلك الرماح برهبة الأعداء لها من أن يُعزل عنها ، وطابق بين الولاية  
والعزل ، والأوساط والأطراف ، وذلك من البديع » <sup>(١)</sup> . وعلق بعد شرح  
بيت المتنبي :

له من كريم الطبع في الحرب مُنتَضِضٌ

ومن عادة الإحسان والصفح غامِضٌ  
قال « .. وأبدع بالمطابقة بين منتض وغامض ، والمطابقة أن يقرن الشيء  
بضده على النظام من الكلام » <sup>(٢)</sup> .

٤ ( التجنيس : ورد عنده بلفظ التجنيس والمجانسة . قال في بيت المتنبي :  
« تلقى الوجوه بها الوجوه وبينها ضرب يحول الموت في أجواله  
... وجانس بقوله : يحول الموت في أجواله لأن حروف الأصل في يحول  
والأجوال واحدة ، والمراد بالكلمتين مختلف ، واتفاق هذا في الكلام هو  
التجنيس » <sup>(٣)</sup> . وقال في موضع آخر : « والمجانسة اتفاق اللفظ مع اختلاف  
المعنى ، وذلك من أبواب البديع ، وقد بيناه فيما تقدم » <sup>(٤)</sup> .

٥ ( الاستثناء : وهو من أبواب ( الصناعتين ) <sup>(٥)</sup> ، وورد في إعجاز القرآن  
للأفلاكي <sup>(٦)</sup> . وورد عند ابن الأفلكي في شاهدين ، قال بعد شرح بيت المتنبي :  
لم يتركوا أمراً عليه من الوغى إلا دملهم على سرباله  
« وهذا من البديع يعرف بالاستثناء » <sup>(٧)</sup> وعلق بالعبارة نفسها على قوله :

١ ( شرح الديوان : ٤٥ .

٢ ( صفحة ١٠٧ . وهو عند ابن المعتز في ص ٧٤ باسم المطابقة بينا مماء قدامة التكافؤ  
ص : ١٦٣ . وهو في الصناعتين : ٢٣٨ . وانظر البلاغة تطور وتاريخ : ٨٨ - ٧٩  
والأفلاكي ٨٠ - ٨٣ .

٣ ( صفحة : ١٤٥ . وهو تحت اسم التجنيس في ابن المعتز ٥٥ . والصناعتين : ٢٤٩  
والمجانسة في قدامة ١٨٦ - ١٨٧ وبالقبين في الأفلاكي : ٨٣ - ٨٧ .

٤ ( صفحة : ٢٣٤ . ٦ ( صفحة : ١٠٦ - ١٠٧ . ٧ ( صفحة : ٥٤ .



ولم يكفها تصويرها الخيل وأخذها فصورّت الأشياء إلا زمانها  
( ٦ ) الهزل يُراد به الجحد : لم يسمه صراحة بأنه من البديع ، ولكن سياق  
كلامه يدل على ذلك ، شرح بيت المتنبي :

خذوا ما أتاكم به واعذروا فإن الغنيمة في العاجل  
ثم قال هازئاً م : خذوا ما أتاكم من هذه الوقعة متجاوزين وقصّروا لذلك  
عاذرين فإن الغنيمة فيما استعجل ، والغبطة فيما اقتضى ، وهذا على طريق الهزل  
م ، والتوبيخ بالوقعة التي عجلها سيف الدولة لهم <sup>(١)</sup> .

( ٧ ) التقسيم : ورد عند قدامة ، وعند أبي هلال باسم ( صحة التقسيم ) ،  
وشاهده من شعر المتنبي :

للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا  
والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقال بعد شرحه ومثل هذا التصنيف باب من البديع يعرف بالتقسيم <sup>(٢)</sup> .  
( ٨ ) الممثل . أورد قدامة هذا الباب باسم التمثيل ، وصاحب الصناعتين باسم  
المماثلة ، وفرّعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى <sup>(٣)</sup> ، وهو يشمل الاستعارة  
التمثيلية وبعض صور الكناية <sup>(٤)</sup> . ويلحق بهذا الباب ما يخرج المتكلم مخرج  
المثل السائر <sup>(٥)</sup> . وهذا المعنى الأخير هو الذي انتبه إليه ابن الأقبلي في القسم  
الموجود لدي من شرحه . قال المتنبي :

كلّ يريد رجاله لحياته يا من يريد حياته لرجاله  
دون الخلاوة في الزمان مرارة لا تختطى إلا على أهواله

( ١ ) صفحة : ٢٨ . وهذا الباب عند ابن المعتز صفحة ١١٢ .

( ٢ ) صفحة : ٩٣ . وهذا الباب باسم صحة التقسيم في نقد الشعر : ١٤٩ . وفي الصناعتين : ٢٦٧ .

( ٣ ) نقد الشعر لقدامة : ١٨١ .

( ٤ ) البلاغة تطور وتاريخ : ٢١٧ .

( ٥ ) تحرير التعبير لابن أبي الإصبع : ٢١٧ .

وعلق على البيت الثاني بعد الشرح « وضرب هذا مثلاً فيما قدمه ، والمثل أرفع وجوه البديع » (١) ، وعلق على قوله :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد  
فقال « وهذا مثل سائر ، والمثل من البديع قد تقدم تزيينها عليه » (٢) .  
( ٩ ) حسن الخروج : وهذا الباب عند ابن المعتز : ١٠٩ ، وفي الصناعتين :  
الخروج من النسب إلى المدح وغيره : ٣٦١ . وليس فيما بين يدي ما ينص صراحة  
كمادته على أنه باب من أبواب البديع ولكنه قال في شرح المتنبي :

... وهبت السلو لمن لا مني وبت من الشوق في شاغل  
كان الجفون على مقلبي ثياب شققن على ثاكل  
ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل  
... ثم خرج إلى وصف أمن أبي وائل أحسن خروج فقال : ولو كنت أسير  
غير الحب ومغلوباً في غير العشق [ لاحتلت ] بحيلة أبي وائل ، وضمنت لأسري  
ضمانه وسلكت في الاحتمال عليه سبيله » (٣) .

( ١٠ ) الإشارة والإيماء : قرن اللقبين معاً في أحد تعليقاته ، وأفرده باسم  
الإيماء مرة . وعرف قدامة الإشارة بقوله : « وهي أن يكون اللفظ القليل مشتملاً  
على معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها .. » (٤) قال المتنبي :

قد بلوت الحروب مرأ وحلوا وسلكت الأيام حزننا وسهلا  
وقتل الزمان علماً فما يعصرف قولاً ولا يجدد فعلا  
قال ابن الأثير بعد شرح البيت الأول « ثم قال وقد قتل الزمان علماً بأمره  
وإحاطة بوجود تصرفه فما يسمعك قولاً تستغربه ، ولا يجدد لك فعلاً تهيبه ،  
ولا يطرّفك إلا بما قد أتت عليه معرفتك وأحاطت بأمثاله تجربتك . وأجرى  
جملة لفظه في البيتين على سبيل الاستعارة ، والإيماء والإشارة ، وذلك من بديع

( ١ ) صفحة : ٥٦ . ( ٢ ) صفحة : ١٠٩ .  
( ٣ ) ص ٢٤ ، وما بين معقوفتين من المكي : ٨ : ٣٠ .  
( ٤ ) ص ١٧١ . ووردت الإشارة في الباقلاني : ٩٠ - ٩١ .

الكلام . . . وعلق على قول المتنبي :

عليها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دَوح لم تغنّ حوائه

بقوله . . . وهذا من البديع يعرف بالإيماء (١) . . .

(١١) المبالغة : لم ينص ابن الأفلحي صراحة على أنها من أبواب البديع ، وسأورد المعرض الذي سوغ لي اعتباره في أنواع البديع عنده . وقال في الصناعتين : المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته ، وضرب الأمثال على ذلك (١٢) . وأورد ابن الأفلحي أبيات المتنبي الثلاثة :

إن كان قد ملك القلوب فإنه ملك الزمان بأرضه وسماؤه  
الشمس من حساده ، والنصر من قسركائه والسيف من أسمائه  
أين الثلاثة من ثلاث خصاله من حسنه ، وإبائه ، ومضائه

ثم علق بعد الشرح : « وهذه طريقة من الجواز يحسنها للشعراء ما يحاولونه من بلوغ غايات المدح ، وما يتعارف من مثلها في اللغة » .

وبعد فالشارح منقاد في هوى المتنبي معجب به ، لم نجد له نقداً فيسه ولا قدحاً في معنى من معانيه أو إشارة لمقالة يقولها هو فيه أو ينقلها . بل كان كما بينت يلتزم لشوارد المتنبي واستعماله الضعيف من وجوه اللغة والنحو ما يسوغ ذلك ، ولا يعنى بترجيح الذي تركه المتنبي وهو راجع ، ويصدر عن إعجاب به ، وتثقل لمعانيه ، وحفظ الخبره ، وهو نموذج من نماذج « الشراح التعليميين » كما قدمنا لذلك ، ولولا ما التقطناه من بعض الملاحظات عن ( البديع ) لما كان في الشرح إلتبيان بعض الألفاظ لغوياً ، وشرح معاني الأبيات .



# شرح الأعلام الشنمري

## على الشعراء الستة

\* ٤١٠ - ٤٧٦ \*

من الآثار الأندلسية الهامة التي تختلط أهميتها بعوامل مشرقية وعوامل أندلسية كتاب « شرح الأشعار الستة » للأعلام الشنمري . وهو « أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنمري الأندلسي ، من شنمريّة الغرب<sup>(١)</sup> » . ولقب بالأعلم لأنه كان مشقوق الشفة العليا<sup>(٢)</sup> . رحل إلى قرطبة وأقام بها زمانا ، وبها تلقى عن شيوخ جلة . وفي مقدمة تأليفه لشرح الأشعار الستة نرى أنه قدم كتابه هذا إلى المعتمد بن عباد ، كما أن وفاته كانت في إشبيلية . فهو تنقل إن في طلب العلم ، أو في بث العلم ، واستيفاء مطالب الحياة . ولد الأعلم سنة عشر وأربع مئة ، وتوفي سنة ست وسبعين وأربع مئة ، فمعظم حياته أوكّلها كانت في ظل دول الطوائف ، التي سبق أن ألمعتُ إلى شيء من خصائصها . ولا شك في أن تقريب المعتمد إياه كان لما عرف عن دولة المعتمد من انتعاش الحركة الأدبية ، وما وصف به المعتمد نفسه من أنه « يمثل خير ممثل للشاعر

\* ترجمته في الصلاة لابن بشكوال ٢ : ٦٨١ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦ : ٧٩ -

٨٠ . وفيه الرعاية للسيوطي ٢ : ٣٥٦ ، ونفع الطيب ٥ : ٢١٤ . وذكره في المطمح

( الطبعة الأولى - الأستانة - ١٣٠٢ ) ص ٦٤ في ترجمة حفيده أبي الفضل جعفر بن

محمد بن الأعلم . وانظر : إرشاد الأريب ٢٠ : ٦٠ - ٦١ ، ونكت الحميان ٣١٣

وذكره في الروض المطار للحميري ( مصر ١٩٣٧ ) ١١٥ : في « شنمريّة » و :

Brock, G, I, 309, S, I, 542.

(١) حصن من أعمال شنتبرية ( ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٣٢٨ ) وفي المغرب ١ : ٣٩٥

« مدينة مشهورة تعرف بشنمريّة الغرب ، لأن هنالك شنمريّة الشرق » .

(٢) ابن خلكان ٦ : ٨٠

الأندلسي ، ولحمة الأدب المهذبين ،<sup>(١)</sup> وهو يقول في تقديم كتابه إليه : ولما صح لي من ذلك ما أمّلت ، وظفرت منه بما رجوته وتمنيته ، سميته باسم من شهد أهل العصر بسموه وتقديمه وأجمعت الجماعة على تعظيمه وتكريمه . . الظاهر أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله ، أدام الله علاهما ، وفي درج العز ارتقاءهما<sup>(٢)</sup> . . والنص يدل على أن الأعلام قدم كتابه إلى المعتمد في حياة والده المعتضد . وبالرغم من أنه لم يزد عمره حين وفاته عن ست وستين سنة هجرية ، إلا أنه كف بصره في أخريات أيامه<sup>(٣)</sup> .

من شيوخ الأعلام أبو سهل يونس بن أحمد الحراني ، وفي فهرسة ابن خير أن الأعلام روى عنه الألفاظ لابن السكيت وغيره<sup>(٤)</sup> ، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد الإفليبي وروى عنه كتباً عديدة في اللغة والشعر ، وفي ياقوت وابن خلكان أن الأعلام « ساعد شيخه ابن الإفليبي المذكور على شرح ديوان المتنبي »<sup>(٥)</sup> ولا ندري معنى هذه المساعدة ولا مقدارها ، إلا أن ابن خير نص على أن الأعلام قرأ على ابن الإفليبي ديوان المتنبي ، وعبارة ابن خير في روايته الديوان هي « وحدثني به يعني ديوان المتنبي - أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر بن فندلة رحمه الله ، قال : حدثني به أبو الحجاج يوسف بن سايان النحوي الأعلام رحمه الله قراءة عليه ، قال حدثني به أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن الإفليبي قراءة مني عليه . » ولعل ما بينها في أمر الديوان مثل ما يكون بين الأستاذ وتلميذه النجيب من مباشرة ومشاورة ، وقد يكون الأعلام دون شرح استاذ . ومن شيوخه : أبو بكر مسلم بن أحمد الأديب<sup>(٦)</sup> . ومن أخذ عنه أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر

(١) أدب الأندلس وفارغها ( سلسلة محاضرات ) ليلي بروفنسال ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة وعبد الحميد المبادي - القاهرة ١٩٥١ - ص ١٤ .

(٢) ديوان امرئ القيس بشرح الأعلام الشنتمري ، دار المعارف بصر ، ط الثانية . ص ٥ .

(٣) الفصحة ١ : ٦٨١ . (٤) ابن خير : ٣٣٠ ، ٣٩٩ .

(٥) ٨٩ : ٦ . (٦) الفصحة ٢ : ٦٨١ ، وفيات الأعيان ٦ : ٧١ .

ابن فندلة<sup>(١)</sup> وأبو علي الغساني<sup>(٢)</sup> والوزير أبو الوليد اسماعيل بن عيسى بن حجاج اللخمي ، وأبو بكر محمد بن غالب القرشي العامري<sup>(٣)</sup> ، وغيرهم .

#### ثقافته :

ومن سرده أسماء الكتب التي تلقاها أو رواها ونقل روايتها عنه من بعده حتى وصلت إلى ابن خير ، نرى أن اهتمام الأعلام كان موزعاً بين النحو واللغة والأدب : الشعر منه بخاصة . ومعظم تراجمه قليل عادة بمسيرة ( النحوي ) لمكانته من علم النحو ، ومؤلفاته فيه كما سنبين . ولكن شهرته أديباً وشارحاً ، وقيمته في ذلك ، لا تقل عن شأوه نحوياً فذاً متقدماً . فقد قرأ الكامل لأبي العباس المبرد على ابن الأفلح<sup>(٤)</sup> ، وقرأ عليه أيضاً نوادر أبي علي<sup>(٥)</sup> وذيل النوادر<sup>(٦)</sup> . وقرأ عليه من كتب اللغة كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد<sup>(٧)</sup> ، وقرأ كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت على أبي سهل يونس بن أحمد الخرائفي<sup>(٨)</sup> وقرأ عليه أيضاً : اختيار الفصيح لثعلب<sup>(٩)</sup> والأمثال لأبي عبيدة<sup>(١٠)</sup> وقرأ على ابن الأفلح شعر أبي تمام<sup>(١١)</sup> وشعر أبي الطيب المتنبي<sup>(١٢)</sup> . كما ذكر ابن خير في فهرسته رواية الأعلام الشنتمري لكتاب سيبويه عن ابن الأفلح<sup>(١٣)</sup> وشعر طفيل الغنوي<sup>(١٤)</sup> وشعر الخطيب<sup>(١٥)</sup> وشعر عمرو بن أحمد الباهلي<sup>(١٦)</sup> وقرأ لحن العامة ومختصر لحن العامة ، وكتاب أبلية كتاب سيبويه ، وثلاثة الكتب هذه للزبيدي<sup>(١٧)</sup> كما ذكر أنه أقرأ أدب الكتاب<sup>(١٨)</sup> لابن قتيبة . وله رواية وثقفها ابن خير فتصل بأبي علي البغدادي ، بعد سرده الكتب التي نقلها أبو علي إلى الاندلس<sup>(١٩)</sup> . وإذا كان

١ ( فهرسة ابن خير : ٣٠٥ .

٢ ( كذا أسماء في الصلاة ، وهو في رفيات الاعيان : أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد السائي : تصحيح من الناشر لكلمة الغساني .

٣ ( فهرسة ابن خير : ٣٢١ .

٤ ( ابن خير : ٣٢١ . ٥ ( ابن خير : ٣٢٣ . ٦ ( ابن خير : ٣٢٥ .

٧ ( ابن خير : ٣٢٨ . ٨ ( ابن خير : ٣٣٣ . ٩ ( ابن خير : ٣٣٨ .

١٠ ( ابن خير : ٣٤٠ . ١١ ( ابن خير : ٤٠٢ . ١٢ ( ابن خير : ٣٤٣ .

١٣ ( ابن خير : ٣٠٥ . ١٤ ( ابن خير : ٣٩٣ . ١٥ ( ابن خير : ٣٩٢ .

١٦ ( ابن خير : ٣٤٦ - ٣٤٨ . ١٧ ( ابن خير : ٣٣٣ .

١٨ ( ابن خير : ٣٩٩ . ١٩ ( ابن خير : ٣٩٩ .

هذا ما وصلنا خبره عن ثقافة الرجل ومركزه من الدراسات العربية في تلك  
الحقبة من التاريخ الفكري، فإن ما يمكن أن نتوقعه من تمام ثقافته يؤهله للثناء  
الذي تجده في الكتب، وللإحترام الذي جعله موثلاً للفتوى في اللغة والأدب  
والنحو على السواء. وحفظ لنا المقرئ في نفح الطيب، قصة لطيفة وأثراً  
صغيراً طريفاً من آثار الأعم. فقد استفق المعتمد بن عباد<sup>(١)</sup> الأعم الشنتمري  
في ضبط كلمة المسهب، أهى بفتح الهاء أم كسرهما؟ وطلب إليه تعيين مرجعه  
الذي به يرجح. قال المقرئ إنه ظل زماناً يستشكل ضبط هذه الكلمة  
إلى أن قال: « ولم يزل ذلك يتردد في خاطري إلى أن وقفت على سؤال في  
ذلك رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف  
ابن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري المشهور بالأعم، « سألك إبقاء الله  
الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمش سلمه الله عن المسهب، وزعم أنك  
تقول بالفتح والكسر. والذي ذكره ابن قتيبة في أدب الكاتب، والزيدي  
في مختصر العين: أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام، بالفتح  
خاصة، فيبين لي أبقاك الله تعالى ما تعتقد فيه، وإلى أي كتاب تسند القولين،  
لأقف على صحة من ذلك<sup>(٢)</sup> ونهل المقرئ ما قاله الأعم وهو الرسالة التي وردت  
في فهرسة ابن خير (صفحة ٣١٥). وأورد - بعد المسألة - نظماً، نظمها  
الأعم نفسه<sup>(٣)</sup>. وفي المقرئ أيضاً<sup>(٤)</sup>، مناقشة الأعم للمسألة الزنبورية التي ذكرها  
ابن خير (ص ٣١٥) في مؤلفات الأعم، وهي جواب الأعم على سؤال أحد  
الأدباء عن المسألة، وعن مسائل تتعلق بسبويه وسيرته، والرسالة في نفح  
الطيب كاملة. وهذا يعمل ما تصفه به كتب التراجم، فقد قال في الصلة:  
« وكان عالماً باللغات والعربية، ومعاني الأشعار، حافظاً لجميعها، كثير العناية

١) ونقل ابن بسام في الأخيرة في ترجمة ابن وهبون المروسي: « كان الأستاذ أبو الحجاج  
الأعم يومئذ زعيم البلد، وأستاذ ولد المعتمد. الأخيرة القسم الثاني المخطوط - ( نسخة دار  
الكتب المصرية - رقم ٣٦٧٢ أدب ) ص ٢٢ .

٢) نفح الطيب : ٥ : ٢١٧ . ٣) نفح الطيب : ٥ : ٢١٨ .

٤) نفح الطيب : ٥ : ٢١٩ .

بها ، حسن الضبط لها ، مشهوراً بمعرفتها وإتقانها<sup>(١)</sup> ، وقال بعدها : اخذ الناس عنه كثيراً ، وكانت الرحلة في وقته إليه<sup>(٢)</sup> ، وقال المقرئ « والأستاذ الأعلم هو إمام نحاة زمانه » . من رجال الصلة والمسهب والسمط ، وهو شارح الأشعار الستة<sup>(٣)</sup> .

وفي فهرسة ابن خير أكبر ثبت لما عُرف عن تواليف الأعلم الشنتمري . وهي كتاب الأشعار الستة ، وشرح أشعار الحماسة<sup>(٤)</sup> ، والنكت في كتاب سيبويه<sup>(٥)</sup> ، وعيون الذهب في شرح أبيات كتاب سيبويه<sup>(٦)</sup> ، والمختار في النحو<sup>(٧)</sup> ، وفهرسته<sup>(٨)</sup> ، وجزء فيه معرفة حروف المعجم<sup>(٩)</sup> ، وجزء فيه مختصر الأنواء<sup>(١٠)</sup> ، أو معرفة الأنواء ، والمسألة الزنبورية<sup>(١١)</sup> ، والمسألة الرشيدية<sup>(١٢)</sup> ، والفرق بين المسهب والمسهب<sup>(١٣)</sup> ، ونقل ابن خلكان أن للأعلم شرحاً على الجمل في النحو للزجاجي ، وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد<sup>(١٤)</sup> . ولا نعرف كثيراً عن علاقاته بأهل عصره ، ولكننا نتوقعها كما تكون علاقات العلماء المشهورين بمعاصرهم من علماء وحكام وطلاب علم ، وعبارة ابن بشكوال من أن « الرحلة كانت في وقته إليه » كثيرة الإيحاءات والدلالات ، ولعله شارك في شيء من هذا الشعر على عادة ما يتملش به النحاة ، واللغويون ، والفقهاء أيضاً ، ومن ذلك ما خاطب به المعتمد بن عباد ، وهي أبيات توضّح إلى حد غير قليل مكانة كل واحد من الآخر ، بالإضافة إلى ما أشرنا إليه قبل . قال :

- ( ١ ) الصلة لابن بشكوال : ٦٨١ : ٢ .
- ( ٢ ) نفح الطيب : ٢١٤ : ٥ . ( ٣ ) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ . ( ٤ ) ابن خير : ٣١٤ .
- ( ٥ ) ابن خير : ٣١٤ ، والكتاب مطبوع ، واسمه تحصيل عين الذهب .
- ( ٦ ) ابن خير : ٣١٥ . ( ٧ ) ابن خير : ٤٣٢ . ( ٨ ) ابن خير : ٢ : ٤٢٢ .
- ( ٩ ) ابن خير : ٣١٥ . وذكر ابن عبد الغفور الكلاعي هذا النص باسم : الرسالة الرشيدية ، وذكر حادثة حول الكتاب ( إحكام صنعة الكلام - الكلاعي : صفحة ٦٨ ) .
- ( ١٠ ) ابن خلكان : ٦ : ٧٩ ، والموجود من كتب الأعلم ( ١ ) شرح الأشعار الستة ( ٢ ) تحصيل عين الذهب ( ٣ ) شرح الحماسة ( ذكره الزركلي في الاعلام : ٩ : ٣٠٨ ) وفي دار الكتب المصرية نسخة من حاسة أبي تمام برواية الأعلم ، ونقل في نفح الطيب المسألة الزنبورية . والفرق بين المسهب والمسهب ( ٥ : ٢١٥ - ٢٢٦ ) .



يا مَنْ تملّكني بالقول والعمل ومُبْلِغي في الذي أملتَه أُملي  
 كيف الثناء وقد أعجزتني نِعَمًا مالي بشكري عليها الدهر، من قبل  
 رفعت للجود أعلامًا مشهرة فبابك - الدهر - منها عابر السبل<sup>(١)</sup> ،  
 وأعقب الأعم الشنتمري وأنجب ، فابنه الوزير أبو بكر محمد ، وحفيده أبو  
 الفضل جعفر ، وكان قاضي شنتمريه في وقته .<sup>(٢)</sup>

**شرح الأشعار الستة :** سنقتصر في هذا البحث على دراسة كتاب الأعم  
 الشهير ، الذي شرح فيه دواوين ستة من كبار شعراء الجاهلية ، وهم : امرؤ  
 القيس ، والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة ، بحسب ترتيب  
 شرحهم في الكتاب . وفي دار الكتب المصرية نسختان من الكتاب ، واحدة في  
 المكتبة الشنقيطية برقم ( ٨١ أدب ش ) وتحت عنوان : « شرح الأشعار الستة »  
 وثانية في المكتبة التيمورية برقم ( ٤٥٠ شعر تيمور ) وعنوانها : « شرح  
 الدواوين الستة » . وفي فهرست ابن خير أن اسم الكتاب « الأشعار الستة »  
 وورد في المقرئ أن الأعم « شارح الأشعار الست » كذا . وقد طبع منه شرح  
 شعر زهير مرات<sup>(٣)</sup> ، وشرح شعر علقمة<sup>(٤)</sup> ، وشرح شعر طرفة<sup>(٥)</sup> ، وطبع  
 ديوان امرئ القيس بشرح الأعم مرات آخرها طبعة محققة عن دار المعارف  
 بمصر<sup>(٦)</sup> .

وقد يتبادر الى الذهن السؤال عن معنى اختيار الشعراء الستة هؤلاء ،  
 وأجاب بروكلمان عن مثل هذا في تاريخه بقوله « اختار قدامى الأدباء ستة من  
 شعراء الجاهلية جعلوهم في المرتبة الأولى من التفوق والشهرة ، ولعلمهم فضلهم

( ١ ) نفح الطيب : ٥ : ٢١٤ . ( ٢ ) نفح الطيب : ٥ : ٢١٤ ، ٢٢٦ .

( ٣ ) تاريخ الادب العربي : بروكلمان ( الترجمة ) ١ : ٩٥ ، ونشر الديوان في دار الكتب  
 المصرية ١٩٩٣ - ١٩٤٤ ، بشرح ثعلب ، وأغاد الناشرون في الحواشي من شرح  
 الأعم الشنتمري : المقدمة : ص ٧ .

( ٤ ) المصدر نفسه : ٩٦ . ( ٥ ) المصدر نفسه : ٩٢ .

( ٦ ) مقدمة طبعة دار المعارف ٧ - ٨ . وهي طبعة حقاها الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ،  
 اعتمد فيها أساسا على شرح الأعم وهو صاحب الكتاب ، وأتبع ذلك زيادات النسخ  
 الاخرى - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٩٦٤ .

على غيرهم لأنهم هم الذين أمكنهم أن يجمعوا لهم دواوين أطول وأكمل . . . (١) وللأعلم تعليل في مقدمته سنورده بعد قليل . وترجع أهمية شرح الأعم إلى أنه أو أندلسي لعالم مشهور وإلى أن روايته للدواوين معروفة النسب فهي متصلة السند إلى الأصمعي نفسه وقد ذكر ابن خبير الأموي هذه الرواية في فهرسته فقال : « كتاب الأشعار الستة الجاهلية شرح الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان النحوي الأعم رحمه الله » . حدثني بها أيضاً قراءة منى عليه لها ولشرحها : الوزير أبو بكر محمد بن عبد الغني بن عمر بن فندلة رحمه الله عن الأستاذ أبي الحجاج الأعم مؤلفه رحمه الله ، يرويها الأستاذ أبو الحجاج الأعم المذكور عن الوزير أبي سهل يونس بن أحمد الحراني ، عن شيوخه أبي مروان عبيد الله بن فرج الطوطالقي ، وأبي الحجاج يوسف بن فضالة ، وأبي عمر بن أبي الحباب ، كلهم يرويها عن أبي علي القالي ، عن أبي بكر بن دريد ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعي ، رحمه الله (٢) ، وكان الأعم يضيف بعض القصائد زيادة على رواية الأصمعي فاصفاً على ذلك في مواضعه من ملحقات رواية الأصمعي في دواوينه التي شرحها (٣) . ومن هنا ، نقول كما قال الدكتور شوقي ضيف : « ولا تزال بحاجة إلى لشر شرح الشئتمري (٤) » . وستكون إحاطتي في شرح الأعم على ديوان امرئ القيس المطبوع ، وعلى نسختي دار الكتب من مخطوطة الشرح ، فقد راوحت العودة إليهما على فترات ، ولم أقصر القراءة على نسخة واحدة . وبين النسختين فروق طفيفة ، تلاحظ في الديوان المطبوع .

**دراسة مقدمة الشارح :** قدم الأعم بين يدي كتابه بمقدمة قصيرة هامة ، بين فيها روايته ومنهجه ، وسمى الشعراء الذين اختارهم ، وبين طريقته التي ارتضاها في الشرح ثم ختم بتقديم الكتاب إلى الظافر ( المعتمد ) بن عباد .

١ ( تاريخ الادب العربي - بروكلمان ( الترجمة ) ١ : ٨٧ .

٢ ( فهرسة ابن خبير : ٣٨٨ - ٣٨٩ ، وانظر في تفصيل رواية الأعم المتصلة بالأصمعي ، وسوى ذلك مما يتعلق بقيمة الكتاب : مصادر الشعر الجاهلي - الدكتور ناصر الدين الأسد دار المعارف بمصر - ١٩٥٦ - ص ٥٥ وما بعدها . ٣ ( المصدر السابق .

٤ ( المصدر الجاهلي - الدكتور شوقي ضيف - الطبعة الثانية : ١٩٦٥ - ص ١٨٠ .

بدأ بذكر أن لسان العرب خير الألسنة ، ولغتها أحسن اللغات ، فهي لغة القرآن ، وبين أهمية الشعر العربي في ثقافة العرب ، وأن أهل الشعر أقدر على تأليف الكلام . وعلل اختياره بأنه أراد أن يجمع « من أشعار العرب ديواناً يعين على التصرف في جملة المنظوم والمنثور » فهدفه من البداية تعليمي ، يقصد به إلى تربية الناشئة على طريقة تعينهم على الإجابة في التعبير وفهم تراث العرب . ثم علل اقتصاره على ما شرح « وأن أقتصر منها على القليل . إذ كان شعر العرب كله متشابه الأغراض متجانس المعاني والألفاظ » . ولكنه أضاف إلى ذلك أنه ما زالت انتقى : « وأن أؤثر بذلك من الشعر ما أجمع الرواة على تفضيله ، وآثر الناس استعماله على غيره ، فجعلت الديوان متضمناً لشعر امرئ القيس .. (١) » فهو شرح دواوين شائعة وأشعاراً مشهورة ولكنه رسم لنفسه طريقة يؤدي بها معاني تلك الأشعار ، وملاحظاته عليها ، وأضاف أنه اختار أصح الروايات وهي رواية عبد الملك بن قريش الأصمعي ، لتوافق الناس عليها واعتيادهم لها ، واتفاق الجمهور على تفضيلها ، وأتبع ما صح من رواياته قصائد متخيرة من رواية غيره (٢) . ثم بين طريقته في الشرح منتقداً شروحا أطلع عليها وعاب عليها تشاغل أصحابها يحلب الروايات دون الاهتمام بشرح المعاني والألفاظ ، وقال إن فائدة الشعر معرفة لغته ومعناه ، وهو لا يزال يرسم في ذهنه أحسن ما يقدم للطالب وأنجع ما يفيد ، قال : « وشرحت جميع ذلك شرحاً يقتضي تفسير جميع غريبه ، وتبين معانيه وما غمض من إعرابه ولم أطل في ذلك إطالة تحل بالفائدة ، وقل الطالب الملتزم للحقيقة ، فإني رأيت أكثر من ألف في شروح هذه الأشعار قد تشاغلوا عن كشف المعاني وتبيين الأغراض يحلب الروايات ، والتوقيف على الاختلافات ، والتقصي لجميع ما حوته اللفظة الغريبة من المعاني المختلفة ، حتى إن كتبهم خالية من أكثر المعاني المحتاج إليها ، ومشتتة على الألفاظ والرواية المستغنى عنها ، وفائدة الشعر معرفة لغته ومعناه ، وإلا فالراوي له كالناطق بما لا يفهم ، والعامل بما لا يعلم ، وهذه صنعة

( ٢ ) ديوان امرئ القيس : ٤ .

( ١ ) ديوان امرئ القيس : ٣ .

البهايم ولذلك قال أحد الشعراء يذكر قوماً بكثرة الرواية ، وقلة التمييز والدراية :  
 زواملُ للأشعار لا علمَ عندهم      يجيدها إلا كعلم الأباغر  
 لعمر ك ما يدري البعير إذا غدا      بأوساقه أو راحسا في الغرائر

وقد فسرت جميع ما تضمنه هذا الكتاب تفسيراً لا يسع الطالب جهله ،  
 ويتبين للناظر المنصف فضله .<sup>(١)</sup> . وختم برفع الكتاب وإهدائه . والفقرة السابقة  
 المقتبسة من مقدمة الأعلام تبين طريقة الرجل ومنهجه بدقة وعناية .

دراسة الشرح : طريقة الأعلام في شرحه على الدواوين الستة واحدة تقريباً .  
 فهو يبدأ القصيدة بموجز لمناسبتها في بعض الأحيان ، وبدون مناسبة أحياناً وهو  
 يبدأ الشرح بإيضاح لغوي لعدد من المفردات الغريبة ، ويتبعه بشرح المعنى العام .  
 وهو دقيق في شرحه الغريب من الألفاظ ، ويتوخى أن يكون ذلك ملائماً  
 لمعنى البيت ، بمعنى أنه لا يورد من معاني الكلمة إلا ما يتسق مع الموضوع  
 المطروح . ومن أمثلته قوله في شرح قول امرئ القيس :

سما لك شوق بعدما كان أقصر      وحلت سليمى بطن قوتٍ فعرعرا  
 « يقول : سما لك الشوق أي ارتفع وذهب بك كل مذهب ، لبعد الأحبة  
 عنك بعد ما كان أقصر عنك وكف بقرب من تحب دنوه منك . وقوتٌ وعرعرا  
 موضعان . بقول : حل قومها يهذين الموضعين المتباعدين عن ديارك ، واشتد لذلك  
 شوقك وتضاعف حزنك » .<sup>(٢)</sup> فهذا مثال لشرح الغريب ، وشرح المعاني . فهو  
 موجز ويؤدي المعنى ويكتفي عن فضول الكلام .

ويلاحظ في شرحه أنه يقف عند الكلمة ليحدد دقائق معانيها ، فيكون  
 شرحه بالتالي أكثر دقة ، وهو بهذا يكثر التعليل ، وتطلب ورود كلمة دون  
 أخرى ، ومثله :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
 السقط والسقط ، والسقط : منقطع الرمل . واللوى حيث يلتوي ويرق .  
 وإنما خص منقطع الرمل وملتواه لأنهم كانوا لا ينزلون إلا في صلابة من الأرض »

( ١ ) الديوان - ص : ٤ .      ( ٢ ) ديوان امرئ القيس : ٥٦ .

ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية وأمكن لحفر النوى ، وإنما تكون الصلابة حيث ينقطع الرمل ، ويلتوي ، ويرق ، <sup>(١)</sup> . وقال بعد أبيات :  
 كأني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمّرات الحي ناقف حنظل  
 ... وإنما خص ناقف الحنظل لأنه لا يملك سيلان دمه ، كما لا يملكه من  
 اشتدّ شوقه وحزنه <sup>(٢)</sup> ، وقال في شرح البيت :

« ويارب يوم قد طوت ليلة بآنسة كأنها خط تمثال  
 ... وقوله خط تمثال أي نقش صورة ، والتمثال والمثال : كل ما مثلته  
 بشيء . وإنما شبهها بالتمثال لأن الصانع له يتأنق في تحسينه ويمثله على أحسن  
 حال <sup>(٣)</sup> » . وقال في شرح بيت امرئ القيس يصف الناقة :

بعيدة بين المنكبين كأنها ترى عند مجرى الضفر هراً مشجراً  
 ... وإنما خص الهر لأنهم كانوا لا يتخذونها في البوادي حيث تكون إلا  
 قليلاً ، فكانت لإبلهم لا تمرّ بها . فذلك أشدّ لفارها وجزعها <sup>(٤)</sup> . وظاهرة تعليل  
 الشارح لبعض الكلمات أو العبارات ظاهرة مطردة في سائر أنحاء الكتاب على  
 هذا النحو . وهذا يقرب إلى الذهن كثيراً من التعبيرات التي يحار القارئ  
 في تعليل إصرار الشاعر عليها دون سواها . وهو ثمرة من ثمرات ثقافة  
 الشارح اللغوية ، بالإضافة إلى ما نلّسه من ذوق أدبي وتذوق لدقائق المعاني .  
 وهو كثيراً ما يحيل استعمال شاعر ما على ما دأب عليه « استعمال العرب »  
 من أساليب وطرائق في التعبير عن المعاني ، أو في التصوير . قال في شرح  
 الناقة :

« يا دار مية بالعلباء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد  
 وقفت فيها أصيلاً أسائلها عيت جواباً وما في الربع من أحد  
 إنما قال يا دار مية توجعاً منه لأنه كان معها مقيماً بها في سرور ونعمة  
 زمن مرتعهم ، ثم انقضى ذلك ، فجعل يخاطبها توجعاً منه لما رأى وتذكراً لما

١ ( ديوان امرئ القيس ص : ٨ . ٢ ( ديوان امرئ القيس ص : ٩  
 ٣ ( ديوان امرئ القيس ص : ٢٩ ٤ ( ديوان امرئ القيس ص : ٦٣

عهده منها . والعلياء ما ارتفع من الأرض . والسند : سند الجبل وهو ارتفاعه حيث يسند فيه أي يصعد ، وإنما جعل الدار بالعلياء والسند لأنها إذا كانت في موضع مرتفع لم يضرها السيل ، ولا انهال عليها الرمل . وقوله أقوت أي خلت من الناس وأقفرت ، ولم يقل أقويت ، لأن من كلامهم أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوا خطابه ويكنوا عنه كقوله عز وجل : « حتى إذا كنتم في الغلج وكجرت بهم »<sup>(١)</sup> وقال في موضع آخر من شرح امرئ القيس :

« كأن دمي سقف على ظهر مرمر كسا مزبد الساجوم وشيا مصورا

... والعرب ربما شبهت الشيء بالشيء فجعلت في المشبه به بعض صفات المشبه اتساعاً ومجازاً ،<sup>(٢)</sup> . وقال في موضع آخر في ديوان امرئ القيس : « وإنما يشبهون الرسوم بالكتاب لأنها تدل على مواضع الديار وتبينها كما يدل الكتاب على المعنى المراد ، ويعبر عنه مع دقته وحفوة حروفه »<sup>(٣)</sup> . ونقع على مثل هذا في مواضع المعاني التي طرقها العرب وتعارفوا على رسوم واضحة مطردة لها . وهو يستخدم النحو في شروحه ، وتسنع منه بواذر يدل فيها بعلمه ، ومعرفته بأطراف النحو ، وميزه لمدارسه بين كوفة وبصرة ، ويفيد من هذه المعلومات في تبين اختلاف المعنى بحسب توجيه الإعراب . فمن ذلك شرحه .

« أباي الله إلا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع

... وقوله : أباي الله إلا عدله ووفاءه يحتمل أن تكون الهاء في قوله « عدله ووفاءه » عائدة على ( الله ) عز وجل . أي أباي الله إلا أن يعدل بين عباده ويفي لهم بما وعدهم به وأوعدهم من الخير والشر ، وهما الثواب والعقاب . ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على النعمان أي أباي الله إلا أن يعدل [ النعمان ]

١ ( شرح الأشعار الستة - ٨١ أدب ش بدار الكتب - شرح ديوان النابغة : ٢٨ / ط .

٢ ( ديوان امرئ القيس : ٥٩ .

٣ ( ديوان امرئ القيس : ٨٩ ، حفوة الحروف : صغرها .

وينبغي . أي قد جعله كذلك ، وخلقه للعدل والوفاء<sup>(١)</sup> . ونلمح طريقته في طلب التعليل ، في تفسير الأمور المتصلة بالنحو ، مثل شرحه :

« لعمرى وما عمري على بهن      لقد نطقت بطلا على الأقارع  
قال بعضهم : معناه لديني . والمعروف أن معناه البقاء . وإنما حلف بها لأنها بين كثرت في الاستعمال ، فحلف بها ، ولم يكن قصده أن يقسم ببقائه<sup>(٢)</sup> »  
وهو تعليل جيد ، ونفوذ إلى حقائق ما تقصد إليه العرب من بعض استعمالاتها . وقد تكون الملاحظات النحوية عامة أي لا تتصل بالشرح مباشرة ، مثل شرحه :  
« على حين عاتبت المشيب على الصبا      وقلت أمثا أصح والشيب وازع  
... ويحوز نصب حين وخفضها ، وكذلك أسماء الزمان إذا أضيفت إلى الأفعال فالنصب على البناء لإضافتها إلى غير متمكن ، والخفض على تقدير إضافتها إلى المصدر ، لأن الفعل دال عليه<sup>(٣)</sup> » . ويشير إلى لغتي الحجاز وتيم مثل شرحه :

« بمصطحبات من إصاف وثبرة      يزرن إللا سيرهن التدافع  
... وإصاف وثبرة موضعان . وإصاف مبنية على الكسر . وهي معدولة في لغة أهل الحجاز ، ومعربة غير مصروفة في لغة بني تميم<sup>(٤)</sup> » . كما يشير إلى بعض الخلاف بين الكوفيين والبصريين مثل شرحه :

« فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي      بنا بطن حقف ذي ركام عقنقل  
... والوار في وانتحي زائدة عند الكوفيين ، وهي عند البصريين للعطف ، وجواب لما محذوف لعلم السامع<sup>(٥)</sup> » . وإذا كان في شرح الأعم شيء يزيد على شرح الغريب وشرح المعاني فهو تلك الملاحظات النحوية المبثوثة في أثناء الشرح والتي يقدم لها الأعم بمباراة لطيفة ، ويقرب بها المادة النحوية ويعلمها .  
أما ملاحظاته الأخرى فأشياء ثانوية لا تعتبر من معالم شرح الأعم الشنتمري المباشرة ، وإنما هي أمور تتخلل الحديث بما يسوقه من اتفاقات ، وضرورات تتعلق بإيضاح المعنى أحيانا . مثل تنبيهه على ذي الجاز وموامم العرب تنبيها

(١) شرح الأعم ( تيمور ) : ٩٤ . المصدر نفسه : ٩٢ .  
(٢) شرح الأعم ( تيمور ) : ٩٢ . المصدر نفسه : ٩١ . المصدر نفسه : ٩٣ .  
(٣) شرح الأعم ( تيمور ) : ٩٢ . المصدر نفسه : ٩١ . المصدر نفسه : ٩٣ .

سريعاً » (١) . أو إشارة إلى ضرورة شعرية ارتكيبها النابغة في قوله :

« ردت عليه أقاصيه ولبتده ضرب الوليدة بالمسحاة في الشاد »

قال وسكتن الياء من أقاصيه ضرورة ، وذلك تشبيهاً بالألف لأنها لا تكون إلا ساكنة . والياء أختها في المد واللين فجعلت عند الضرورة عليها » (٢) . أما استشهاده بالقرآن الكريم والشعر العربي فقليل ، على عادته في ارتياد موضوعه مباشرة وبأقل ما يمكن من الاعتراضات . وقد يقف عند مواضع لم يتفق عليها الرواة أو الشراح قبله ، ويعرض وجوه المسألة ، مثل رقفته عند قول النابغة :

« لكلفتني ذنب امرئ وتركتني كذي العُر يكوى غيره وهو راتع

قوله لكلفتني جواب لقوله حلفت فلم أترك لنفسك ريمة . والعمر داء يصيب الإبل . وقيل قسرح بمشفر البعير فإذا أرادوا أن يعالجوه ككوا بعيراً آخر صحيحاً فيبرأ ذلك البعير . كذا حكي عن فصحاء العرب ، من حمل عنهم الروايات . وكان أبو عبيدة يقول : هذا لا يكون ، وإنما هو كمثل ، أي أخذتني بذنب غيري ، وكذا قال النساس : يشرب عجلاً ويسكر ميسرة . وكذا قول أبي عبيدة في قوله : ( كالثور يضرب لما عافت البقر ) قال وإنما هذا مثل ، وهذا لا يكون . وحكى غيره أنه يضرب ليتقدم إلى الماء ، فإذا رآته البقر تقدمت فشربت . وقيل إن النورها هنا مصدر ثار الماء يشور ثوراً . وإنما يضرب باليد للبقر وغيرها إذا عافت الشرب علاجاً ومدارة لتشرب (٣) . فنحن نرى كيف انساق به الحديث من رأي إلى آخر ومن تعليل إلى تعليل ، وهو في ذلك كله يعتن بالاسماء ، وينقل عن الرواة ، ويبسط المسألة غايمة البسط . وقد يورد في البيت رواية أو أكثر ، ويرجح بين الروايات معتمداً على حسه الذوقي أو ما بلغه من طرائق العرب واستعمالاتهم . قال في شرح النابغة :

« تجلوا بقادمي حمامة أيككة برداً أسف لثاته بالإمد

١ ( شرح الأعم ( ش ) : ٣٢ / ظ .

٢ ( شرح ديوان النابغة ( نسخة ٨١ أدب ش ) : ٢٩ / و .

٣ ( شرح ديوان النابغة ( نسخة تيسور : شعر ١٥٠ ) : ٩٣ / ظ - ٩٤ / و .



... وأراد بالحمامة القمرية ، وخص القادمتين لأنها أشد سواداً من سائر  
الريش وقيل : أراد بالقادمتين إصبعيهما يعني أنها تجلو أسنانها بالسواك .  
وشبهها بالقادمتين لطولهما ولطافتها . والقول الأول أصح <sup>(١)</sup> .  
ولا تخطئنا ترجيحاته ومقارناته ، وهو كثيراً ما يشير إلى اختلافات الروايات ،  
وينص على أصحابها .

وهو قليلاً ما ينبه على مواضع بلاغية في شرحه . فقد استنفد منهجه طاقته ،  
وهو تركيزه على إيضاح المعاني في المقام الأول - كما صرح في المقدمة - وما عرضه  
من فنون البديع مصادفة ، فإنما هو لتعلقه بإيضاح المعاني ، كقوله في التشبيه  
في شرح قول امرئ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي  
« وشبه الليل بموج البحر في تراكمه وشدة ظلمته وتتابعه » <sup>(٢)</sup> . وقد يُفِيض  
شيئاً في بيان التشبيه كما في شرح بيت النابغة :

قامت ترامي بين سجفي كلّة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد  
« ... وشبهها بالشمس لإشراقها وحسنها ، وجعل طلوع الشمس بالأسعد  
ليكون ذلك أتم للتشبيه وأبلغ في الوصف ومقام الوزن » <sup>(٣)</sup> . وأشار إلى الكناية  
مرات ، كقوله في شرح بيت النابغة :

« من وحش وجرة موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد  
وقوله طاوي المصير أي ضامر . والمصير الممي ، وكفى به عن البطن » <sup>(٤)</sup> .  
وأشار إلى ضرب المثل في قول النابغة :

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام  
أو تزجروا مكفهرأ لا كفء له كالليل يخلط إصراماً بإصرام  
قوله : تبدو كواكبه : ضرب هذا مثلاً لشدة الليل وهوله ، كما يقال :

١ ( شرح ديوان النابغة ( أدب ش ) : ٤٠ / ظ .

٢ ( ديوان امرئ القيس ( المطبوع ) : ٢٨ .

٣ ( شرح ديوان النابغة ( أدب ش ) : ٤٠ / و .

٤ ( من شرح ديوان النابغة ( أدب ش ) : ٢٩ / ظ .

أرسته الكواكب نهاراً أي أدخلت عليه من الجهد والغم ما كان النهار به عليه دليلاً<sup>(١)</sup> .

وإشاراته إلى السرقات أو ما بمعناها قليل أيضاً ، مثل ذلك ما ورد في شرح قول النابغة<sup>(٢)</sup> :

أناك بقولٍ هلمل النسج كاذب      ولم يأت بالحقّ الذي هو ناصع  
أناك بقولٍ لم أكن لأقوله      ولو كُبلت في ساعدي الجوامع  
وقوله ولو كُبلت في ساعدي الجوامع أي لو كنت مجنوناً حتى أشد بالحديد .  
ما قلت ما بلغك عني . ومثله قول أوس : « وما كنت مجنوناً فأفعل ذاك » .  
وقال في شرح بيت امرئ القيس<sup>(٣)</sup> :

نَمَشُ بأعراف الجياد أكفنا      إذا نحن قمتا عن شواء مُضْهِب  
ومثل هذا قول عبدة بن الطبيب يصف لحم الصيد :  
ورداً وأشقر ما يؤنيه طابخه      ما غَيَّرَ الغلي منه فهو ما كُول  
'ثُمَّتْ قننا إلى جُردٍ مسوِّمة      أعرافهن لأيدِينسا مناديل  
وشرح قوله :  
فبعض اللوم عاذلتي فلإني      ستكفيني التجاربُ وانتسابي  
وهذا كقول لبيد :

فإن أنت لم ينفعك علمك فانتسبْ      لعلمك تهديك القرونُ الأوائلُ  
وفي صفحة ١١٧ من الديوان نفسه : ومثل هذا قول الآخر . فالشارح لا يعنيه أكثر من وضع المعاني المتشابهة أمام قارئه دونما عناية بالسابق والسارق ، والآخذ والمأخوذ عنه ، وكل ما لاحظت من أمثلة كانت بلفظة مثل أو ما يشابهها .

ونظراً لمعرفته بالروايات الشعرية ، وميزه بين العالي منها وما دون ذلك ، كان يرجع بين الروايات ، وينتقد الشعر من وراء رواية ليرجع أخرى . كما أن

---

١ ( شرح ديوان النابغة ( ش ) : ٢٩ / ط . ر .  
٢ ( شرح ديوان النابغة ( ٤٥٠ شعر تيمور ٩٣ / و .  
٣ ( ديوان امرئ القيس ( المطبوع ) ٥٤ .

الشارح كان أحياناً يناقش رأي الشاعر نفسه وأسلوبه ، مشيراً إلى الصواب فيما ألفته العرب من المعاني أو الأساليب الراجحة ، أو ملاحظاته بعامة . وعلق على قول امرئ القيس :

وليس بندي رمح فيطعنني به      وليس بندي سيف وليس بنبال  
قوله وليس بندي رمح وليس بندي سيف أي ليس بفارس . وقوله ليس بنبال أي ليس برام . وكان حق الكلام أن يقول : وليس بنابل لأن النابل صاحب النبل الرامي بها ، والنبال : الذي يعملها <sup>(١)</sup> . وهذه ملاحظة ترد إلى أصل لغوي . وعلق على قوله :

وأسحم ريان السيب كأنه      عناكيل قنو من سميحة مرطب  
« وقوله : أسحم يعني ذبلاً أسود . والريان : الممتلئ الناعم ، والمسيب عظم الذنب ، ويحمد في الفرس يمس السيب ، ومن الناقة : امتلاؤه ونعمته ، وقد غلط امرؤ القيس في هذا <sup>(٢)</sup> » وذكر قول امرئ القيس من رأيته :

كأن دمي سقف على ظهر مرمر      كسا مزبد الساجوم وشياً مصوراً  
وقال بعده : « لم يفسر الأصمعي هذا البيت . وقال أبو حاتم : الدمى : الصور . وسقف : موضع فيه صور . وأراد أن تلك الصور مزينة بالجواهر ، فشبهها بزهر هذا النخل الذي وصف . والساجوم واد بعينه ، والمزبد : ذو الزبد . والمصور : الذي فيه تصاوير . هذا تفسير أبي حاتم ، وهو بعيد لا يتحقق ؛ والذي عندي فيه أنه متصل بقوله « فشبهتهم في الآل لما تكمشوا » فكأنه قصد به إلى تشبيه الطعائن على الإبل ، وما عليهن من الوشي <sup>(٣)</sup> . » وشرح قول امرئ القيس يصف فرساً :

« إذا زعته من جانبيه كليها      مشى الهيدبي في دفه ثم فرغرا  
.. ومعنى فرغرا : حرك اللجام في فمه . وروى « قرقرا » بالقاف أي صوت ، وليس بالجيد ، لأن الخيل لا توصف بهذا <sup>(٤)</sup> » فإذا توغل فيما شغل النقاد الأوائل

١ ( ديوان امرئ القيس ) المطبوع : ٣٣ .  
٢ ( شرح ديوان امرئ القيس ) المطبوع : ٤٩ .  
٣ ( المصدر نفسه : ٥٨ - ٥٩ . ( ٤ ) شرح ديوان امرئ القيس ( المطبوع ) ٦٧ .

في المشرق من بعض المسائل لم يجدد في ذلك . ونقل قول بعضهم في شيء كثير من التأييد والتقليد ، مثل مناقشته قول امرئ القيس :

\* وحسبك من غنى شبيب وريء \*

قال « ... وكان الأصمعي يقول : امرؤ القيس ملك ، ولا أراه يقول هذا ، فكأن الأصمعي أنكرها . ويقوي ذلك قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسمى لأدنى معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال  
فنفى عن نفسه طلب القليل والرضا به ، وزعم أن الذي يرضيه ويكفيه الملك  
والجد المؤئل ، فكيف يقول :

فتوسع أهلها أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبيب وريء  
ويحتمل أن يريد امرؤ القيس أن الإنسان إذا لم يطلب من الدنيا إلا الحياة  
والعيش دون الرئاسة وعلو الذكر . فالبلغة من العيش تكفيه إن لم يجد غنى  
وكثرة مال ، والمعنى أن الإنسان لا ينبغي أن يقنع بالعيش خاصة دون الرئاسة  
والمنزلة . ويحتمل أن يكون قال هذه الأبيات في غدر الزمان به <sup>(١)</sup> . وكل هذا  
الدوران لتمحل معنى ملصكي لهذا الشعر ( المتصملك - إن صح القول - ) إنما  
مرده إلى احترام الشارح لعبارة الأصمعي من أنه لا يرى ملكاً يقول هذا الكلام .  
وهو كثيراً ما يشير إلى مصادره في نقوله ، وفي تقليبه الروايات وتمحيصها ، ومن  
تلك المصادر ما نقله عن الأصمعي ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي عمرو بن العلاء ،  
وأبي زيد الانصاري . وهو لا شك أفاد من ثقافته الواسعة ، ونقلت إليه  
مشافهة روايات القالي وشروحه ، واطلع على ما نقله أبو علي أيضاً من المشرق ،  
كما اتضح جزئياً من عرضنا لما في فهرسة ابن خير . وتبقى - بعد هذا - ميزة  
خاصة لشرح الأعم أوجزها هو في مقدمته وحاولنا بسطها ، بما بلأئم المقام من  
شرح ومثال .

---

( ١ ) شرح ديوان امرئ القيس المطبوع : ١٣٧ .

## شرح الوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطائوسي

على الشعراء الستة

( ٤٩٤ - ٥٠٠ ) \*

من الأدباء اللغويين الذين اهتموا بالشعراء الستة الجاهليين ، ووصل إلينا شرحهم على دواوينهم : الوزير « صاحب المظالم أبو بكر عاصم بن أيوب البطائوسي »<sup>(١)</sup> . وعلى الرغم من أن الأخبار عنه قليلة ، فإننا نستطيع أن نكون صورة قريبة لحياته وشخصيته ، ومكانته في شراح الأدب الأندلسيين ، من التراجم التي كتبت عنه ، ومن أثناء شرحه على الدواوين . وعبارة « الوزير صاحب المظالم » توحى بأنه تولى منصباً إدارياً ، ولكننا لا نعلم أكثر من ذلك ، وهي عبارة وردت في أول الديوان ، وقال فيه صاحب الصلة : « عاصم بن أيوب الأديب من أهل بطليوس ، يكنى أبا بكر »<sup>(٢)</sup> . وقال في صفته وبيان حاله : « وكان من أهل المعرفة بالأدب واللغات ، ضابطاً لها ، مع خير وفضل ، وثقة فيما رواه . أخبرنا عنه أبو محمد بن السيد - البطائوسي - بجميع ما

(\*) ترجمته في الصلة لابن بشكوال ٢ : ٥٤١ ، وبغية الوعاة للسيوطي ( بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ) ٢ : ٢٤ .

وانظر :

Brock, G. 1. 309 S, 1, 543.

وكشف الطنوك ١٠٤١ : ٢ ( طبعة استانبول سنة ١٩٤٢ ) ومصادر الشعر الجاهلي ٥٠٢ وما بعدها . ومقدمة ديوان امرئ القيس : ١٤ - ١٥ . والمصر الجاهلي للدكتور شوقي ضيف ٢٤٣ ( الطبعة الثانية ) .

( ١ ) شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحارث الشهير بامرئ القيس - للوزير أبي بكر عاصم ابن أيوب . مطبعة هندية - مصر ١٣٤٧ - ١٩٢٨ . ص ٢ .  
( ٢ ) الصلة : ٢ : ٤٥١ .

رواه . وترجم له السيوطي في بغية الوعاة وقال « إمام في اللغة »<sup>(١)</sup> ، ونص على النقل من ( البلغة ) . روى عن أبي محمد بن الغراب ، وأبي محمد السفاقي ، وأبي محمد مكي بن طالب المقرئ ، وغيرهم ، وروى عنه ابن السيد البطليوسي<sup>(٢)</sup> ، وأبو محمد عبد الملك بن محمد بن إسحاق اللخمي<sup>(٣)</sup> .

أما مؤلفاته فهي :

١ - كتاب شرح الأشعار الستة الجاهلية ، قال فيه ابن خير<sup>(٤)</sup> : « كتاب الأشعار الستة الجاهلية » ، شرح أبي بكر عاصم بن أيوب البلوي النحوي لها رحمه الله ، حدثني بها وبشرحها الوزير الأديب أبو محمد عبد الله بن محمد ابن إسحاق اللخمي بن الملح رحمه الله ، عن أبي بكر عاصم ... . والكتاب موجود بكامله في مكتبة فيض الله في تركية ، ومنه نسخة مصورة مصفرة ( مكروفل ) في الجامعة العربية ، ونسخة مصورة مكبرة في مكتبة جامعة القاهرة . وطبع من هذا الكتاب : قسبان : شرح ديوان امرئ القيس ، طبع عدة مرات طبعات غير محققة<sup>(٥)</sup> ، وشرح ديوان النابغة ، طبع مع مجموعة دواوين في المطبعة الوهبية سنة ١٢٩٣ هـ . والكتاب جدير بأن ينشر ، محققاً<sup>(٦)</sup> .

٢ - كتاب « شرح أشعار الحماسة » ذكره ابن خير بالسند السابق إلى المؤلف<sup>(٧)</sup> .

٣ - « شرح المعلقات » ذكره السيوطي في البغية<sup>(٨)</sup> .

٤ - « كتاب الأوائل » ذكره بروكلمان وقال : منه نسخة في ( الظاهرية ) بدمشق . وذكر ابن بشكوال في الصلة أن وفاته كانت سنة ٤٩٤ هـ .

أهمية الكتاب : تحدث الدكتور ناصر الدين الأسد عن أبي بكر وكتابه بعامة . ثم قال<sup>(٩)</sup> : « إن النسختين : نسخة عاصم ( بن أيوب البطليوسي ) ، ونسخة الأعم ( الشنتمري ) قد اتخذتا من رواية الأصمعي لشعر امرئ القيس

- 
- |                                   |                                |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| ١ ( بغية الوعاة ٢ : ٢٤١ .         | ٢ ( السلة ٥ : ٢٤١ .            |
| ٣ ( فهرسة ابن سير : ٧٨٨ .         | ٤ ( فهرسة ابن خير : ٣٨٩ .      |
| ٥ ( مصادر الشعر الجاهلي : ٣ : ٤ . | ٦ ( وقد أعددت الكتاب للطباعة . |
| ٧ ( فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .         | ٨ ( بغية الوعاة ٢ : ٢٤٤ .      |
| ٩ ( مصادر الشعر الجاهلي : ٥٠٣ .   |                                |

أصلاً اعتمداً ، وقد اتفقت النُسختان في هذا القسم من الشعر ، غير أن الأعلام اختار بعد ذلك ست قصائد ( في ديوان امرئ القيس ) من غير رواية الأصمعي .. » . فهذه سيزة من مميزات الكتاب ، من حيث الصنعة والرواية ، وهو - في التراث الأندلسي - كتاب ذو قيمة لأنه يصور جانباً من الحياة الأدبية في فترات معينة ، ويُعين على تبيين جديد من معالم تلك الحياة ، وهو إلى ذلك كله شرح من شروح الأشعار المشهورة في المشرق والمغرب على حد سواء .

مقدمة الكتاب :

يبدأ حديثه في مقدمة قصيرة ، بأن الشعر لا بد له من طبع ثاقب الفهم بالإضافة إلى معرفة معانيه ليكون فهمه كاملاً صحيحاً ، وعبارته : « اعلم أبقاك الله أن للشعراء أغراضاً تدلُّ عليها العلماء وتعرفها المناولة أمثالها الشعراء ، وليس هذا قدحاً في عالم ولا مدحاً لنافر وناظم ، ولكن أهل الشعر مقصرون على معانيه ، وليس يكفي في الشعر مجرد العلم بالمعاني حتى يُضاف إلى طبع ثاقب الفهم ، فلذلك توَعَّر سهلُه وقلَّ أهله » (١) . ونقل كلمة الجاحظ التي روى فيها تطلب ( علم الشعر ) وثقلته بين اللغويين والنحاة والرواة .. الخ .. ليدل على أن فهم الشعر لا بد له من ثقافة جامعة لكل ذلك مع ذوق وفهم . ورفع عاصم كتابه إلى أحد معاصريه ، قال : « وقد سئلت شرحها وتقريبها وتخليصها وتهذيبها للحاجب مجد الدولة أبي بكر محمد بن المتوكل على الله أبي محمد عمر بن محمد ، أدام الله بهجة الدنيا بطول بقائها » (٢) . . . . . وأجلَّ بعد ذلك طريقته

( ١ ) شرح ديوان امرئ القيس لعاصم بن أيوب البطليوسي : ٢ .  
( ٢ ) حكم المتوكل على الله عمر بن محمد بن الألفطس بطليوس ، منفرداً بها مساً بين ( ٤٧٣ - ٤٨٧ ) حيث دخل المرابطون بطليوس . واقتيد مع ولديه الفضل وسعد ( اسمه سعد في أعمال الأعلام - والعباس في المغرب ) إلى إشبيلية ، وقتلوا في الطريق . وكان له ولد يلقب ( بالنصور ) على حصن شاتجش ، فلما علم بمسير أهله ، لحق بأذفونش - ( أعمال الأعلام لابن الخطيب . تحقيق ل. بروفنسال . دار المكشوف لبنان - الطبعة الثانية - ١٨٠١ - ١٨١٤ ) وظاهر أن المؤلف رفع كتابه إلى ابن الأمير في حياة أبيه . وانظر في في دولة بني الألفطس : المغرب في حلى المغرب ١ : ٣٦٣ - ٣٦٦ ، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة . زامبور - ترجمة د. زكي محمد حسن وآخرين . القاهرة ، ١٩٥١ : ٨٩ .

في شرحه على الدواوين فقال « وكل ما ذكرته في هذا الشرح فمن كتب العلماء أخذته ، ومن مكنون أقوالهم استخرجته <sup>(١)</sup> » . وسوف نرى أنه لا يعني مجرد النقل من الشراح المتقدمين ، فإنه كان يستنبط ويستخرج ، من وحي ثقافته اللغوية ويحيل في معظم الأحيان على الأصول التي يستند إليها من لغة ونحو .

### مصادر الشرح والرواية :

ذكرنا قبل أن اختار رواية الأصمعي باعتبارها رواية أساسية ، وكان أحيانا يضيف إليها . ولكنه كان يشير كثيراً إلى روايات أخرى مختلفة مثل روايات المفضل الضبي ، وأبي عمرو بن العلاء ، وأبي عبيدة ، والطوسي والرياشي . ونقل نقولاً كثيرة جداً ، وأثبت أسماء نحاة ولغويين وشراح متعددين . وهو يحب أن ينسب كلامه ويحيله على رجل من المتقدمين سواء في شرح المعاني أو الألفاظ أو الاحتجاج النحوي واللغوي . وممن يتردد ذكرهم : الأصمعي ، والمبرد ، والقسبي — وهو يكثر من النقل عنه — وابن جني ، وأبو عمرو بن العلاء ، والفراء وابن الأعرابي ، وابن سلام ، وأبو عبيدة ، وأبو علي البغدادي ، وابن دريد ، وابن السكيت ، وابن الكلبي ، وأبو عثمان المازني ، والخليل ، وسيبويه ، ويونس النحوي ... وتصعب إحالتي على مواضعهم لكثرة ترددهم ، وهو كثيراً ما يحيل المسائل العامة أو الشهيرة على ( علماء اللغة ) وقد يقول : قال أهل النظر من أهل البصرة .. ، أو ما شابه هذه العبارات . فهو في رده الشروح إلى أصول — معظمها كما نرى مشرق — كالذين يفسرون بالمأثور ، لا يعتمدون . فهو إن دل بطريقة هذه على ثقافة واسعة وإطلاع متشعب متعدد ، فإنه كشف لنا عن نموذج من نماذج الشرح الأندلسي يلجأ فيه صاحبه إلى ( الالتزام بالنصوص ) قدر الإمكان ، واحترام السلف . وهو قد يورد الشواهد من القرآن أو الحديث أو الشعر العربي ؛ وهو أكثر استشهاداً بالشعر من سلفه الأعظم لأن طريقته في رده كل رأي إلى صاحبه ، والتمثيل لما يقول لتأييد حججه ، تجعله أشد طلباً للشواهد من الأعلم الذي انصب اهتمامه على شرح المعاني .

---

( ١ ) شرح ديوان امرئ القيس لعاصم بن أيوب البطلينوسي : ٢ .



شرحه :

قد جعل الشارح عمله مزجاً بين شرح اللغة ، وإيضاح المعاني ، والملاحظات النحوية واللغوية ، والإشارات الى مصطلحات العرب وعاداتهم وما قواضعوا عليه ، والاستشهاد بالمأثور والمروى ، وهو يمزج ذلك كله دون نظام ، فكلما عن له شيء من ذلك ذكره ، وربما حشر قدراً كبيراً من كل ما سلف في شرح بيت واحد ، ولنمثل لذلك . قال في شرح بيت امرئ القيس :

« ألا عِمٌ صباحاً أيها الطلل البالي وهل يَعمِنُ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي  
قوله عِمٌ صباحاً : كلمة كان يتكلم بها أهل الجاهلية في الغداة ، وكانوا يقولون في المساء عِمٌ مساءً ، وبالليل عِمٌ ظلاماً . وتصريف فعله على ضربين ، وعِمٌ يَعمِنُ وعِماً مثل وزن يزن وزناً . وقد قيل وعِمٌ يَعمِنُ مثل ورم يَرم . والطلل الشخص من الشيء . يقال : حيى الله طلل فلان أي شخصه . فالطلل ما شخص من آثار الدار . والعصر فيه ثلاث لغات : عَصْرٌ وعَصْرٌ وعِصْرٌ . والحالي الماضي . يقال خلا من الشهر كذا وكذا أي مضى . ومعنى البيت أنه استفتح كلامه بالأ ، ثم حيى الطلل بأن قال عِمٌ صباحاً . ومنهم من يرويه : ألا انعم . وأنعم وعِمٌ بمعنى واحد . وفي كتاب سيبويه :

\* وهل يَنعمِنُ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي \*

استشهد به على أنه مكسور العين في المستقبل وفي الماضي كذلك ، وهو مثل : أحسب يحسب . وعُتِبَ عن الطلل بِن وهي لمن يعقل ، لأنه لما ناداه خاطبه . والمخاطبة إنما هي لمن يعقل ، فأخرجه 'مخرج من يعقل' - قال يونس : قوله : وهل ينعمِنُ مَنْ كان في العصر الخالي يقول : من خلق في الزمان الأول وهو اليوم إن كان رجلاً وإن كان طللاً فهو دارس ، وتحقيقه : من خلق في الزمان الماضي فأثى عليه طول الزمان وأبلاه ، فكيف يكون ناعماً ؟ وإنما يريد بنعمته نعمة أهله فيه ، وأن يكون عامراً . وقد قيل فيه تقدير ثان وهو أنه قد تفرق أهله وذهبوا فكيف ينعم بعدم<sup>(١)</sup> ،

( ١ ) شرح ديوان امرئ القيس لعاصم : ٤٥ .

هذا شرح بيت يمثّل كثيراً من جوانب طريقة الشارح في تناوله القضايا . فهو شرح عبارة ( عِمٌ صباحاً ) وعالج وزن الفعل تنيهاً لسامعه لقلّة دَوْرانه ، وشرح بعض الكلمات ثم شرح معنى البيت الإجمالي ، وعرج على بعض النحاة ، ونقل شرح الشطر الأخير من غيره ، ثم أدلى برأيه في الخاتمة .

### الأثر النحوي واللغوي

وتنعكس على جوانب كثيرة من شرحه شخصيته النحويّة واللغويّة ، فيبسط بعض البسط في قضايا نحوية ولغوية قد يكون الاجتزاء ببعضها كافياً . وهو لا يخرج عن منهجه في ردّ الكلام إلى مصادر قديمة من نقل أو حفظ . وهذا ممثّلٌ من أول شرحه على النابغة :

كليني لهم يا أميمة ناصب      وليل أقياسه بطي والكواكب  
وقوله : كليني أي دعيني وهمي . ونصب أميمة لأنه يرى الترخم ، فأقحم الهاء مثل يا تيم تيم ، إنما أراد يا تيم عدي ، فأقحم ( تيم ) الثانية . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادي المؤنث بالترخم فتقول يا أميمّ ويا مسلم . فلما لم يُرَخِّمْ لحاجته إلى الترخم أجراها على لفظها مرخمة بالفتح . قال الوزير أبو بكر : والأحسن أن ينشد يا أميمة بالرفع<sup>(١)</sup> . وهو يكثر من الإتيان برأيه بعد عرض بعض المسائل النحوية ، ويتبين من ملاحظاته أنه ملّم بقضايا النحو ومطلع على المذاهب فيه ، وقال بعد شرح بيت النابغة :

إلا الأواري<sup>٢</sup> لاياً ما أبينها      والنؤي كالخوض بالظلومة الجليد  
... قال الأصمعي : كان أبو عمرو بن العلاء ينشد إلا الأواري<sup>٣</sup> ، فقلت علام ترفعها ، فقال إنها بعض الدار ، ذهب إلى أن المعنى : وما بالربع إلا الأواري<sup>٤</sup> ، وذكر ( من أجد ) فضلة وتوكيد ، وكأنه في التقدير : ما بالدار شيء : رجل ولا غيره إلا الأواري . قال أبو بكر : ويجوز فيه تقدير ثان على أن يكون الذي يقوم مقام ( الأحد ) : الأواري والنؤي على التمثيل الأول . أي كما تقول عتابك السيف وتحيتك الضرب فتكون حينئذ بدلاً ، وهذا مذهب تيم . وأكثر الناس ينشدون إلا الأواري<sup>٥</sup> بالنصب على الاستثناء المنقطع .

( ١ ) شرح ديوان النابغة لعاصم : ٢ .

والاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن في مذهب البصريين ، وعلى مذهب اهل الكوفة بمعنى : سوى . وقيل له منقطع لأنه ليس بعضاً من كل ، لأن حكم الاستثناء أن يكون كذلك . وهذا قد انقطع من ذلك<sup>(١)</sup> . فهو تخرج عن موضوعه الاصل من الشرح إلى تفريع جانبي لحوي كان يُغني عنه بعضه . وهو يفعل ذلك كلما اتفق له موضع مُشكك أو يحتمل الإشكال ، ويقدم شيئاً من بضاعته وعلمه .

ولعله يشير المشكلات هو ليحلها ، وينبه قارئه إليها ، قال في شرح بيت امرئ القيس :

فلما تنازعنا الحديثَ وأسمحتْ كُصرتُ بغصنٍ ذي شماريخٍ مَيَّالٍ  
« ... قال الوزير أبو بكر : وفي ( تنازعنا ) شيء غريب يُسال عنه ، وذلك أن سيبويه قال : وأما تفاعلنا فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعداً<sup>(٢)</sup> .. » وناقش نصب ( أو نموت ) من قول امرئ القيس :  
فقلت له لا تبكِ عَيْنُكَ لِمَنَّا نحاولُ مُلكاً أو نموتَ فنعُدرا  
وحلل الاقوال في نصبها ، ثم قال « وجائز أن يرفع ( أو نموت ) على العطف على ( نحاول ) أو على الاستئناف ولا يفسد المعنى<sup>(٣)</sup> » .  
إشارات عامة

وهو يشير إلى بعض الأعلام والمواضع والبلدان والاسماء إشارات خفيفة لا تتجاوز التعريف الجزئي مما يستمر معه الشرح متسقاً جازياً ، مثل قوله : « وصيداء أرض بالشام<sup>(٤)</sup> » . وقال في « الحارث الجفني » الذي ورد عند النابغة أيضاً : « هو الحارث بن أبي شمر الجفني الفسائي<sup>(٥)</sup> » . ونقل حديث « يوم حليلة » باختصار<sup>(٦)</sup> ، وخبر « لبند »<sup>(٧)</sup> نسر لقمان الحكيم . ومثل ذلك قصة نبي الله صالح وقومه ثمود<sup>(٨)</sup> ، ومواعيسد عرقوب<sup>(٩)</sup> . وخبر بني غسان<sup>(١٠)</sup> ،

- 
- ١ ( شرح ديوان النابغة لمعاصم ١٥ - ١٧ .  
٢ ( شرح ديوان امرئ القيس لمعاصم : ٥٣ . ٣ ( المصدر نفسه : ٩١ .  
٤ ( شرح النابغة : ٣ . ٥ ( شرح النابغة : ٦ . ٦ ( المصدر نفسه : ١٧ .  
٧ ( شرح الشعراء الستة - ديوان علقمة : ٦٩ / أ . ٨ ( المصدر نفسه : ٦٩ / أ .  
٩ ( المصدر السابق : ٧٤ / أ . ١٠ ( شرح النابغة : ٦٣ .

وخبر الحية ( ذات الصفا ) التي قال فيها النابغة :

كَلَيْتَ ذاتُ الصفا من حليقها

وما انفكت الأمثال في الناس سائره<sup>(١)</sup>

وليس له نظام معين فيما يشرحه وما يوجز فيه وما يدينه . وقد ترك ذلك لما يُقدِّره هو من مقتضيات الشرح والمناقشة . وقد يتطرق إلى عادات العرب وبعض أخبارهم في باديتهم وحضرهم وعروبهم وألسانهم ، كشرحه على بيت النابغة :

إذا استزلوا عنهن اللطعن أرقنوا إلى الموت إرقالَ الجمال المصاعب  
« عن الأصمعي : إذا اشتدت الحرب روقع الالتحام ربما ضاق الموضع على الدابة فينزل صاحبها . قال عنتره :

[إن يلحقوا أكُرر وإن يستلحموا] أشدُّ وإن يُلثِقُوا بضنك أنزل  
وقال غيره : إذا ألح عليهم بالطنن نزلوا وأرقنوا بالسيوف ، وذلك أن أول الحرب الترامي بالسهم ، ثم التطاعن بالرمح ، ثم التضارب بالسيوف ثم الاعتناق إذا تكسرت السيوف ، قال زهير :

يطعنهم ما ارتقوا حق إذا اطعنوا

ضارب حق إذا ما ضاربوا اعتنقا<sup>(٢)</sup> ،

وتحدث في موضع آخر عن مذهب الشعراء في التبدي والخصر وأنهم وعلى ضربين : منهم من يذم الخصر ويمدح التبدي ، ومنهم من يذم التبدي ويمدح الخصر ، فيمن مدح التبدي ذو الرمة ... ومن ذم التبدي ومدح الخصر امرؤ القيس لأنه كان ملكاً ..<sup>(٣)</sup> .

#### الملاحظات البلاغية

أما ملاحظات الشارح البلاغية فقليلة ، بالقياس إلى ما يستطرد إليه من لغة ونحو وخبر . وهو يذكر بعض تلك الملاحظات عرضاً ، وهو في هذا مثل الأعم الشنتمري ، قال في شرح امرئ القيس :

( ١ ) شرح النابغة : ٤٨ .

( ٢ ) شرح ديوان النابغة : ٥ . ( ٣ ) شرح ديوان امرئ القيس : ٤٦ - ٤٧ .

وماذا عليه إن ذكرت أوانساً كغزلان رمل في محاريب أقوال  
.. فعنى البيت أنه يقول : ماذا عليه في تشبيهي أوانساً بغزلان رمل  
هذا <sup>(١)</sup> ... » . وعلق على قوله :  
« كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العنّاب والحشّاف البالي  
.. قال الوزير أبو بكر هذا أحسن بيت بإجماع الرواة في تشبيه شيئين  
بشيئين في حالتين مختلفتين .. <sup>(٢)</sup> » وكان يعالج التشبيه في أحيان كثيرة دون  
العناية بتبيين أقسامه ، اكتفاء بما ظهر من قوله وشرحه .  
وقد يتحدث عن الاستعارة على قلة ، وهذا استخراج لاستعارة في بيت  
لامرئ القيس لم تسلم من نقده ، قال امرؤ القيس :

« وهر تصيد قلوب الرجال وأفلت منها ابن عمرو حجر »  
هر ابنة العامري ، وهي ابنة سلامة بن علسد . وكان امرؤ القيس في كلب  
وطي ، أيام نفاه أبوه . وفاطمة أيضاً من كلب وبها تين يُشَبَّب . وقوله :  
( وأفلت منها ) يقول : وأفلت أبي من صيدها ، وحذف المضاف ، والمضاف  
إليه أقامه مقامه ، وصادتني أنا لأنه لم يرها . قال الوزير أبو بكر استعارة الصيد  
مع الهر مضحكة . ولو أن حجراً أباه من فارات بيته ما أسف على إفلاته منها  
هذا الأسف . وهذه الاستعارة وإن لم تكن فاسدة فقد تجنّبها المحدثون ظرفاً  
ولطافة <sup>(٣)</sup> . فقد عالج الاستعارة بفهم ، ونقده في أنه استمد استعارة مبتدلة  
كان في غنى عنها .

وبعد شرح قول امرئ القيس :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرّقت الأرض واليوم قرّ  
قال : « واحترس بقوله (قر) فتمّم ، وهو الذي فتح باب الاحتراس . » <sup>(٤)</sup>  
والاحتراس باب من أبواب البديع لم يذكره ابن المعتز ولا قدامة ، <sup>(٥)</sup> ولكنه

---

١ ( ديوان امرئ القيس : ٥٦ . ٢ ( المصدر نفسه ص : ٦٤ .  
٣ ( المصدر نفسه ص : ٧ . ٤ ( المصدر نفسه ص : ٤ - ٥ .  
٥ ( تحرير التحبير : ٢٤٥ ، والعمدة : ٤١ .

ورد عند الجاحظ في البيان والتبيين وذكره ابن رشيق في العمدة تحت اسم التتميم . وسيتضح أيضاً أن أبا بكر الشارح اطلع على عمدة ابن رشيق <sup>(١)</sup> وأفاد منها . فهو هنا يقول « واحترس بقوله قر ، فتمم » وهي عبارة ابن رشيق إذ جعل الاحتراس من التتميم <sup>(٢)</sup> .

وأشار أيضاً الى « نفي الشيء بإيجابه » ، قال في شرح قول امرئ القيس :  
على لاسب لا يهتسدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا  
( ... قال الوزير أبو بكر : وفي هذا البيت أنه نفي الشيء بإيجابه ، وهذا من المبالغة وهو من محاسن الكلام .. ومن هذا قول الله عز وجل « لا يسألون الناس إلحافاً » أي ليس يقع منهم سؤال فيكون إلحافاً . وصاحب العمدة أول من استعمل هذه العبارة <sup>(٣)</sup> ، وهو لا شك أخذها من ثم .

وتحدث عن التكرار في معرض حديثه عن بيت امرئ القيس :  
ليالي سلمى إذ تريك مُنصباً وجيداً كجيد الرّيم ليس بمغطال  
« .. فان قيل إن تكرار سلمى في الأبيات عيب ، فجوابه أن للتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها . فما يحسن تكراره مثل تكرار هذه الأسماء ، وتكرارها على جهة التشويق والاستعذاب ، لأن الموضع موضع غزل وتشبيب ، ولم يتخلص أحدٌ تخلّصه ولا سلم سلامته في هذا الباب <sup>(٤)</sup> . »  
وقد سبق إلى عد ( التكرار ) من البديع أبو أحمد العسكري ، وصرح الباقلاني بأنه من البديع ، وجعله أبو هلال فرعاً من فروع الإطناب لتوكيد الكلام . ثم جاء صاحب العمدة ، فجعله أيضاً من البديع .  
وعلق على قول زهير بن أبي سلمى :

يخرُجن من شربات ماؤُها عَليقُ

على الجُدوع يَخَفَنَ الغمَّ والفرَقا

« قال أبو بكر : هذا البيت مما غلط فيه زهير . وقد اعتذر لزهير فقيل إنه

١ ( توفي ابن رشيق سنة ٤٦٣ . )  
٢ ( البلاغة تطور وتاريخ : ١٤٩ . )

٣ ( البلاغة تطور وتاريخ : ١٥١ . )

٤ ( ديوان امرئ القيس : ٤٧-٤٨ . )

لم يرد أنها تخاف الفرق حقيقة ، ولكنها عامة من الحيوان في الماء ، فكأنه أراد  
المبالغة ، كما قال الله عز وجل ( وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال <sup>(١)</sup> )  
وهذه تسمية قدامة بن جعفر الذي استمد في المبالغة والغلو - الذي سنمثل  
له في شرح عاصم - من كلام أرسطو في الخطابة ، ثم تابعه أبو هلال العسكري  
في الصناعتين ، واتصل ذلك بصاحب العمدة أيضاً <sup>(٢)</sup> .

وبعد مناقشات لغوية ونحوية في بيت امرئ القيس :  
تنوثرتها من أذرعات وأهلها بيثرب ، أدنى دارها نظرس عال  
قال الوزير أبو بكر : قد فوصل بين غلو امرئ القيس في هذا البيت ، وغلو  
مُهلل في قوله :

فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تُقرع بالذكور  
وبين حجر ، وهي قصبة اليامة ، وبين مكان الرقعة عشرة أيام . فقيل هو  
أشد غلواً من امرئ القيس في النار ، لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع  
وأشد ادكراً <sup>(٣)</sup> .

وعلق تعليقاً مريماً على بيت زهير :  
وكل محب أحدث النأي عندَه سلو فؤادٍ غير حبك ما يسلو  
قال : « وفي البيت اعتراض » ولم يزد على ذلك . و « الاعتراض » من  
اختراع ابن المعتز ، وذكره في الصناعتين أيضاً <sup>(٤)</sup> . وفي شرح بيت زهير :  
أمين شظاه لم يُخرق صفاقه بمنقبسة ، ولم تُطع أباجيله  
قال « وصف الشظايا بالقوة » وهو كناية عن قوة الذراع .  
ملاحظات :

وهو إلى هذا يجمع في كتابه كثيراً من الآراء النقدية العامة ، أو ما شاع من  
استحسان بيت في الوصف وآخر في المديح . . وقد سبقت الإشارة إلى قوله

١ ( شرح الأشعار الستة : ٤٠ . والبيت - برواية ثعلب - ماؤما طعل .

٢ ( البلاغة تطور وتاريخ : ٨٨ ، ١٤٨ .

٣ ( ديوان امرئ القيس : ٥١ ، وانظر تحرير التعبير : ٣٢٣ .

٤ ( البلاغة : ٧٢ ، ١٤٢ والبديع لابن المعتز : ١٠٨ والصناعتين : ٣١٢ .

في بيت امرئ القيس - الذي اجتهد بشّار في مضارعتة زماناً - وقال في أبيات زهير :

وأبيضَ فياضٍ يداهُ غمامةٌ      على مُعْتَفِيهِ ما تُغْصِبُ فواضِلُهُ  
.. إلى قوله :

تراه إذا ما جئتَسه مُتَهَلِّلاً      كأنك تعطيه الذي أنت سائلُهُ  
« قال أبو بكر : قال سَخَلَفُ الأحمر هذه الأبيات - من قوله : وأبيض فياض إلى هذا البيت - من أخلف ما قيل في المدح ، وأكثره خلفاً » .  
وعلق على قول عنتره في وصف الذباب :

هَزَجاً يَسْنُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ      فَدَحِ الْمُسْكَبَ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ  
« .. وهذا التشبيه من التشبيهات العظم . وقيل لم يدع الأول للآخر معنى شريفاً ولا لفظاً بهياً إلا أخذه عنتره بهذا » .

وفي شرحه على ديوان علقمة قال في موضع منه « وأول من شبه الإبريق بالطيب عدي بن زيد<sup>(١)</sup> » . ونقل ما روي عن أبي عمرو بن العلاء ، وأبي الطيب المتنبي في موضوع توارد الخواطر قال « وسئل أبو عمرو بن العلاء عن الشعراء يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ فقال : تلك عقول رجال ثواقب على ألسنتها . وقال أبو الطيب وقد سئل عن ذلك : الشعر ميدان والشعراء قرسان ، فربما وقع الحافر على الحافر<sup>(٢)</sup> » .

وأشار إلى المعاني المشتركة بين الشعراء أو ما بمنزلتها ، في شرح قول امرئ القيس :

يضيءُ الفِرَاشَ وَجْهُهَا لَضَجِيعُهَا      كمصباح زيتٍ في قناديل ذُبَالٍ  
قال : « وقد تعاورت الشعراء هذا المعنى وزادت فيه » قال أبو الطيب :  
أمن ازديارك في الدُّجَى الرِّقْبَاءُ      إذ حيثُ كنتِ من الظلام ضياء<sup>(٣)</sup>  
ولم يتعقب المروقات ، وما عنده منها قليل عبر عنه بكلمة ( مثل ) .  
ومنه تعقيبه بعد شرح بيت امرئ القيس :

فلا وأبيك ابنة العامري      لا يدعي القومُ أني أفر

١ ( الأشعار الستة : ٧٢ ب . ٢ ( ١٧٥ . ٣ ( ١٤٦ .



قال « ومثل هذا قول الطائي :

أجل أيها الربع الذي بان آهله  
ومثله قول ذي الرمة :

لا غير أننا من تذكرها  
وقال بعد شرح بيت امرئ القيس :

تنورتها من أذرعات وأهلها  
بيثرب أدنى دارها نَظَرُ عال  
... وهذا مثل قول الحارث بن حليمة :

فتنورت نارما من بعيد  
وقال بعد شرح بيتي علقمة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني  
بصير بأدواء النساء طيب  
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله  
فليس له في وذهن نصيب  
... وهو مثل قول امرئ القيس :

أراهن لا يجيبن من قل ماله ولا من رآين الشيب فيه وقوسا  
ثم علق بعد ذلك « قال أبو بكر إلا أن بيت امرئ القيس أحسن لأنه جمع  
في بيت واحد ما فعل علقمة » (٣) . وهذا مذهب في المرقعات ، يرفع السرق  
عن اختصار فأحسن . ونلمح عنده بعض اللغات القليلة ، ولكنها ذات دلالة ،  
تبين رأيه في بعض الأمور النقدية والبلاغية ، وتم عن ذوق خاص ، ومناقشة  
لآراء مخالفة لرأيه . ومنه تعليقه على تشبيه امرئ القيس :

أيقتلني والمشر في مضاجعي  
ومسنونة زرق كأنياب أغوال

... قال الوزير أبو بكر فإن اعترض معترض في هذا التشبيه فقال : إنما  
يمثل الغائب بالحاضر ، وأنياب الأغوال لم يرها فكيف يقع التمثيل ؟ قيل له قد  
شع الله صور الجن في قلوب المباد حق صار ذلك التشنيع أبلغ من  
المُعَايَنَة (٤) .

وهو لا شك طالع نسخاً من الدواوين ، واهتم بضبطها وإحسان روايتها ،  
فهو يشير إلى الزيادات على رواية الأصمعي سواء أكان بقصائد أو أبيات ، كما

(١) ص : ٤٤ أ (٢) ص : ١٠١ أ . (٣) الأشعار : ٦٧ ب . (٤) الديوان : ٥٥

أشار إلى أنه قابل نسخته على نسخة مضبوطة مقابلة بنسخة أبي علي القاسبي (١)  
وقال في بيت علقمة الذي وجدته مكسوراً ووجدته كذلك في نسخ الأعلام الذي  
نُسب على اختلال الوزن : وهو :

دافعتُ عنه بشعري إذ كان لقومي في الفداء جَحد  
«... قال الوزير أبو بكر هذا البيت وقع في كل النسخ مكسوراً ، وألفيته  
بعد البحث والتنقيب عنه صحيحاً :

دافعتُ عن شأسٍ بشعري إذ كان لقومي في الفداء جحد » .  
وقد يشير إشارات سريعة إلى بعض مواضع الضرورات الشعرية ، كالحيلولة  
بين المضاف والمضاف إليه بالمجرور في قول النابغة :

قبة الأياطل تردى في أعنتِها كالحاضبات من الزعر الظنابيب (٢)  
وقال في بيان الضرورة في البيت :

رَدت عليه أقاصيه ولَبَّسده ضربُ الوليدة بالمسحاة في الشَّاد  
قال أبو بكر : 'يروي بضم الراء وفتحها . ومن رواه بفتح الراء على ما سمي  
فاعله ففيه ضرورتان تسكين الياء في أقاصيه في موضع النصب ، والثانية إضمار  
الفاعل ولم يسبق له ذكر . ومن رواه بضم الراء على ما لم يُسَم فاعله خرج من  
الضرورتين (٣) .

وأشار إلى صرف المنوع في ضرورة الشعر ، في قول - ومهدر اسم  
جارية - :

حان الرِّحيلُ ولم تودَّع مهدياً والصُّبْح والإمساءُ منها موعدي  
ويجري الكتاب على هذا النسق . وهو نموذج من الشروح التعليمية .



---

( ١ ) الديوان : ١٢٣ . ( ٢ ) ديوان النابغة : ١١ . ( ٣ ) ديوان النابغة : ١٧ .

## شرح ابن هشام اللخمي الإشبيلي على مقصورة ابن ذرير

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللخمي ، إشبيلي سكن سبتة . وقد وهم صاحب التكملة فجعله في الغرباء - عن الأندلس - ولعل ما أدخل عليه الوهم أنه سكن سبتة ، وغاب عنه تحقيق ذلك . ونسبته على خطئه هذا ابن عبد الملك في ( الذيل والتكملة ) قال : « وجعله ابن الأبار منها - يعني سبتة - فذكره في الغرباء غلطاً منه »<sup>(١)</sup> . روى عن أبي بكر العربي<sup>(٢)</sup> ، وله إجازة من الحافظ أبي الطاهر السلفي . وروى عنه أبو الحسن بن أحمد الخولاني وأبو عبد الله بن عبد الله الكناني وابن العابد بن غاز السبتي وأبو علي حسن بن محمد الجذامي وأبو عمر يوسف بن عبد الله الغافقي . وهذه سلسلة من الأعلام تدل على ما كان عليه ابن هشام من مكانة ضربت حوله هذه الحالة . وقد اشتهر بالنحو واللغة والأدب . ووصفه في الصلة بأنه « أدب بالعربية وكان قائماً عليها وعلى اللغات والآداب »<sup>(٣)</sup> وقال فيه ابن دحية الكلبي في المطرب :

(\*) انظر ترجمته في التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار طبعة الشيخ عزة المطار - نشر الحانجي ٢ : ٦٧٥ - ٦٧٦ . والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ( مخطوط ) . الورقة ٢٥ - ٢٧ . والرافي بالرفقيات لصالح الدين الصفدي نشر باعتناء ديدريتش - استانبول مطبوعات وزارة المعارف ١٩٤٩ - ج ٢ : ١٣١ . وبنية الوعاة للسيوطي ١ : ٤٨ - ٤٩ . وينقل عن ابن الأبار ، وعن التجيبي في رحلته . وفي المطرب من أشعار أهل المغرب ط القاهرة سنة ١٩٥٤ : ١٨٣ إشارة إليه .

وانظر : Brock . G , 1 . 308. S, 1, 541.

الذيل والتكملة ٢٥ ب . ( مصورة باريس - نسخة خديقلنا الاستاذ محمد بن شريفة ) .  
٢ ( الذيل والتكملة ٢٥ ب والتكملة ٢ : ٦٧٥ . ٣ ) للتكملة ٢ : ٦٧٥ .

« الفقيه الأستاذ النحوي الكبير ، المتقن الخطير » ، وذكر أنه لقيه ولقي أباه ، وذكر له أبياتاً سنشبر إليها فيما بعد . وعرفه صاحب الذيل والتكملة بأنه : كان نحويًا ، لغويًا ، أدبيًا ، تاريخيًا ، ذا كرام أخبار الناس قديمًا وحديثًا ، وأيامهم ، كما أفادنا شيئًا آخر ، وهو أن ابن هشام درس بسبته زمانًا ، فقال « درس ما كان ينتحله من العلوم بسبته طويلا » . ووصفه بحسن الخلق .

**ثقافته :**

وفي الذيل والتكملة خبر طريف ، عن مناظرة كانت بين ابن هشام وبين أحد معاصريه ظهر فيها ابن هشام على صاحبه وزادت فيها سمعته ، وفيها أنه « كانت بينه وبين الأستاذ أبي بكر بن طاهر الخديب مناظرة في مسائل من كتاب سيبويه قياسية ونقلية » ظهر فيها شغوف أبي عبد الله بن هشام على أبي بكر بن طاهر ، واستظهر عليه في كل ما خالفه فيه ، بالنصوص الجلية والآراء المؤيدة بالحجج الواضحة ، فاشتد على ابن طاهر ظهور أبي عبد الله عليه ، وإفحامه إياه ، وانصرف عنه واجماً مُغضباً . ولما استقر ابن طاهر بمنزله بمث إليه ابن هشام بضيافة برآ به وقياماً بحقه ، فردها أبو بكر عليه ولم يقبلها ، فعُدَّ ذلك من جفاء خلق ابن طاهر . ، وهذا الخبر يفيدنا في صفة ابن هشام ومكانته في علم النحو كما يلقي أضواء جانبية على نوع من المناظرات اشتهر في بعض العصور الإسلامية ، وكأنه تقليد من تقاليد العلم والعلماء لا يزال يتجدد . وهذا ( الشغوف ) الذي أشار إليه ابن عسجد الملك المراكشي يفسره ما جاء في ثبت مؤلفات ابن هشام وفيها كتاب « إصلاح ما وقع في أبيات سيبويه وفي شرحها للأعلم من الوهم والخلل » ، وقد ذكره ابن الأبار في التكملة .

وقد توزع اهتمام ابن هشام بين النحو واللغة والأدب ، وبين التدريس والتأليف . ومن سرد تصانيفه نتبين تنوع الاتجاهات التي توجه إليها . ومن مؤلفاته ( ١ ) تقويم اللسان نحو فيه منحى الزبيدي في « لحن العامة » وصدّره بالتعقيب على الزبيدي في أشياء نسب العامة فيها إلى اللحن هم فيها على الصواب . وذكر ابن الأبار أنه له ( كتاباً في لحن العامة ) . وفي البغية ( لحن العامة ) (١)

( ١ ) الذيل والتكملة ٢٥ ب ، التكملة ٢ : ٦٧٥ ، بغية الرعاة ١ : ٤٩ .

٢) شرح مقصورة ابن دريد<sup>(١)</sup> . وعرفه الصلاح الصفدي بأنه شارحها قال « اللخمي شارح الدريدية : محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبقي شارح الدريدية ، وهو من أحسن الشروح ، كتبه بخطي في زمن الصبا ، وهو الكتاب الذي ستحدث عنه<sup>(٢)</sup> . ٣ ) الفصول والجمال في شرح أبيات الجمل . كذا ذكره في التكملة ، وسماء في الذيل : شرح أبيات الجمل ، وقرأها بحقق البنية خطأ فجعلها كتابين قال « من مؤلفاته كتاب الفصول والجمال في شرح أبيات الجمل » ، وهو رثم ، ولم ينتبه إلى أن السيوطي ذكر أنه ينقل عن ابن الأبار<sup>(٣)</sup> . ٤ ) شرح الفصيح لثعلب هـ ) شرح قصيدة الحريري في الظلم ٦ ) شرح قصيدة الهاشمي في ترسيل النيرين ٧ ) والكتاب الذي سبقت إليه الإشارة عن التكملة : إصلاح ما وقع في أبيات سيبويه وشرحها للأعلم من الوهم والخلل .

شعره :

تناقل ابن عبد الملك ، وابن دحية الكلبي ، والسيوطي أربعة أبيات لابن هشام جمع فيها استعمالات كلمة ( الخال ) ذات المعاني المتعددة ، ونص ابن عبد الملك أن أبياته « أقرب للحفظ ، وأكبر شهادة باقتدار منشئها على النظم ، من القصيدة التي ذيل بها أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي القصيدة التي أنشدها ثعلب ، وما كملها به أبو اسحاق بن فرقد<sup>(٤)</sup> ... وأبيات ابن هشام هي :

أقول لخالي وهو يوماً بلدي خال    تروح وتغدو في برودي من الخال  
أما ظفرت كفساك في العُصْر الخالي    برّبة خال لا يَزِنُ بها الخالي  
تمر كمر الخال يرتج ردفها    إلى منزل بالخال خيل من الخال  
أقامت لأهل الخال خالاً فكلهم    يؤم إليها من صحيح ومن خال  
قال ابن الأبار في شعره : « مع حظ من النظم ضعيف ، وهذه شهادة نافذ

١ ) المصادر السابقة . ٢ ) الوالي بالوفيات ٢ : ١٣١ .

٣ ) بنية الوعاة ١ : ٤٨١ - ٤٩ .

٤ ) الذيل والتكملة ٢٦ / أ . وانظر أبيات أبي الطيب اللغوي في مراتب النعمين : ٣٥ .

شاعر ، وقال فيه ابن عبد الملك : « وكان لابن هشام تصرف حسن في النظم ، ومنه أبيات ضمنها معاني الخال ... »  
وفاته :

لم تقع لابن الأبار وفاته فقال إنه وجد الأخذ عنه والسماع منه سنة ٥٥٧ هـ<sup>(١)</sup> ونص ابن عبد الملك في الذيل والتكملة على أنه « توفي بإشبيلية سنة سبع وسبعين وخمس مئة . »<sup>(٢)</sup>

**مقصورة ابن دُرَيْد :** هي قصيدة مقصورة ألفها أبو بكر محمد بن دريد الأزدي اللغوي الأديب الشهير<sup>(٣)</sup> مدح بها « الشاه ابن ميكال وولديه ، ويقال إنه أحاط فيها بأكثر المقصور<sup>(٤)</sup> » ونقل ابن خلكان أنه عارض ابن دريد في قصيدته هذه جماعة من الشعراء ، ومن عارضه الشاعر الأندلسي حازم القرطاجني ، وشرح قصيدة حازم أديب مغربي متأخر سكن الأندلس هو الشريف السبتي الغرناطي ، ولهذه القصيدة وشرحها شهرة . وشرح مقصورة ابن دريد جماعة ، منهم اللغوي الأندلسي ابن هشام الإشبيلي .

**نسخة الشرح :** في دار الكتب المصرية نسخة جيدة من شرح ابن هشام على المقصورة الدريدية محفوظة بالمكتبة الشنقيطية ( برقم ٦٥ أدب ش ) وهي نسخة كانت عند المصنف التركي المشهور ابن كال باشا ، وعليها خطه وتوقيعه ، واقتناها الشنقيطي من استانبول سنة ١٢٩١ هـ . وعلى الغلاف « شرح قصيدة ابن دريد للأديب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام السبتي المغربي المعروف بابن هشام اللخمي اللغوي - رحمه الله - وقد سمى الأديب الفقيه ابن هشام هذا الشرح بالفوائد المحصورة في شرح المقصورة » . وذكر ابن هشام في مقدمة شرحه سند المقصورة ورواتها المتصلين من وقته إلى أبي بكر بن دُرَيْد . قال الأستاذ أبو

---

١ ( التكملة ٢ : ٦٧٦ . ٢ ( الذيل والتكملة : ٢٧ ب .  
٣ ( محمد بن الحسن بن دريد الأزدي : وهو إمام من أئمة اللغة والأدب ، ولد بالبصرة وتنقل في بلاد كثيرة ، وتقلد ديوان فارس لآل ميكال ، وانتهى مطافه في بغداد . وله مؤلفات كثيرة ( انظر وفيات الأعيان ٣ : ٤٤٨ - ٤٥٤ ، إنباء الرواة للقفطي ٩٢ : ٣ ) .  
٤ ( وفيات الأعيان : ٣ / ٤٤٨ .

عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي أخبرنا بهذه القصيدة الفقيه الأجل الشيخ الأفضل أبو بكر بن العربي رحمه الله قال أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ، وقال أخبرنا أبو محمد ( الحسن بن علي الجوهري ) قال أخبرنا ابن الجراح ، قال أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي رحمه الله قال .. القصيدة . . وهذا أحد الأسانيد التي روى بها ابن خبير المقصورة في فهرسته <sup>(١)</sup> . وقد ضمن الشارح كل الأبيات المنسوبة إلى المقصورة ، لأنه كان يقول في بعض المواضع . وهذا البيت ليس من الرواية <sup>(٢)</sup> ويشرحه مع ذلك . وقال بعد شرح البيت الأول :

يا ظبية أشبه شيء بالمهسا ترعى الخزامى بين أشجار النقا  
وهذا البيت لم يثبت في رواية أبي علي ولا في أكثر الروايات ، وإنما وقع في رواية شاذة وهي رواية أبي اسحاق بن مخلد . وأبو علي هو القاضي ، وتوجد عنه رواية للمقصورة ، شائعة في الأندلس <sup>(٣)</sup> . وقال بعد شرح البيت :  
عَوَّلَ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ إِنَّهُ أَمْتَعُ مَا لَذِيهِ أَوْلُو الْحَيَجَى  
وهذا البيت ليس في أكثر الروايات ، وكذلك الذي بعده <sup>(٤)</sup> .

مصادره : لم يذكر ابن هشام أنه نقل عن أحد من سبقه إلى شرح المقصورة . وكان ينقل مباشرة عن أئمة اللغة في المشرق والأندلس في شرح الغريب ، وإيضاح المعاني ، ومن النحويين والأدباء . فمن المشاركة المبرد ، وأبو الفتح بن جني ، وأبو علي البغدادي ، وهو يكثر من النقل عنهم والاحتجاج بهم ، بالإضافة إلى أعلام كثيرين مثل الكسائي ، والخليل ، والقزاز ، وأبي بكر النقاش ، والسيدي ، وأبي الحسن الرماني وغيرهم . ومن الأندلسيين ينقل عن أبي محمد بن السَّيِّد ، وابن سَيِّدَه ، صاحب المُحَكَّم ويحتج بها في اللغة خاصة ، وأبي عبيد البكري ويحتج به في الروايات والأمثال خاصة . وهو يفضل الاحتجاج بأسمائهم دون كتبهم إلا في مرات قليلة .

مقدمة الشارح : قدم ابن هشام لشرحه مقدمة موجزة بيِّن فيها منهجه

( ١ ) ابن خبير : ٤٠٠ . ( ٢ ) انظر مثلا ١١٥ / ١١٦٠ / ١ - ظ ٢٠ / ١ .  
( ٣ ) فهرسة ابن خبير : ٤٠٠ . ( ٤ ) شرح المقصورة : ١١٥ / ظ .

وأصوليه ، وذيلها بترجمة ابن دريد معتمداً على أبي علي القالي ، أورد فيها بعض أخباره ومصنفاته ، وذكر سند روايته للمقصورة متصلاً بابن دريد . وبدأ مقدمته بذكر ما تقتضت به مقصورة ابن دريد من اهتمام أدباء زمانه ومنتحلي هذه الصناعة في وقته ، وأنها صارت مأمّتهم في اللغة وإمامهم ، لسهولة ألفاظها ونبل أغراضها ، وثقة منشئها ، واستفادة قارئها ، واشتغالها على الثالث من المقصور ، واحتوائها على جزء من اللغة كبير ، ولما تضمنها من المثل السائر ، والخبر النادر ، والمواعظ الحسنة ، والحكم البالغة البيّنة <sup>(١)</sup> وقال إن عدداً من الشعراء عارضوا ابن دريد فلم يبلغوا شأوه ، ولا شقّوا غباره ، وإنه عند أهل الآداب في هذا الباب أشعر العلماء وأعلم الشعراء ووعد بذكر جملة من أخباره . ثم تحدث عن جماعة سبقوه إلى شرح المقصورة لم يُسم أحدٌ منهم ولكنه قسمهم إلى قسمين : فمنهم المسهب المطول والمختصر المقلل <sup>(٢)</sup> . وانتهج لنفسه نهجاً وسطاً - كما قال - لأنه أكثر نفعا ، فاعتمدنا حين سئلتنا شرح غريبها وذكر المهم من معانيها ، وإعرابها ، على المتوسط إذ هو خير الأمور ، واقتصرنا على ما هو أنفع عند الجمهور . ثم ماز شرحه بأنه ذكر عقب شرح الأبيات المصادر التي اعتمدها ابن دريد في بناء قصيدته ، وأصول معانيه ومحتويات قصيدته « على أنا أودعنا هذا الشرح كنفاً من العلم خطيراً ، وباباً من الأدب كبيراً لم يُصل غيرنا من الشارحين فيه قلماً ... وهو أننا ذكرنا عقب شرح أكثر الأبيات من أين أخذ معناها ، وعلام أسس مبنائها من أشعار الجاهلية والمخضرمين ومن بعدهم من المحدثين بمن نسج على منواله واحتذى على مثاله ، ومنقف على ذلك كله في موضعه من هذا الكتاب ومحلّه إن شاء الله <sup>(٣)</sup> » . وهو في هذا يشير إلى ما صنعه مما يدخل - بالمعنى الواسع - في باب السرقات . ثم ذكر ترجمة موجزة لابن دريد ، والتفت إلى الشرح .

فشرح ابن هشام على مقصورة ابن دريد لاحقاً بالشروح التعليمية ، ودخل فيها شرطنا لهذا القسم من هذا الفصل عن الشراح . وقد بين الشارح نفسه ذلك في مقدمته حين جعل كنهه إيصال معاني القصيدة وغريبها

(١) ٣ / ظ - ٤ / و . (٢) ٢ / ظ - ٤ / و . (٣) المصدر نفسه : ٢ / ظ - ٤ / و .



وهـ ملاحظـات أخرى بحدـث وسط وبما هو أنفع عند الجمهور (٢) ولم يخرج هو عن شرطه إلا من جهة واحدة ، لكنها غلبت على الشرح كله ، سنتحدث عنها . وهو يبدأ الشرح كما دأبهم بشرح بعض الغريب ، ويلحق الكلمة الغريبة في المعاجم ، وشعر العرب — أهل الحجة أولاً — ويمثل لذلك كثيراً . ثم يشرح المعنى ، ويعقب عليه بما يحفظه من معانٍ مشابهة أو قريبة ، ويسترسل في ذلك كما سنمثل ويحلل ذلك بتعريف ، يتناول بعض الأعلام ، يسوقه البحث .  
طريقته :

وهو يشرح الكلمة الغريبة وما تحتمله من معانٍ ، ويأتي بالشواهد ، وينبه على مذاهب العرب وما تواضعت عليه من استعمالات لغوية في الأسماء والأفعال ، وفي الأوصاف والتشبيهات مما ينصرف إلى الاستعمال اللغوي ، أو ينبئه إلى المعاني المشتركة كقوله والعرب تشبه البرق بالنار (١) وقوله في شرح البيت :  
إذا بلوت السيف محموداً فلا تذهمه يوماً إن تراء قد نبأ  
والعرب كثيراً ما تحمل الأفعال بعضها على بعض إذا اشرت في المعنى ، فيكون التقدير : إذا علمت السيف محموداً (٢) .

وهذا شرح بيت كامل يوضح لنا طريقته في الشرح ، ومعالجته للناحية التي رأى أنه انفرد بها بين الشارحين من تبين مصادر معاني ابن دريد في قصيدته .  
قال :

يا ظبية أشبه شيءٍ بالمها ترعى الغزاهى بين أشجار النقا  
« الظبية الغزالة . قال ذو الرمة :  
فيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين التسقا أنت أم أم سالم  
والظبية أيضاً لكل ذات حافر بمنزلة الحيا لكل ذات ظلف وخف . وظبي  
أيضاً اسم رملة . قال امرؤ القيس :  
وتعطو برخص غير شئ كأنه أساريعٌ ظبي أو مساويك إسحل  
والعرب تشبه عين الرجل والمرأة بعين الظبية في كلامهم المنظوم والمنثور .  
قال الشاعر :

( ١ ) / ٤ - ظ . ( ٢ ) / ٨٧ - ظ . ( ٣ ) / ١١٥ - ر .

فَعَيْنَاكَ عَيْنَهَا وَجِيدُكَ جِيدُهَا وَلَكِنْ عَظُمَ السَّاقُ مِنْكَ دَقِيقُ  
وَيَشْبَهُونَ أَيْضاً جِيدَ الْمَرْأَةِ بِجِيدِ الظُّبْيَةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِسْتِشْهَادُ عَلَيْهِ . وَقَالَ  
أَمْرُ الْقَيْسِ فِي ذَلِكَ :

وَجِيدُ كَجِيدِ الرَّيِّمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتَهُ وَلَا بِمَعْطَلٍ  
وَقَالَ الْآخَرُ :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ سِرْبِ رَأْيْتُهُ خَرَجْنَا عَلَيْنَا مِنْ زَفَافِ بْنِ وَاقِفٍ  
طَلَعْنَا بِأَعْنَاقِ الطُّبَاءِ وَأَعْيُنِ الْبَحَّارِ ، وَامْتَدَّتْ بَيْنَ الرُّوَادِفِ  
وَالْمِهَاجِ مِهَاجَةٌ ، وَهِيَ الشَّمْسُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

ثُمَّ يَجْلُو الظَّلَامُ رَبُّ رَحِيمٍ بِمِهَاجَةِ شُعَاعِهَا مَنْشُورُ  
وَالْعَرَبُ تَشْبَهُ وَجْهَ الْمَرْأَةِ بِالشَّمْسِ فِي الْإِشْرَاقِ . قَالَ النَّابِغَةُ :  
قَامَتْ تَرَاهِي بَيْنَ سَجْفِي كَلَّةٍ كَالشَّمْسِ يَوْمَ طُلُوعِهَا بِالْأَسَدِ  
وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ :

فَأَلَقْتُ قَنَاعاً دَوْنَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ : كَتَفٍ وَمِعْصَمِ  
وَالْمِهَاجَةِ أَيْضاً الدَّرَّةُ ، وَالْعَرَبُ تَشْبَهُ الْمَرْأَةَ بِهَا فِي الضِّيَاءِ . قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ  
ضَبْعٍ الْفَزَارِيِّ :

كَأَنَّهَا دَرَّةٌ مَنْعَمَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ كُنَّ قَبْلَهَا دُرّاً

وَقَالَ النَّابِغَةُ :

أَوْ دَرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ غَوَاصُهَا يَهْجُ مَتَى يَرَاهَا يَهْلُ وَيَسْجُدُ  
وَالْمِهَاجَةُ أَيْضاً بَقَرُ الْوَحْشِ . وَالْعَرَبُ تَشْبَهُ الْمَرْأَةَ بِهَا فِي الْخَضَرَةِ وَمَشْيِهَا .  
قَالَ الشَّاعِرُ :

لَهَا مِنْ مِهَاجَةِ الرَّمْلِ عَيْنٌ مَرِيضَةٌ وَمِنْ وَرَقِ السَّرِيحَانِ خَضِرٌ أَشَارِبُ  
وَقَالَ عَمْرِو بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

أَبْصَرْتُهَا لَيْلَةً وَنَسَوْتُهَا يَمِينُ بَيْنَ الْمَقَامِ وَالْحَجَرِ  
يَرْفُلُنَ فِي الرِّبْطِ وَالْمَرْوُطِ كَمَا تَمْشِي الْهُوََيْنَا سَوَاحِنُ الْبَقَرِ  
الْمِهَاجَةُ أَيْضاً الْبَلُورَةُ . وَالْعَرَبُ تَشْبَهُ الْمَرْأَةَ بِهَا فِي الْبَيَاضِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ  
أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ شَبَّهَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ الَّتِي شَبَّهَ بِهَا ، وَجَعَلَهَا ظُبْيَةً عَلَى الْإِتْسَاعِ ،

بالشمس في إشراقها أو بالدرة في ضيائها وبريقها أو ببقرة الوحش في 'حسن عينها ومشيتها أو بالبلورة في بياضها ونصاعتها إذ لا دليل في البيت على واحدة مما وصفنا بعينها . إلا أن الأظهر - والله أعلم بمراده - أنه يريد بالمها بقر الوحش ، شبه المرأة بها احسن عيونها ، وجعلها ظبية على الإتساع لطول جيدها ، وأخذ هذا من قول زهير :

تنازعها المَهْ شَبَّها ودُرُّ النُّجُور وشاكَهَتْ فيها الظُّبَاءُ<sup>(١)</sup>  
ونقل بعد البيت شرح الأصمعي عليه . فهذا مثال واحد لبيت واحد شرحه . وهو إذا استطرد هنا في اللغة وفي شواهد شعره لتعصيد معاني اللغة ، فسانه يستطرد لهذا الغرض ولغيره في معظم الاحيان وقد أضاف إلى استطراده الطويل في شرح البيت الاول هذا أن استعمال الظبية تفصيل للمرأة كان ( على الاتساع ) وأنت بعض معنى ابن دريد من بيت لزهير .

وهو يبني استطراداته زيادة على تمثيب اللغة وشرح المعاني على ثلاثة أمور .  
أولها : الاستطرادات النحوية . والثاني : إشاراته إلى أخذ الشعراء معاني بعضهم بعضاً ، والثالث : بعض التعريفات بالأعلام والأماكن والمواسم . أما استطراداته النحوية فنتمثل في إعرابه كلمات وجمل : اقتضى المقام ذلك أم كان نافلة منه ، وفي إشارات مختلفة إلى مذاهب الكوفيين والبصريين في بعض المسائل ، وفي وقوفه عند بعض القواعد بالشرح والتفصيل . وقد يعرض لبعض مسائل في الصرف . وهذا شرح بيت من أبيات المقصورة كاملاً .

لَيْتَنَ إِذَا لَوِيتَ سَهْلَ مَعْطَفِي أَلْوَى إِذَا خَوْشَنَتْ مَرْهَوْبُ الشَّدَا  
قوله : لَيْتَنَ أصله لَيْتَنَ - ووزنه فيعمل - بيا من لانه من لان يلين ، فعين الفعل ياء وقبلها الياء الزائدة . فأدغمت الاولى في الثانية فوق التشديد لذلك ، ثم يخفف فيقال في لَيْتَنَ لَيْنَ ، وفي مَيْتَ مَيْتَ . وقد قرئ بها جميعاً . وفي هَيْتَنَ هَيْتَنَ . قال الشاعر :

هَيْنُونُ لَيْنُونُ أَيْسَارُ إِذَا يَسَرُوا سَوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارِ

( ١ ) / ط وفي الديوان ( طبعة الدار ) : در البحور . ورواية النحور للأهم .

ولين خبر مبتدأ مضمّر كأنه قال أنا لين ، وسهل كذلك . ومعطفي فاعل سهل . وألوى كذلك . ومرهوب كذلك . والشّدّا مضاف إليه وهو في موضع رفع لأنه مفعول لم يسم فاعله لمرهوب . والتقدير : مرهوب شذاي . والعامل في إذا محذوف دل عليه ما تقدم . والتقدير إذا لوينت لنت . وكذلك إذا الثانية العامل فيها فعل مضمّر دلّ عليه الكلام المتقدم . والتقدير إذا خوشنت اشتدت خصومتي وخيف مني . وهذا كما تقول : أنا شاكرك أو أشكرك إذا أعطيتني ، وأنا زائر أو أزورك إذا أكرممتني ، أي إذا أعطيتني شكرتك وإذا زررتي أكرممتك <sup>(١)</sup> . فهو توسّل بالإعراب إلى إيضاح المعنى ولكنه إعراب مسهب ، بل لمسل الناظر يظن أن الموضوع في النحو لا في شرح معنى البيت ، كما أن الشارح عرّج على لين فقلّبها على وجوها وأتى بميزانها الصرفي ومثّل لكل ذلك . واهتم بما يعرض من قضايا اختلف فيها البصريون والكوفيون . فكرر كثيراً في أمثلة شتى خلافهم حول كتابة الثلاثي المقصور « والدُّجّاج دُجّية وهو ما ألبسك الليل من ظلمته » وتكتب بالآلاف على مذهب البصريين لأنه من دجا يدجو وبالياء على مذهب الكوفيين لأن أوله مضموم ولأن واحدة دُجّية <sup>(٢)</sup> . ورضا مقصور ويكتب بالياء على مذهب الكوفيين وبالآلاف على مذهب البصريين ، « وسما ، وعلا ، <sup>(٣)</sup> الخ » . وقال في الشاهد :

ما للجهال مشيها وثيدا أجندلا يحملن أم حديدا

« . . . وروى الكوفيون مشيها بالرفع والنصب والخفض <sup>(٤)</sup> . وذكر خلافهم على المرفوع بعد إذا : بالفعلية أم بالاسميّة قال :

قد مارست مني الخطوب مرّسا يساور الهول إذا الهول علا

« . . الهول فاعل بفعل مضمّر دلّ عليه ( علا ) . والتقدير إذا علا الهول علا . هذا مذهب البصريين . وأما الكوفيون فيرفعون ما بعد إذا <sup>(٥)</sup> بالابتداء . ووقف عند مسائل كثيرة في النحو ، من ذلك أنه شرح استعمالات ( الكاف ) وقال إنها « تستعمل على أربعة أقسام اسم ، وحرف ، وجواز الاسمية والحرفية ،

(١) ٩٣ / ظ . (٢) ١ / و . (٣) ٣٢ / و . (٤) ٣٨ / ظ . (٥) ٩٢ / و .

وزائدة . . «<sup>(١)</sup> وبين مواضع استعمال النون الثقيلة<sup>(٢)</sup> وفعل ( اتخذ ومفعولاته )<sup>(٣)</sup> والأفعال الداخلة على الابتداء والخبر<sup>(٤)</sup> وعمل اسم الفاعل فيما شرط سبويه ، «<sup>(٥)</sup> وهو يسهب في شرح ذلك كما لو كان يؤلف في كتاب نحو . والحق أن ميزة شرح ابن هشام على المقصورة في شيئين : أولهما الإفاضة في أمور النحو والصرف كما وضحت من النواحي الثلاث بما يزيد عن متطلبات شرح عام لقصيدة . والثاني الإضافة في متابعة المعنى الواحد عند شعراء مختلفين على تباين العصور مما يلحق ببعض السرقات . وهو لا يعالج موضوع السرقات : باستعمال الاصطلاحات التي شاعت في تمييز أنواعها وتبيين الفروق بين سرقة وأخذ وغصب وانتحال . . الخ مما فصله السابقون على ابن هشام ، وذكره - مثلاً - ابن رشيقي في العمدة . وكان غاية ما يستهويه هو إثبات عدد من الأبيات تتشابه في الأغراض وتتقارب في المعاني ، وغالباً ما تكون عبارته ( أخذ ) و مأخوذ ) و ( هذا ينظر إلى ) . وكان أحياناً ينتبه إلى أن الشاعر يعكس معنى غيره وينظمه ، ويعبر هو عنه بأن هذا المعنى ( ضد ) معنى فلان . ولا نجد عبارات فنية تتصل بهذا الموضوع سوى ما أسلفت تقريباً . وقد يعين الأخذ بين اثنين ، ثم يورد أبياتاً أخرى قريبة المعنى أو مشابهة ، دَرَجاً دون أي تعليق فهو إما أنه اكتفى بإثبات معلوماته وبسط محفوظاته ، أو أنه لم يرد أن يدخل في تفصيلات نقدية لا تدخل فيما وضع لنفسه من حدود في شرحه . ولنبين بالأمثلة معلقين على رأيه ، قال :

«شجيت لابل أجترضني غصّة» عنودها أقتل لي من الشججا  
. . وهذا ينظر إلى المثل السائر أتى الوادي قطم على القرى «<sup>(٦)</sup> ، وفي  
وفي مكان آخر :

«وضرم الرأي المشيت» جذوة ما تأتلي تسفع أثناء الحشا  
. . وهذا مأخوذ من قول الحسين بن مطير الأسدي :  
لقد كنت جلدأ قبل أن توقد النوى على كبدي فارأ يطيب نخودها»

( ١ ) ٦ / ظ . ( ٢ ) ١١٦ / ظ . ( ٣ ) ١٠ / ر .  
( ٤ ) ١٤ / ظ . ( ٥ ) ١٧ / ظ . ( ٦ ) ١٢ / ظ - ١٣ / ر .

فهو عبر في المثال الأول بأنه ( ينظر ) وهو يعني أخذ المعنى من بعيد ، وعبر  
ثانية بأنه ( مأخوذ ) وهو ألصق وأقرب . وعلّق على قوله :  
« واتخذ التّسديدُ عيني مألُفاً » لمّا جفا أجفانها طيفُ الكرى  
. . وهذا البيت ضد قول بشار :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيفُ ألم  
فأخبر أن الطيف الذي نزل به نفى الكرى عن عينيه . وابن دريد ذكر  
أنه لما جفا الطيفُ جفنته اتخذ التّسديد مألُفاً عينه لأنه إنّما كان ينام من أجله ،  
كما قال المجنون :

وإني لأستغشي وما بي نعمة لعل خيالاً منك يلقى خيالها  
وقال الطائي :

ظلي تقتنصته لمّا نصبتُ له في آخر الليل أشراكاً من العلم ،<sup>(١)</sup>  
فهو استشف علاقة الضدية بين بيت ابن دريد وبيت بشار ، وأخرجه بيت  
بشار إلى بيت المجنون يجمع معنى استدعاء الطيف والخيال ، وكذلك خروجه  
إلى بيت الطائي .

وينبّه أحياناً إلى الاختلاف الجزئي بين المعنيين كما في شرحه :  
يرسب في بحر الدجا وبالضحى يطفون في الآل إذا الآل طفا  
. . وهذا ينظر إلى قول ابن الرمي - وإن كان الموصوفان مختلفين - :  
كالبحر يرسبُ فيه لؤلؤه سفلاً وتطفو فوقه جيفه ،  
وناقش فكرة أنّه لكل شيء أجل محسود ، وزمن موقوت ، من قول  
ابن دريد<sup>(٢)</sup> :

« إذا ذوى الفصن الرطيب فاعلمن أن قصاراه نفاذ وتوى  
وهذا مأخوذ من قول الأسود بن يعفر :  
فأرى النعم وكل ما يُلهى به يوماً يصير إلى بلى ونفاذ  
وقال آخر :  
« والناس يبلون كما يبل الشجر »

وقالت ليلي الأخيلىة :

وكلُّ شباب أوجد يدٍ إلى بلى وكل امرئ يوماً إلى الله صائرُ  
وهذه كلها راجعة إلى معنى واحد ، ثم علق مباشرة على هذه المعاني بيت  
المتنبي فقال : وما أحسن قول المتنبي :

آلة العيش صعبةٌ وشبابٌ فإذا ولّيا عن الحُر ولّى  
ولعله أراد أن يقول إن صلة بعيدة بين المعاني السابقة ومعنى بيت المتنبي ؛  
وعبر أيضاً عن إعجابه بالمتنبي .

وغاية ما نقوله في هذا الباب عند ابن هشام إنه حاول أن يقدم لقراره في  
كل معنى أودره ابن دريد ما سبق به إليه من شعر أو مثل لتقدم أو محدث  
وحاول محاولة مبتدئة في تعيين نوع العلاقة بين معناه وبين المعاني السالفة ،  
السابقة له . فهو إما أن يصرح بالأخذ ، أو يقول إن معناه يشبه معنى فلان أو  
ينظر إليه وكان يهتم بإيراد الناذج والمشبّهات أكثر من مناقشتها وتحديد موقفه  
واضحاً منها ، بعد أن كانت المصطلحات في تعيين أقسام السرقسات شاعت  
وفشت وتدوّلت . بل إن الأخذ والنظر والإلمام والصدية من جملة المصطلحات  
النقدية ، وإن كان ابن هشام لم يقحم نفسه في تنويعها وتفصيلها ورد مأخذه إلى  
أصولها من كتب النقد السابقة له ، بل إنه لم يشر إلى كتاب واحد في هذا الفن .  
ملاحظات عامة : لم يتعرض الشارح إلى فنون البلاغة ، ولم يشر إلا إلى  
الاستعارة بشكل عارض في شرحه :

فكان كالليل البهيم صاح في أرجائه ضوءُ صباحٍ فانجلى  
وإنما الصباح هنا مجاز واستعارة لأن النهار لما كان آخذاً في الإقبال وكان  
الليل آخذاً في الإدبار شبه النهار بالهازم الذي من شأنه أن يصيح على  
المهزوم <sup>(١)</sup> . وأشار في البيت الأول إلى أن ابن دريد استعمل الظبية من قوله  
في مطلع المقصورة ( يا ظبية أشبه بالمها ) على الاتساع . وهو باب أفرد ابن  
رشيقي في العمدة <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) ٦ / ظ .

( ٢ ) العمدة لابن رشيقي ( مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ . ١٩٠٧ م ) ٢ : ٧٥ .

وكان الشارح يستطرد بين الحين والحين إلى التعريف ببعض الاعلام لمناسبات يرددها الشاعر في مقصوده كتعريفه بإمرئ القيس ، وعبد الرحمن بن الأشعث ، وجندبة الأبرش ، ويزيد بن المهلب ، وبهس وقُصير ، وعمر بن هند. وتفصيله في موضوع الحج والعمرة. وهو لا ينص على مصادر نقوله ولا يحيل على مؤلفات بأعيانها. وهو يردد ما في كتب الأدب العامة كالكمال والشعر والشعراء والأمال وغيرها. وكان يشير أحيانا إلى بعض الأمثال مثل ( لكل جواد كبرة )<sup>(١)</sup> و ( إن الشقي وارد البر آجم )<sup>(٢)</sup> وقولهم ( لا لمالك )<sup>(٣)</sup>. وينص على الرجوع إلى كتاب أبي عبيد البكري في شرح أمثال ابن سلام. وهي أمثال قليلة استدعاها الشرح لبعض إشارات ابن دريد ، كما أنه ، كان يورد بعض أشعار المحدثين للإستئناس أو التلميح دون تسميته ، اكتفاء بقوله : ( وللبعض المحدثين ) أو ما شابه هذه العبارة .

(١) ١١٥ / د .

(٢) ٤٤ / ظ .

(٣) ٢٧ / ظ .



# الشرح الذوقية تراجم اليت

## شرح شكل أبيات المتنبي لابن سيدة

هو أبو الحسن علي بن أحمد <sup>(١)</sup> بن سنده ، لغوي نحوي من مشاهير علماء الأندلس ، قال فيه الحميدي في جذوة المقتبس : « إمام في اللغة وفي العربية ، حافظ لها ، على أنه كان ضريباً . وقد جمع في ذلك جموعاً وله مع ذلك في الشعر حظ وتصرف <sup>(٢)</sup> » . ولد سنة ٣٩٨ بمُرسية وهي قاعدة كورة تدمير <sup>(٣)</sup> ، ومنها ذاعت شهرته وبَعُدَ صيته بالعلم واللغة والشعر ، وفي هذا يقول ابن سعيد نقلاً عن المسهب « لا يعلم بالأندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ولا أعظم تواليف ، تفخر مرسية به أعظم فخر ، طرزت به برد الدهر ، وهو عندي فوق أن يوصف بحافظ أو عالم <sup>(٤)</sup> » . تلقى أبو الحسن علومه عن كثيرين منهم والده

(\*) انظر ترجمته في جذوة المقتبس للحميدي ٢٩٣ - ٢٩٤ . والصلة لابن بشكوال : ٤١٧ - ٤١٨ وبغية الملتبس للضبي : ٤٠٥ . ومطمح الأنفس لابن خاقان : ٦٠ . وفهرسة ابن خير : ٣٥٦ - ٣٥٧ . وطبقات الأمم لمساعد الأندلسي ١١٩ - ١٢٠ . والمغرب لابن سعيد : ٢ : ٢٥٩ . ومعجم الأدباء لياقوت ( ط . مصر ) ١٢ : ٢٣١ - ٢٣٥ . ووفيات الأعيان لابن خلكان : ٣ : ١٧ - ١٨ . وإنباه الرواة للغفطي : ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٧ . والديباج المذهب : ٢٠٤ - ٢٠٥ . وبغية الوعاق للسيوطي : ٢ : ١٤٣ . ونفع الطيب : ٣ : ٣٥١ . وسير أعلام النبلاء ١١ : ٢ : الورقة ١٧٨ ( مصورة بنار الكتب رقم ح ١٢١٩٥ ) .

والنظر : Brock G. I. 308. S. I. 542.

١ ( اختلف في اسم أبيه بين أحمد كما في الجذوة واسماعيل كما في الصلة ، وظهر الاختلاف أيضاً في فهرسة ابن خير وطبقات الأمم والمغرب . وأثبت الاسم كما في أقدم نص وأقربه المترجم به ، والحميدي معاصر لابن سنده وأدرك وفاته ، والأمر بحاجة الى مزيد تدقيق .

٢ ( ص ٢٩٣ . ٣ ( الروض المطار للحميري : ١٨١ . ٤ ( المغرب : ٢ : ٢٥٩ .

اسماعيل بن سيده<sup>(١)</sup> . وفي ترجمته أنه لقيّ أبا بكر الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين ، وأنه كان من النحاة ومن أهل المعرفة والذكاء<sup>(٢)</sup> . ومنهم أبو عمر الطائفي ، وصاعد اللغوي البغدادى . وفي فهرسة ابن خير أن<sup>(٣)</sup> « أبا سليمان بن أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أخذ عن ابن سيده كتاب مختصر العين للزبيدي ، وقد كان ضريراً ، وكان أبوه كذلك ، وعُرف بحافظة شديدة وعلم غزير ، ومعظم الذين ترجوا له ينقلون حكاية غريبة ؛ قال ابن بشكوال : وذكر الرقش عن أبي عمر الطائفي قال : دخلت مرسية فتشبت بي أهلها لبسموا عليّ الغريب المصنف فقلت لهم : انظروا لي من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي ، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيده فقرأ علي من أوله إلى آخره ، فهجبت من حفظه ، وكان أعمى ابن أعمى<sup>(٤)</sup> .

وقد اشتهر ابن سيده بأنه نحوي لغوي ، وقد ألف كتابين كبيرين في اللغة هما : المختص ، والنحكم ، وجمع فيها علماً غزيراً . ولعل حافظته الواعية كانت تغلب عليه ، فيملي صفحات من كتب غيره ضمن كتبه . قال محقق كتاب الخصائص « على أنه أتيح لابن جني لغوي كبير أثار على فوائده وبحوثه اللغوية ، وذلك هو ابن سيده علي ابن أحمد المتوفى سنة ٤٥٨ ، وهو كثيراً ما يغفل العزو إليه في كتابه النحكم<sup>(٥)</sup> . ويأتي صاحب اللسان فينقل ما عند ابن سيده ، وينسبه إليه وهو لابن جني ..<sup>(٦)</sup> ثم قال : وترى في المختص<sup>(٧)</sup> من آخر صفحة ٣ إلى آخر صفحة ٧ من الجزء الأول بحثاً في اللغة .. وهذا في الخصائص ج ١ صفحة : ٤٠ - ٤٧ ..<sup>(٨)</sup> ولم يكن المؤلفون والمصنفون الأوائل يهتمون كثيراً لعزو نصوصهم وإسناد شواهدهم ، وهذا من الأمثلة على ذلك .

وعُرف ابن سيده أيضاً بعنايته بالمنطق وفي هذا يقول القاضي صاعد

١ ( ترجم له في الصلاة : ١ : ١٠٤ ) وإنباه الرواة : ١ : ١٩٩ تحت اسم اسماعيل .

٢ ( الصلاة : ١ : ١٠٤ ) وقال أنه توفي بعد الأربع مئة .

٣ ( فهرسة ابن خير : ٣٥٠ . ٤ ) الصلاة : ٢ : ٤١٧ - ٤١٨ .

٥ ( فهرسة ابن خير : ٣٥٦ . ٦ ) الخصائص لابن جني - ط دار الكتب المصرية ٢٩ : ١

٧ ( فهرسة ابن خير : ٣٥٦ . ٨ ) الخصائص : ١ : ٣١ .

الأندلسي ... عني بعلوم المنطق عناية طويلة وألف تأليفاً كبيراً مبسوطاً ذهب فيه إلى مذهب متى بن يونس ، وهو بعد هذا أعلم أهل الأندلس قاطبة بالنحو واللغة والأشعار ... وختم ترجمته بقوله : .. فهؤلاء — ابن سيده وجماعة ذكرهم — مشاهير أهل البُرْهان من علماء الأندلس <sup>(١)</sup> . ونقل ياقوت في معجم الأدباء أن ابن سيده كان مع إتقانه لعلم العربية ، متوفراً على علوم الحكمة ، وألف فيها تأليفات كبرى . وسنرى في شرحه على مشكل المتنبي صدى تأثره بلم المنطق . وشارك أيضاً في الشعر ، وقال الحميدي فيه : وله مع ذلك في الشعر حظ وتصرف <sup>(٢)</sup> وكثر في ترجمته نقلهم أبياتاً من قصيدة رفعها إلى إقبال الدولة العامري صاحب دانية معتدراً ، مطلعها :

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليُمْنى      سبيلٌ فإنَّ الأمن في ذاك واليُمْنى  
ضحيت فهل في بُرد نومك نومة      لذي كبدٍ حرّاً وذو مقلّة وسُنْنا  
ونِضو مومٍ طلّحتَه طياتُه      فلا غارياً أبقيت منه ولا متناً <sup>(٣)</sup> ..  
ونقل صاحب المغرب من شعره :

لا تضجرن فما سواك مؤمِّلٌ      ولديك يحسن للكرام تذللٌ  
وإذا السحاب أتت بوابل درها      فمن الذي في الريّ عنها يسأل  
أنت الذي عودتنا طلب المتى      لا زلت تعلم في العلى ما يُجهل

ويبدو أنه انفق كثيراً من شعره في الأماديح . وشعره — بما نرى من شواهد — لاحق بشعر أنصار مدرسة الشعر القديم الرصين ، وهو يصطنع له الغريب من اللغة ، والمألوف من المعاني العربية الشعرية .

والمعروف عنه — فيما لدينا من أخباره — أنه كان في خدمة مجاهد العامري <sup>(٤)</sup> صاحب دانية . وقال الحميدي إنه كان منقطعاً إلى الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري <sup>(٥)</sup> . ويفسر لسان الدين بن الخطيب في أعمال الأعلام في حديثه

(١) طبقات الامم الصاعد : ١١٩ - ١٢٠ . (٢) الجذوة : ٢٩٣ . (٣) المصدر نفسه .

(٤) أعمال الأعلام : لسان الدين بن الخطيب : ٢١٧ - ٢٢٠ .

(٥) الجذوة : ٢٩٣ . وحكم مجاهد العامري دانية من ٤٠٨ - ٤٣٦ وخاض في الفتنة فزاد ملكه ونقص .

عن دولة مجاهد العامري وعن الحركة الثقافية في إيامه فقال انه جمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه وأتت إليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع بفنائه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، كأبي عمرو المقرئ ، وابن عبد البر وابن معمر اللغوي ، وابن سيده ، فشاع العلم في حضرته حتى فشا في جواريه وغلماؤه (١) . . . وحدثت بين ابن سيده وبين علي بن مجاهد ( إقبال الدولة ) نبوة ، بعد أن آل ملك أبيه إليه ، لا ندري سببها ولا زمنها ، والأبيات السابقة استعطاف من ابن سيده لإقبال الدولة ، يستعطفه ويستمتع به بما بدر منه ثم عادت الحال إلى سابقها من الصفاء بينها . وتوفي ابن سيده سنة ٤٥٨ هـ (٢) بدانية في ظل حكم إقبال الدولة الذي امتد إلى سنة ٤٦٨ هـ حين أخذ ابن هود - جبار إقبال الدولة وصهره - ما بيده واحتل دانية (٣) .

مؤلفاته : ( ١ ) الحكم في اللغة ، ذكره ابن خير وقال : الكتاب المحكم والمحيط الأعظم ، مرتب على حروف المعجم في اللغة (٤) طبعت بعض أجزائه ، ولا يزال قسمه الأعظم مخطوطاً . ( ٢ ) المختص ، قال ابن خير الكتاب المختص في اللغة أيضاً ، مرتب على الأبواب كالغريب المصنف (٤) ( ٣ ) الأتيق في شرح الحماسة ، ذكره ابن خير (٤) وابن بشكوال (٥) وغيرهما . ( ٤ ) شرح أبيات الجمل للزجاجي ، ذكره ابن خير (٤) . ( ٥ ) العويس في شرح إطلوح المنطق ، ذكره ابن خير (٤) . وذكرت له كتب أخرى في اللغة والعروض . وغابت صفة اللغوي النحوي عليه عند معظم الذين ترجموا له . ويبدو أن ابن سيده كان معجباً بنفسه ومزهواً بما عنده ، فقد قال في مقدمة كتابه الحكم عن كتابه هذا « ولو كانت لكتابي هذا نفس ناطقة ، ولسان مطلق ، لأنشد قول أبي الطيب :  
غضب الحسود إذا لميتك راضياً رزء أخف عليك من أن يوزأ » (٦)  
وقال في مكان آخر « إني أجد علم اللغة أقل بضائعي ، وأيسر صنائعي إذا أضفته إلى ما أنا به من علم حقيق النحو ، وجوثن العروض ، وخفي

( ١ ) أعمال الاعلام - لسان الدين الخطيب : ٢١٨ . ( ٢ ) وفيات الاعيان ٣ : ١٨ .  
( ٣ ) أعمال الاعلام : ٢٢٢ . ( ٤ ) فهرسة ابن خير : ٥٦٣ . ( ٥ ) الصلة : ٢ : ٤١٧ .  
( ٦ ) الحكم والمحيط الأعظم لابن سيده - تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار - طبع مصطفى الحلبي ١ : ٧ .

القافية ، وتصوير الأشكال المنطقية ، والنظر في سائر العلوم الجدلية . . . (١) ، وهذا الإعجاب بنفسه ، وإظهار التمكن من الجدل والمنطق ، والتمثل بقول أبي الطيب ، يفتح لنا باب الحديث .

كتسابه : في دار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من كتاب شرح مشكل أبيات المتنبي لأبي الحسن علي بن سيده . واسم المؤلف كاملاً على كتابه « أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي المعروف بابن سيده » وهو يقع في ١٧٩ ورقة من القطع الصغير . وهو ، كما يبدو من عنوانه ، شرح لأبيات مختارة ، انتقاها الشارح نفسه - على الأغلب ، فليس ما يدل على أن أحداً معيناً سألَه شرح تلك الأبيات أو بعضها - وعالجها من وجهة نظره ، وهي الأبيات التي اعتبرها ( مشكلة ) . وهذا « الإشكال نفسه موضع نظر » ، أهو إشكال لدى معاصري الشارح ممن أخفقوا في توجيه معانيها واستكناه مراميها ، أم هو إشكال لدى فئة كانت تلزم اللغوي النحوي المنطيق الضريح ، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون استعراضاً شخصياً لأبيات أحب الشارح أن يبين براعته في فهمها على نحو ما يشرح أهل عصره ، وعلى نحو جديد استعمل فيه بضاعته من الفلسفة والمنطق واستخدم آلاتها ؟ ومهما يكن من أمر الجواب ، فإن الكتاب جدير بوقفه قصيرة ، نعرض لما فيه ، ونرى صورة ما من صور ابن سيده ، وقد نقلنا رأيه الذاتي في نفسه باعتباره متفلسفاً منطقياً .

منهج الكتاب : في بداية النسخة المعتمدة لدينا من الشرح (٢) قال الناسخ ، ولعلها من إضافة أحد ملاك نسخة سابقة ، . . . وبعد فهذا شرح غريب موجز ، وتعليق لطيف منجز ، للشيخ الإمام أبي الحسن . . . (٣) وهذه نظرة سريعة صحيحة ، وإن كانت لا تصور كل شيء في هذا الشرح . ويبدو أن ابن سيده أصاب سهمه الأول حين جعل من المتنبي قضية له ، بعد أن كان صيته في الأندلس يطبق الآفاق . وهذا أمر سنعرض له فيما بعد ، ونبين مكانة المتنبي من الأدب

( ١ ) الحكم : ١٦ : ١ .

( ٢ ) شرح مشكل أبيات المتنبي - نسخة دار الكتب المصرية : ٢ / ط .

( ٣ ) في دار الكتب نسخة أخرى مصورة عن تونس رقم ( ١٨٨٧٧ ز ) وثلاثة نسخها نسخ حديث برقم ( ١٣٨٥٣ ز ) .

الأندلسي ، والشعر بخاصة . ومن ناحية أخرى فإن ابن سيدة طبق شيئاً من معلوماته المنطقية ، وأورد أشياء من آرائه في معالي المتنبي مخالفاً « بعض الشراح » و « بعض النقاد » وهذه النواحي اصطليح الشرح ، وتأثر .

لم يكن الأساس الذي اختار الشارح - بناء عليه - أبيات المتنبي المشكلة واحداً . فهو يقف عند أبيات متداخلة المعاني ، أو له عليها ملاحظات لغوية أو رأي بلاغي . ومعظم ما وقف عنده أبيات فيها إشارات فلسفية أو منطقية ، أو أن الشارح وجّه معانيها توجيهات منطقية : احتملت ذلك أم لم تحتمل . واحتوى كتابه على ملاحظات نقدية وبلاغية أخرى مبثوثة في ثنايا الكلام . والشارح يورد الأبيات مفردة ويعالج كل بيت على حدة ، دون مراعاة لترتيب الأبيات على أبواب المشكل الذي بنى عليه كتابه ؛ فإن وجدت في القصيدة أبيات ، سردها كنظامها فيها . والكتاب - بهذا - يخرج شيئاً كثيراً عن كتب الشروح التي أسلفنا عرض بعضها ، ذلك أنه لم يلتزم شرح الديوان كاملاً ، ولا شرح جزء منه وإنما هو وقفات ذوقية شخصية عند أبيات اختارها الشارح ، وهو بذلك نموذج فريد في منهجه وإن كان ابن السيد ستيحتذي مسيعة من حيث المبدأ ، دون أن يكون في كتابه هذا الإصلاح الغريب على المنطق ، والتوجيه به . ولنبدأ بمثال ، فنلاحظ طريقته ، ونشرح بعد ما يقسم منه . قال المتنبي : (١) .

« ياليت لي ضربة أتبع لها كما أتبعته له محمد لها »

معنى إناحة الضربة له : حلولها به . ومعنى إناحة محمد لها نبوها عنه ، واحتماله لها وتأثيره فيها بزعمه . وكذلك كل حال ، وذي حال كل واحد منها متاح لصاحبه . وأراد . أتبع لها محمد كما أتبعته هي له ، وأتبع : قُدر . ويجوز أن يكون أراد الضربة كُذمت حين وقعت به لأنها لم تكن له بحق ؛ فكان ذلك الذم تأثير فيها . وكذلك السيف ضرب غير مستحق فذاك الذم تأثير فيه . وكل ذلك مجاز واتساع . أي قدر محمد للضربة كما قدرت له . فكان هو المؤثر فيها . ألا ترى إلى قوله بعد :

أثر فيها وفي الحديد وما أثارني ونجبه مهند لها

(١) شرح المشكل : ٤ ظ - ٥ ر .

أثر في الشيء : غادر فيه أثراً . ولا يكون التأثير إلا في الجواهر كقولك :  
أثر المطر في الحائط ، والخُف في الأرض . وأثر المرض في جسمه . ولا يكون  
ذلك في العَرَض . وقد اقتصم قوله : ( أثر فيها وفي الحديد . ) جوهرأ وعَرَضاً .  
أما الجوهر فالحديد ، فالتأثير فيه سائغ . وأما الهاء في قوله : فيها ، فعَرَض لأنها  
كناية عن الضربة التي في قوله : ( يا ليت لي ضربة أتبع لها ) وإنما لم يصح التأثير  
في المرض لأن التأثير إبقاء للأثر . والأثر عين . والعين لا يكون أثره إلا في عين مثله .  
أعني بالعين الجوهر إذ لا يحمل الجوهر إلا جوهر . وأما العَرَض فليس بعين ،  
فيكون حاملاً لعين آخر . فإذا قوله : أثر فيها : استعارة ومجاز غريب كأنه  
توهم الضربة عيناً ، بل هو عندي أبلغ لأنه إذا أمكنه التأثير في العَرَض كان له  
في الجوهر أمكن ، لكنه مع ذلك قول شعري أعني ليس بحقيقة .  
وقوله ( وما أثر في وجهه مهندها ) . المهند : السيف . وهو عندي من  
من قوله : كهنده النساء أي تبيته . والمتيم : تخيل ، فكذلك السيف . ولم  
ينف تأثير المهند في وجهه نفياً كلياً ، وكيف ذلك وقد أثبت الضربة وهي التأثير ؟ .  
وإنما أراد أن المهند لم يؤثر في وجهه أثراً قبيحاً لأن وقوع الضربة على الوجه تزين  
ولا تشين لدالتها على الشجاعة والإقدام كما أن التأثير في الظهر دليل على الجسبن  
والفرار ، كقوله :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أعقابنا تقطُر الدما  
ويروي يقطر الدما . جعل الدما اسماً مقصوراً كفتى . . فهذا شيء عَرَض ،  
ثم نعوذ الفرض . فكان المهند لما وقع على وجهه — فكان ذلك إشعاراً  
بالإقدام — لم يؤثر فيه البتة . فلذلك نفى التأثير في اللفظ نفياً عاماً . ونحوه ما  
حكاه سيديويه من قولهم : تكلمت ولم تكلم . أي أنك لما لم تُجد ولا أصبت كنت  
بمنزلة من لم يتكلم ، وإن كنت قد تكلمت .

ويرى القاري سرياً كيف تقلب الشارح في بيتي المتنبي بين الشرح اللغوي  
اللطيف وشرح المعنى ، وملاحظة بعض وجوه البيان ، ومعالجة جزء من المعنى  
معالجة منطقية ، استخدم فيها العَرَض والجوهر . وخرج تأثير الجوهر بالعرض  
على أنه استعارة ، لأنه لا يصح تأثير الجوهر في المرض إلا على المجاز والإتساع .



الفلسفة في شعر المتنبي : شغلت حكم المتنبي الدارسين قديماً وحديثاً . فمنهم من عاد بعدد كبير منها - مثل الجاني - إلى فلسفة أرسطو ومنهم من جرّده من التأثير به البتة مثل أحمد أمين<sup>(١)</sup> . ويقول د. محمد مندور بعد عرض طويل للماسلف من آراء النقاد : في الحق إننا بمراجعة حكم أرسطو وأبيات المتنبي نرى ردّ بعضها إذ اتضح أن معنى الحكمة ومعنى البيت أو البيتين مختلفان ، حتى لتلوح المقارنة بينها تعسفية ، وكذلك الأمر في بعض الأبيات الأخرى التي نرى أن معانيها قريبة وصياغتها عربية عادية ، فهي وإن اتفقت مع جملة أرسطو في المعنى إلا أن ذلك قد يكون وليد المصادفة البحث . . . وأما ما دون ذلك فإننا لا نستبعد أصلاً أن يكون المتنبي قد تأثر فيه بأرسطو ، وبخاصة عندما تشهد الصياغة بذلك ، ويكون البيت تعبيراً عن فكرة نظرية فلسفية . . .<sup>(٢)</sup> وهو لا يرد ذلك إلى السرقة ، ولكن إلى ( الاستيحاء ) فهو لا يصوغ حكمة ما لأرسطو شعراً ، ولكنه قد يستوحي فكرة ما على وجه من وجوه التأثير .

والشارح لم يتابع كل حكم المتنبي ليعارضها بحكم أرسطو أو غيره من الفلاسفة ولكنه أشار مرات إلى ما سماه ( رأي الفلاسفة ) ، فمن ذلك مناقشته بيت أبي الطيب :

« أحادٌ أم سداس في أحادٍ لسيّلتنا المنوطة بالتنادي<sup>(٣)</sup> ليلتنا صغرها تصغير التعظيم ، ووجه تصغير التعظيم أن الشيء قد يعظم في نفوسهم حتى ينتهي إلى الغاية ، فإذا انتهأ عكس إلى ضده لعدم الزيادة في تلك الغاية . وهذا مشهور من رأي القدماء الفلاسفة الحكماء : أن الشيء إذا انتهى انعكس إلى ضده - ولذلك جعل سيبويه الفعل الذي لا يتعدى إلى مفعولين ، وهي نهاية التعدي ، بمنزلة الفعل الذي لا يتعدى إلى مفعولين ، قال : لأنه لما انتهى فلم يتعد صار بمنزلة ما لا يتعدى ، وهذا منه طريف جداً . »

وعالج الشارح بيت المتنبي :

ولجّدتَ حتى كدت تبخل حائلاً للمنتهى ، ومن السرور بكاء !

( ١ ) عرض الدكتور محمد مندور لمشكلة المتنبي وما دار حوله من نقد في ( النقد المنهجي عند العرب ) . نشر مكتبة نهضة مصر - القاهرة - ١٩٤٨ . انظر ١٩٣ - ٢٠٨ .

( ٢ ) النقد المنهجي : ٢٠٥ .

( ٣ ) شرح المشكل : ٢٨ / و .

• فقال « . . . إن شئت قلت : بلغ جودك الغاية ، ومعروف أن الشيء إذا انتهى انعكس ضداً ، فكذلك جودك لما انتهى فلم يك مزيد كاد أن يستحيل بخلاف . . . » (١) . وعالج الشطر الثاني بالأسلوب نفسه : « وهذا معنى فلسفي وما نظن أن المتنبي كان يستطيع أن يصل إليه لو أنه لم يكن مثقفاً ثقيفاً فلسفياً ، فهو يعتمد على قول الفلاسفة : إذا زاد الشيء من حده انقلب إلى ضده . . . » (٢) . هذا حال الشاعر ، والشارح أشد تصريحاً بتعلقه بالفلسفة والمنطق ، فقد قال إنه ينقل عن الفارابي في باب البرهان (٣) . والدكتور مندور يقول في المتنبي : « من الثابت أن الفارابي قد أوى إلى كنف أمير حلب سيف الدولة وعاش في بلاطه ، ولاشك أن المتنبي قد تأثر بما نشر المعلم الثاني في تلك البيئة من مبادئ الفلسفة » (٤) .

والشارح يرى أن الإتيان بمثل هذا حسن في الشعر ، ويعبر عن الطباق أو المقابلة بعبارة أقرب إلى المنطق ، وينتقد معنى المتنبي على هذا الأساس ، قال في شرح بيت المتنبي :

« وتحيي له المال الصوارم والقنا وبقتل ما تجي التسبسم والجدي . . . » ولو قال : يبيت مكان يقتل لكان أشد مقابلة للحياة لأن القتل ليس بضد الحياة ، إنما هو علة ضد الحياة في بعض الأوقاسات ؛ ونقيض الحياة إنما هو الموت ، ومقابلة الشيء بنقيضه أذهب في الصنعة (٥) . فهو لم يكنف بكلمة يقتل ، لأن « الصناعة » تقتضي أن تكون المضادة تامة ؛ وشرح قوله :

ولقد علمنا أننا سنطيعه لما علمنا أننا لا نخافه

« أي علمنا أننا في طاعة الفراق والانقياد له ليقيننا بالموت الذي هو أشد أنواع الفراق . . . ومن ظريف هذا البيت إيجابه لطاعة الجنس ، وجعله علة ذلك إطاعة النوع الضروري ، لأن النوع قابل لاسم الجنس . وهذا منه تفلسف منطقي بديع (٦) . . . و

أسقي على أسفي الذي دلّتهني عن علمه فيه علي خفاء

(١) شرح المشكل: ٤٠ / ط . (٢) النقد المنهجي: ١٩٨١ . (٣) شرح المشكل: ٣٧ / ط .  
(٤) النقد المنهجي: ٢٠٤ . (٥) شرح المشكل: ١١٦ / ط . (٦) شرح المشكل: ٧٣ / ط .

« ليس يأسف في الحقيقة على الأسف إنما يأسف على تمييزه الذي كان يعقل به أسفه ، فحقيقة الكلام : أسفي على عقلي الذي كنت أحصل به أسفي فيه عليّ خفاء . أي أنك قد دلهتني حق ما أشعر بأسفي . وقد كان ينبغي له أيضاً أن يذهب عليه لو كان مدلهاً أسفه على هذا الأسف إلى ما لا نهاية له ! لكن هذا مقطع شعري فلا تتقصين بالمنطق فيفسد II » <sup>(١)</sup> وبعد أن وضعتنا في الحلقة المفرغة أشاو علينا بعدم متابعة المنطق واستقصائه لئلا يفسد المعنى الشعري ، ولقد يريد الحشية على المنطق ! .

هذه معان وجهها الشارح بتوجيهات فلسفية منطقية ، استخرج بعضها من معان فلسفية كشرحه قوله « ومن السرور بكاء » ، وطبق منهجه في توجيه المعنى توجيهاً منطقياً . ولقد يظن القارئ أن هذا شيء عارض ، فإذا قلبنا صفحات الكتاب لاحظنا أنه ( مكتظ ) بهذا ، إن عرض معاني المتنبي على ميزات الشارح المنطقي الفلسفي — فيما اختاره من أبيات — هو منهج التزمه كثيراً وصار غالباً على الكتاب . وقد يشرح المعنى شرحاً معنوياً ولغوياً ، أي شرحاً يتأدنى من فهم مدلولات الألفاظ ، ومعطيات المعاني فحسب ، ثم يتبعه بشرح ينقد فيه منهجه ويحكم طريقته ، ويفصل بين الشرحين بعبارة « وإن شئت قلت . . » أو ما هو قريب من ذلك . وقد يكون الشرحان بما يناسب منهجه ، ويجاري قياسه .

وهذا مثال من النوع الأول : شرح قوله :

تشرق أعراضهم وأوجهم كأنها في نفوسهم شيم  
« لا شيء أسفى ولا أبسط من النشور . فذلك توصف الجواهر الصافية به ، وأولى شيء بذلك الأمور النفسانية لأنها أذهب في البقاء . والشيمة نفسانية ، والوجه جسماني . والعرض يمكن أن يكون الجسم ، فلم يخلص إلى النفسانية كخلوص الشيمة فشبه أبو الطيب الأعراض والأوجه بالشم في الشروق والصفاء ، وتناهي البقاء . وإن شئت قلت : وضع هذا الكلام على أنه قد علم أن شيمته مشرقة علماً عاماً . وقدم ذلك لمزية الشيمة — وهي الطيبة — على الوجه

( ١ ) شرح المشكل ٣٧ / ط .

والعرض . فحمل الوجه والعرض بعد ذلك عليها بسببها . والأوجه ما قدمناه من أن الشيعة نفسانية ، فهي أملك بالصفاء . والوجه والعرض جسمانيان فحملها عليها <sup>(١)</sup> . فهو يفضل الشرح الذي اصطنع مصطلحات المنطق والفلسفة على شرحه الآخر الذي اقتصد فيه من تلك المصطلحات ، واكتفى فيه بعرض المعنى كما ينادى من لفظه وإيحائه . وهذا شرح آخر لقوله :

وبقايا وقاره عافت الناس فصارت ركانة في الجبال <sup>(٢)</sup>

« كأنه استبد بالوقار أجمع إلا أنه بقيت منه بقية » ، فتملك البقية عافت نوع الانسان لما رآته به من قلة الاحتمال لها ، والمجز عن الاستقلال بها لضعف سنه ووهي قوته . فعدلت إلى أجسم الجواهر الأرضية وهي الجبال إذ لم تجد جوهرأ يستقل بها إلا إياها . وإن شئت قلت : ان لوقاره هيولى خلق منها . فما فضل من تلك الهيولى يكون ركانة في الجبال <sup>(٣)</sup> .

وتحدث عن بُعد الحبيب باعتباره « مسافة نفسانية » <sup>(٤)</sup> وأن الجد معدود في الفضائل النفسية ، والتواني يعد في الشقاوة لكونه في الرذائل التي يبعث عليها المعجز ... . وأكثر من تحكيم لفظي الجواهر والعرض ، ولعل ابن سيده قوسم ألا يتقبل 'معاصره كلامه بقبول حسن ، أو أن يكون بعيداً عما ألفوا فقال بعد شرح إحدى مسائله « ولو وثقنا بفهم بني الزمان لفئينا عن إطالة البيان » <sup>(٥)</sup> ، وهذه دعوى عريضة إلا أن يكون أضمر ما نظنه من توقع استغرابهم صنيعة .

مأخذ على المتنبي : لابن سيده جملة ملاحظات على أبيات كثيرة ، يرتد بعضها الى استعمالات لغوية ، ويرتد بعضها الآخر الى المعنى نفسه ، أو أشياء أخرى . من ذلك ملاحظته على استعمال لو وإذا ، قال المتنبي :

١ ( شرح المشكل : ٩٦ / د .

٢ ( البيت من قصيدة في مدح عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي وقبله (ص ١١٣ ط عزام) .

« رجل طينه من العنبر الورد وطين العباد من صلصال

فبقيات طينه لاقت الماء فصارت عذوبة في الزلال » ..

٣ ( شرح المشكل : ٣٧ / د . ٤ ) شرح المشكل : ٤٤ / ط . ٥ ( شرح المشكل : ١٨ / ط .

« نظمت مواهبه عليه تراثاً فاعتادها فإذا سقطن تقررعا  
 . . . ولو قال ( فلو سقطن تقررعا ) لكان أشبه بالمعنى لأن قوله ( فإذا )  
 يشعر بسقوطهن في بعض الأوقات ، لكن سقوطها إنما يكون لعدم مال أو  
 انقطاع سؤال . فهذا توجيه قوله : فإذا سقطن « (١) . واعترض عليه لعطف  
 النكرة على المعرفة في قوله :

أذا الغصن أم ذا الدُّعْصُ أم أنت فتنة وذيتا الذي قبَّلته البرق أم ثغر  
 وقال « .. كان أصنع أن يقول : برق ، لمكان ثغر ، لأنها نكرتان » (٢) .  
 واعترض على المتنبي لغلوه الشديد في قوله :

ولو برز الزمان إليّ شخصاً لأدمى شعراً مفرقه نحاسي  
 فقال « .. فتمناه هو شخصاً ليقع به ، غلواً منه وغلواً ، وعليه دائرة  
 السوء » (٣) . وزاد اعتراضه على بيته في مدح بدر :

طلبنا رضاه بترك الرضا رضىنا له فتركنا الشجودا  
 فقال « قبحاً لكلامه ، ونهراً في هذا الموضع وأشباهه لنظامه » (٤) ، وهذه  
 صورة دينية واضحة .

وعلق على ( غربة اليد ) في قوله (٥) :

ولكن الفقى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان  
 « .. وأما غربة اليد فقليل إنَّه عنى بها الخط ، ولا يعجبني ، إنما عنى بها  
 الجود ، والجود للعرب » . وانتقد المتنبي لمحاظلتته وسوء تأليفه الكلام في قوله :  
 أنى يكون أبا البرية آدم وأبوك والثقلان أنتَ محمدُ

هذا يحل من القول وسفّه . . وهذا من قبيح الضعف وطريف السخف (٦) .  
 وانتقده لأنه فصل بين المبتدأ والخبر بجملة أجنبية في قوله « وأبوك — والثقلان  
 أنت — محمد » . وانتقده لمبالغته الشديدة في قوله :

يقولون تأثير الكواكب في الورى فما باله تأثيره في الكواكب  
 . . . ويذهب إلى تكذيب المنجمين ، فيقع فيها هو أوحش وأفحش من

١ ( شرح المشكل : ٣٣ / د . ٢ ( الورقة ٢٢ / ظ . ٣ ( الورقة ٢١ / د .  
 ٤ ( الورقة ٤٣ / د . ٥ ( الورقة ١٨٢ / د . ٦ ( الورقة ٢٠ / ظ .

قولهم ، وهو قوله : إن هذا المدح أثر في النجوم بفضله عليها ...<sup>(١)</sup> وهو لا يحبذ المبالغة الشديدة التي تجاوز حد الاعتدال ، وخاصة ما يمس العقيدة من وجه ، كما سبق ، ومن ذلك شرح بيته :

يريك من خلقه غرائبه في مجده كيف يخلق النسم  
فانه دفع أن تكون ( خلق ) ههنا بمعنى الابتداء - الخلق من عدم - وقال  
« وإنما الخلق هنا كناية عن الصنع ، وكنى عنه بلفظ الخلق ذهاباً إلى ابتداء  
هذه الغرائب . وهذا أمر شديد المبالغة<sup>(٢)</sup> » .

مناقشات : ولا نعدم إشارات إلى شراح المتنبي يذكر بعضهم كابن رجنبي ،  
ويُغفل آخرون ، وهو يناقشهم في بعض شرحهم ويخرج تخريجات خاصة تتفق  
ومنهج أو تغاير في فهم المعنى . وشرح قوله :

تشقكم بفتاها كل سلبية والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع  
« بفتاها أي بفارسها . ذهب في لفظ الفق الرفع من شأن الفارس كقولهم :  
أنت الفق كل الفق ، لا يذهب إلى فتاة السن ولكنه كقوله : أنت الرجل  
تمدحه بالصبر والثبات والنجدة ، لا تعني به الرجولة التي هي الذكورية .  
و (الضرب يأخذ منكم فوق ما يدع ) ذهب قوم إلى أنه عنى أن القتل أكثر  
من الناجين ، وهو لعمرى قويل ، والذي عندي أنه لم يعن بذلك الكم .  
وإنما عنى أن الضرب يأخذ النفوس ويدع الأبدان . والنفس فوق الجسم في لطف  
الجوهر وشرف العنصر . فهذا معنى قوله : فوق ما يدع ، لا الكمية التي ذهب  
إليها أولاً<sup>(٣)</sup> ، والمعنى الذي رجحه ببل ارتضاه الشارح معنى طارئ  
وسياق الأبيات ( من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ) لا يؤدي إلى ترجيح  
ما ذهب إليه :

وفي قول المتنبي .

فقد غيب الشهاد عن كل موطن ورد إلى أوطانه كل غائب  
قال بعض النقاد ، وهذا كقول أبي نواس :  
وإذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام

(١) الورقة : ٧ / و . (٢) الورقة : ٣٢ / و . (٣) شرح المشكل : ٨٤ و - ط .

وليس عندي مثله ، لأن المتنبي قال أغنى هذا المدوح قصّادَه وردم إلى  
أوطانهم فكفاهم السفر . وأبو نواس قال : إذا بلغت المطي بنا هذا الأمير  
حرمت ظهورها على الرجال أي لم تركبها أبداً ولا امتنهاها جزاء على تبليغها  
إيانا أملنا من لقاءه . ولم يذكر عطاء ولا كفاية سفر . . (٢) . ورد تشبيه النقاد  
قول أبي الطيب :

تمه في ذوي الأسنة لا فيبها وأطرافها له كالنطاق  
بقول أبي تمام :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكربة في المسلوب لا السلب  
وليس مثله . . (١) وذكر الفروق بين البيتين . وهو يعقد أحياناً مقارنات  
سريعة بين بيت للمتنبي وآخر لشاعر آخر . قال المتنبي في صفة أبل :  
★ يحول بين الطرف والتأمل ★

كقول البحاري يصف فرساً :

جاري الجياد قطار عن أوهامها سبّقا ، وكاد يطير عن أوهامه  
وهذا أبلغ من قول المتنبي لأن سبق الوم أول على السرعة من سبق الطرف  
مع لفظ الطيران ، والطيران أبلغ في السرعة ، ولذلك شبهت العرب خيلها  
بالطير (٢) . . . وهو في موضع آخر يشعر بتفضيله بيتاً للمتنبي لأنه أغرب (٣) .  
وهو أحياناً يشير إلى ما يشبه السرقات ، وجعل قول المتنبي :

إذا امتلأت عيون الخيل مني فويل للتّيظ والنّام  
كقوله :

ترى في النوم رحك في كلاه ويخشى أن يراه في الظلام  
ثم قال مادة كل ذلك قول الشاعر :

وعلى عدوك يا بن عم محمد رصّدان ضوء الشمس والإظلام  
فإذا تنبه رعته وإذا هدى سلّيت عليه سيوفك الأحلام (٤)  
وعلق على قول المتنبي يصف بحيرة :

١ ( الورقة ٧١ / و . ٢ ( الورقة ٧٥ / و . ٣ ( الورقة ٤٠ / ط .  
٤ ( الورقة ٧٠ / ط . ٥ ( الورقة ٢١ / و .

نافعة الجسم لا عظام لها لها بنات وما لها رحم  
وقد ألم المتنبي في هذا بقول ابن الرومي يستهدى سمكاً :  
وبنات درجلة في قبائلكم مأسورة في كل معترك  
إلا أن المتنبي زأد بقوله « وما لها رحم » (١) . وهو يفضل أن يحتوي البيت  
الواحد أكثر من معنى وأكثر من صورة ، كما سبق . ومثل آخر ، فقد علق على  
قول المتنبي :

« فكثير من الشجاع التوقى وكثير من البليغ الكلام  
... وهذا في أسلوب قول الشاعر :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ  
ولأبي الطيب فضل ذكر الشجاعة والبلاغة في بيت واحد ، وإفراد كل واحد  
من الفضيلتين بمصرع (٢) .

إشارات بلاغية : في الكتاب ذكر عدد قليل من مصطلحات البلاغة .  
وأكثر ما تكون اشارته إلى ( الاستعارة ) وقد مر مثال منها في أول النقول ،  
وأشار إلى الكتابة ، والفلو وهو يقرنه مع الافراط كتعليقه على بيت المتنبي :

أحيا ، وأيسر ما لا قيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

إذ شرح المعنى واحتمالاته ، ثم قال : وقد يكون أحيا اسماً يدل على الموصلة  
أي أثبت ما قاسيته بحياتي ما قتل . وهذا غلو وافراط ، لأنه إذا كان ما قتله  
أثبت شيء حياته لم يبق له ما يوجب الموت (٣) . وذكر المبالغة (٤) ، وأكثر من  
الحديث عن التضاد دون ذكر الطباق بالاسم .

مصادره : ذكر المؤلف عدداً من الاسماء بأعيانها وأحال على مجهولين كثيرين .  
فمن الاعلام : سيبويه ، والفارسي والفارابي ، وابن جني — في شرحه على المتنبي —

( ١ ) الورقة ٣٣ / ط . ( ٢ ) الورقة ٨٩ / ط . ( ٣ ) الورقة ٧ / ر .  
( ٤ ) انظر مثلاً : ٢ / ط ، ٥ / ط ، ٣١ / ر .



وأبو زيد الانصاري . وأورد رأي ( بعض الفلاسفة ) فيما يراه النائم ، وناقض « بعض النقاد » ، و « بعض مفسري » شعر المتنبي . ولا شك في أن تحقيق الكتاب تحقيقاً متأنياً يكشف عن خبايا مصادر أخرى اعتمد عليها الشارح أو فاجزها الممارسة والمِداء .

هذا كتاب فريد في بابهِ في كتب الشروح الاندلسية . فقد ملأه بالملاحظات النقدية والموازات والمقارنات وحكم من منهجه المنطقي في توجيه أبيات كثيرة ، واستخدم بعض معطيات الفلسفة . ولو أنه شرح ديوان المتنبي كله على هذا لخرجنا بمنهج كامل ، ويبدع جديد . والكتاب على حاله شيء جديد طريف يسهم في إيضاح الحركة الادبية والنقدية في الاندلس .



## شرح ابن السِّيد البطليوسي

على سقط الزند للمعري

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد ، أصله من مدينة شلب ، ولد ونشأ في بطليوس ، وبها نبغ واشتهر ، وعرف لذلك بابن السيد البطليوسي . وهو من كبار علماء الأندلس ومشهوري أعلامها . توزعت اهتماماته بين علوم العربية وآدابها ، وبين الفقه والعلوم الإسلامية ، إلى اهتمامات أخرى بالفلسفة وعلم الكلام .

ولد ابن السيد في بطليوس سنة ٤٤٤ وتلقى فيها علومه وثقافته ، ولازمها مدة إلى أن نبغ وظهر . ولا نستطيع تحديد هذه الفترة بالضبط ، ولكنها فترة طويلة نسبياً ، ولا بد أن يكون الرجل استوى فيها على قدم راسخة . وقد عرف له معاصروه من أصحاب الدويلات المتناثرة — دول الطوائف — مكانته وعلموا بضاعته . وفي هذا يقول معاصره ابن خاقان : « وخدم الرياض ، وعلم

---

(\*) ترجمته في فرائد العقبان ( مصر ١٢٨٤ هـ ) ١٩٢ - ٢٠٠ ، والصلة لابن بشكوال :

١ : ٢٩٢ - ٢٩٣ ، والمطرب لابن دحية ( مصر ١٩٥٤ ) : ٢٢٥ - ٢٢٦

وبغية الملتبس للضيبي : ٣٢٤ ( الترجمة رقم ٨٩٢ ) ، والمغرب لابن سعيد ٢ : ٣٨٥ -

٣٨٦ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ( مصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م ) : ٢ :

٢٨٢ - ٢٨٤ ، وبغية الرعاة للسيوطي ( مصر ١٩٦٥ ) : ٥٥ ، ٥٦ . والبداية

والنهاية لابن كثير ١٢ : ١٩٨ ( وينقل عن ابن خلكان ) ، وأزهار الرياض في أخبار

القاضي عياض المقرئ ٣ : ١٠١ - ١٥١ ، تاريخ الفكر الأندلسي - بالنبيا -

ترجمة د. حسين مونس : ٣٣٤ - ٣٣٥ . ونفح الطيب ٢ : ١٦٧ - ١٧٣ . وهو

ينقل عن ابن خاقان ، والذخيرة .

Brock , 1 , 547. S. 1, 758 .

وانظر :

طرق السياسات ، ونفق وكسد ، ووقف وتوسد<sup>(١)</sup> . وقد خدم في دولة عبد الملك بن رزين صاحب السهلة الذي امتد حكمه ما بين ٤٣٦ و ٤٩٦<sup>(٢)</sup> . وقال ابن خاقان في هذا : وكان له في دوله ابن رزين مجال مُمتد ومكان مُعتمد . وفسر هذا الكلام بالثيا في تاريخه بأنه كان كاتباً لعبد الملك بن رزين صاحب السهلة<sup>(٣)</sup> . وكان عند وصوله الى ابن رزين قد رفعه أرفع محل ، وأنزله منزلة أهل المقدم والحل ، وأطلعه في سمائه وأقطعه ما شاء من نعمائه وأورده اصفى مناهل مائه ، واحضره مع خواص نديمائه ، وكانت دولته موقف البيان ، ومقصد الأعيان . . . لولا سطواته الباطشة ونكباته البارية لسهام الرزء الرائشة<sup>(٤)</sup> . ومدح ابن السيد عبد الملك ابن رزين بقصائد أثبت بعضها ابن خاقان في كتابه عنه . ولكن ابن السيد غادر ابن رزين « فرار السرور من نفس الحزين<sup>(٥)</sup> » ، وما ندري أذلك لطباع ابن رزين الصعبة أم لخلاف آخر ، وقد وصف ابن الأبار عبد الملك هذا بأنه كان مع شرفه وأدبه متمسكاً على الشعراء ومتمسراً بمطلوبهم من ميسور العطاء<sup>(٦)</sup> . ولا نعلم بالتحديد زمن مفادرتة ابن رزين . ولكنه توجه إلى المستعين أحمد بن هود صاحب سرقسطه « فلم يخف على المستعين اختلاله ، ولم يخف لديه خلالة ، فذكره مُعجلاً به ومعرفاً ، واحضره منوهاً له ومشرفاً<sup>(٧)</sup> » . وقال ابن السيد في ذلك شعراً مدح به المستعين وعرض بابن رزين ، ومن قصيدة له في هذا المعنى :

أناخت بنا في أرض شئت مريّة هواجس ظنّ خُنّ والظنّ خوان<sup>(٨)</sup>  
وشمنا بروقاً للمواعيد أتبعنا نواظرفنا دهرأ ، ولم يجر هتّان  
فسرنا وما نسلوي على متّعذر إذا وطن أقصاك آوتك أوطان  
... الى مستعين بالإله مؤيد له النصر حزب والمقادير أعوان<sup>(٩)</sup>

- (١) أزهار الرياض ٣ : ١٠٦ (٢) مجمع الأنساب (زامبار) ١ : ٨٨ ، المغرب ٢ : ٤٢٨ .
- (٣) تاريخ الفكر الأندلسي - بالثيا : ٣٣٤ . (٤) أزهار الرياض ٣ : ١٢٣ .
- (٥) أزهار الرياض ٣ : ١٢١٣ . (٦) الحلة السيرة لابن الأبار - تحقيق د. حسين مؤنس ٢ : ١١٠ .
- (٧) أزهار الرياض ٣ : ١٢١ .
- (٨) شنتمريّة الشرق حاضرة سهلة يسني رزين ( الحلة السيرة ٢ : ١٠٨ - ١٠٩ ، وانظر الهامش ) . (٩) أزهار الرياض ٣ : ١٢٢ .

وقال ابن خاقان إنه قال عند ابن رزين الخطوة والجلء ، وها هو ذا ابن السيد  
يخونه ظنه ويعرض بانه غادر ابن رزين لأنه لم يلقى ما أمثل :  
رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها  
فلاماؤها صدّا ولا النبت سعدان<sup>(١)</sup>

ولعله حمد المقام عند بني هود في سرقسطة وقال عندهم ما سرّه . وقد تنقل في  
أرجاء الأندلس ، وطوّف . وفي ترجمة ابن خاقان له انه اتصل ببني ذي النون  
أصحاب طليطلة ، وله مدائح في القادر<sup>(٢)</sup> ، ومن ذلك قصيدة أنشدها  
القادر بمجلس الناعورة في طليطلة<sup>(٣)</sup> . ومدح الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله  
ابن ذي النون أيضاً ، ولعله من أمرائهم البارزين في الدولة ، وفيه يقول :  
فقلت عبيد الله أو نجله سرى فذكرني دارين أوبت بالشجر<sup>(٤)</sup>

وفي الباقي من شعره وترسله ما يدل على سعة اتصالاته وكثرة اصدقائه  
وأصحابه من الوزراء والكتاب والأمراء ومن هؤلاء سوى من ذكرنا قبل :  
ذو الوزارتين ابو عيسى بن لبون<sup>(٥)</sup> ، وذو الوزارتين ابو عبد الله بن أبي الخصال<sup>(٦)</sup>  
وذو الوزارتين ابو محمد بن الفرّج<sup>(٧)</sup> والوزير أبو محمد بن سفيان<sup>(٨)</sup> والوزير أبو  
عبد الملك بن عبد العزيز<sup>(٩)</sup> ، والكتاب أبو الحسن راشد بن عريب<sup>(١٠)</sup> وقد مدح  
بعضهم ، وكتبه بعض آخر ، ومدحه بشعر أيضاً بعض منهم .

ولم يستمر على حاله دائماً من العيش على رفد أهل الملك ومواهب  
المدحوحين ، فقد جلس لإقراء علوم النحو ، وقصده الناس للتلقي عنه ، وقال  
فيه صاحب الصلة « وكان أحسن التعليم جيد التلقين »<sup>(١١)</sup> . واستقر ابن السيد  
آخر الأمر في مدينة بلنسية ، وفيها كانت وفاته سنة ٥٢١ . وكان هناك قد  
طبقت شهرته الأندلس واتجه اليه الناس . ونقل ابن خلكان أنه سكن مدينة

- 
- ١ ( أزهار الرياض للقرني ١٢٢ : ٣ .
  - ٢ ( في معجم الأنساب أنه حكم ما بين ( ٤٦٧ - ٤٧٨ ) .
  - ٣ ( أزهار الرياض ١٠٧ : ٣ .
  - ٤ ( أزهار الرياض ١١٧ : ٣ .
  - ٥ ( أزهار ١٢٠ : ٣ .
  - ٦ ( أزهار ١٣٣ : ٣ .
  - ٧ ( أزهار ١٤٥ : ٣ .
  - ٨ ( أزهار ١٤٢ : ٣ .
  - ٩ ( أزهار ١٢٥ : ٣ .
  - ١٠ ( أزهار ١١٩ : ٣ .
  - ١١ ( الصلة ١٩٢ : ١ .

بلفسية ، وكان الناس يجتمعون إليه ويقرؤون عليه ويقتبسون منه ، وكان حسن التعليم جيد التفهيم ، ثقة ضابطاً ،<sup>(١)</sup> كما نقل صاحب المطرب في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحمزي أنه « رحل شرق الأندلس للقاء الأستاذ العالم . . . أبي محمد بن السيد . . . »<sup>(٢)</sup> .

**تعارفه :** أخذ ابن السيد علومه عن جماعة منهم أخوه علي بن محمد ،<sup>(٣)</sup> وأبو بكر عاصم بن أيوب البطلوسي ،<sup>(٤)</sup> وأبو سعيد الوراق ،<sup>(٥)</sup> وأبو علي الغساني الجبائي ،<sup>(٦)</sup> وأبو الفضل البغدادي .<sup>(٧)</sup> وأخذ عنه جماعة منهم عبد الملك بن محمد بن هشام القيسي ،<sup>(٨)</sup> وأبي محمد عبدالله بن أحمد بن سعيد العبدي ،<sup>(٩)</sup> وغيرهم .<sup>(١٠)</sup> وله روايات في فهرسة ابن خبير مثل المبّوز في اللغة لمحمد بن يونس الجباري الكفيف ،<sup>(١١)</sup> ومقاتل الفرسان لأبي عبيدة معمر بن المثنى ،<sup>(١٢)</sup> والنقائض بين جرير والفرزدق ،<sup>(١٣)</sup> وسقط الزند وضوئه<sup>(١٤)</sup> وألف كتباً كثيرة شهيرة منها : (١) شرح سقط الزند للمعري ، وهو موضوع دراستنا (٢) الفرق بين الحروف الخمسة وهي السين والصاد والضاد والطاء والذال « جمع فيه كل غريب » كما قال ابن خلكان<sup>(١٥)</sup> (٣) المثلث ( في اللغة ) في مجلدين أتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع عظيم ،<sup>(١٦)</sup> (٤) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة ، وهو مطبوع (٥) إصلاح الخلل الواقع في أبيات الجمل (٦) الخلل في شرح أبيات الجمل (للزجاجي) ومن الكتابين نسخة في دار الكتب المصرية في مجلد واحد (٧) التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة<sup>(١٧)</sup> (٨) الحدائق (٩) شرح الموطأ ، ذكره في الصلة وفي وفيات الأعيان . وسماه ابن

- (١) وفيات الأعيان ٢ : ٢٨٢ . (٢) المطرب : ٢٢٥ .
- (٣) الصلة ٢ : ٢٩٢ . وانظر فهرسة ابن خبير في أسانيد كتب ابن السيد التي رواها المؤلف . وذكره في نفع الطيب ٥ : ٢١٢ ، وأورد له أبياتاً من الشعر قريبة من نعت شعر أبي محمد أخيه .
- (٤) فهرسة ابن خبير : ٣٥٧ ، ٤١٢ .
- (٥) ابن خبير : ٤١٢ . (٦) ابن خبير : ٣٥٧ . (٧) ابن خبير : ٣٨٣ .
- (٨) ابن خبير : ٣٨٣ . (٩) ابن خبير : ٤١١ - ٤١٢ .
- (١٠) فهرسة ابن خبير : ٤١١ - ٤١٢ . (١١) وفيات الأعيان ٢ : ٢٨٢ .
- (١٢) أزهار الرياض ٣ : ١٠٧ .

خاقان « المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس » (١) (١٠) جزء فيه علل الحديث .  
 كذا في فهرسة ابن خير (٢) . (١١) كتاب فيه مسائل في العربية ذكره ابن  
 خير (٣) (١٢) فهرسة ابن السيد رواها ابن خير (٤) (١٣) قصيدة في رثاء ديك .  
 رواها ابن خير (٥) (١٤) الانتصار من عدل عن الاستبصار ، وقال فيه ابن خير  
 « جزء فيه رد أبي محمد .. بن السيد على القاضي أبي بكر بن العربي فيما رده  
 عليه في شرحه لشعر المعري » . وقد طبع الكتاب ، وسندرسه في موضعه .  
 (١٥) رسالة كتب بها إلى ابن خَلْصَة ، وأخرى بعث بها إلى قبر النبي صلى الله عليه  
 وسلم (٦) . وفي الكتاب الذي أفرد به ابن خاقان لترجمة ابن السيد - ونقله المقري  
 في الأزهار - شعرٌ ورسائل له .

ويبدو أن ابن السيد تعرض للحاملين عليه كما قرئت عينه بالحاملين عنه ، فهذا  
 أبو بكر بن العربي يخطئه وإن كان رد ابن السيد شديد الإفحام ، وسن فصل فيه  
 في فصل لاحق ؛ وفي التكملة ( ١ : ٤٣٦ ط غزاة المطار ) أن محمد بن عبد  
 الرحمن بن خلصة النحوي رد عليه ؛ قال « ورسالته التي رد فيها على ابن السيد  
 من أجود الرسائل وقد حملت عنه » . وهو من صحابة ابن العربي .

بقي لنا من شعر ابن السيد قدر ضئيل معظمه في كتاب ابن خاقان عنه الذي  
 احتواه كتاب أزهار الرياض ، وهو شعر يرتفع عن شعر طبقة العلماء والفقهاء .  
 وله قصائد لاحقة بشعر المقلدين لمذهب الأوائل وأنصار الشعر القديم كوصفه  
 للفرس (٧) ، وكمعظم مدائحه ؛ وقال من مطلع قصيدة في المدح :  
 هم سلبوني حسن صبري إذ بانوا بأقمار أطواق مطالعها بان  
 لئن غادروني باللوى لانت مهجتي مسائرة أظعانتهم سعيثا كأنشوا  
 سقى عهدهم بالخيف عهد غنائم ينازعها مزن من الدمع قمتان .. (٨)  
 وله قصائد أخرى لم يقصر فيها عن أنصار الشعر المحدث كقوله من قصيدة  
 بعث بها إلى أبي عيسى بن لبون :

- (٢) فهرسة ابن خير ص ٢٠٤٤  
 (٤) فهرسة ابن خير ص ٤٣٣  
 (٦) فهرسة ابن خير ص ٤٢٠  
 (٨) أزهار الرياض ٣ : ١٢١

- (١) أزهار الرياض ٣ : ١٠٧  
 (٣) فهرسة ابن خير ص ٣١٦  
 (٥) فهرسة ابن خير ص ٤١٣  
 (٧) أزهار الرياض ٣ : ١٠٨

قَسَمَ نَصْطَبِجَ مِنْ قَهْوَةٍ بِكَرٍّ حَقٍّ نَرَى صَرَعِي مِنَ الشُّكْرِ  
أَنْفَ تَنَاسَاهَا الْوَرَى حَقٍّ لَمْ تَجِرْ فِي بَالٍ وَلَا ذِكْرٍ  
فَتَرَى الدَّنَاتِ وَمَا حَوَتْ مِنْهَا كَجَوَانِحِ طُؤَيْتٍ عَلَى فِكْرٍ  
نَفَحَتْ فَقَلَّتِ الْمَسْكُ أَوْ مَا قَدَّ أَحْيَى أَبُو عَيْسَى مِنَ الْبِتْكَرِ (١)  
وَنَقَلَ الْمُقْتَرِي قَوْلَ ابْنِ السَّيِّدِ :

نَفْسِي الْفَدَاءُ بِلَوْذَرٍ ، حَلَوِ اللَّيْمِ مُسْتَحْسَنٍ بِصُدُودِهِ ، أَضْنَانِي  
فِي فِيهِ سَمَطًا لَوْلَا يُرْوِي الظُّمَأُ لَوْ عَلَّيْنِي بِبَرُودِهِ أَحْيَانِي  
ثُمَّ قَالَ « وَيُخْرِجُ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ عِدَّةَ قِطْعٍ » . (٢) وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ السَّيِّدِ  
عَلَى مَا فِيهِ مِنْ صِفَاتِ الْعَالَمِ الْمُتَحَرِّجِ كَانَ يَشَارِكُ فِي 'طَرَفِ الشَّعْرِ' ، وَالِدَعَابَةِ  
بِالْفَزْلِ بِالْفُلْكَانِ ، وَقَدْ نُقِلَ مِنْ أَخْبَارِهِ أَنَّهُ « كَانَ لِابْنِ الْحَاجِّ صَاحِبِ قَرْطَبَةِ  
ثَلَاثَةِ أَوْلَادٍ مِنْ أَجْلِ النَّسَابِ صُورَةٌ : رَحْمُونٌ وَعَزْزُونٌ وَحَسُونٌ ، فَأُولَعُ بِهِمْ  
— كَذَا — وَقَالَ فِيهِمْ :

أَخْفَيْتُ سَقْمِي حَقٍّ كَادَ يَخْفِينِي وَهَمَّيْتُ فِي حُبِّ عَزْزُونٍ فَعَزَّوْنِي  
ثُمَّ أَرْحَمُونِي بِرَحْمُونٍ فَكَيْفَ ظَمَمْتُ نَفْسِي إِلَى رَيْتِي حَسُونٍ فَحَسَّوْنِي  
ثُمَّ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ ، فَخَرَجَ مِنْ قَرْطَبَةِ (٣) وَمَا نَظَنَ ابْنَ السَّيِّدِ قَسَالَ هَذَا  
إِلَّا لِلْجَنَاسِ الَّذِي يَعْمَلُ الْقَضَاةَ !

وَبَعْدَ : هَذَا شَرْحٌ عَلَى كِتَابِ الْمَعْرِيِّ سَقَطَ الزُّنْدِ وَهُوَ دِيْوَانُ جَمْعِ الْمَعْرِيِّ فِيهِ  
« أَوَّلُ شَعْرِهِ وَمَا سَمِعَ بِهِ خَاطِرُهُ » (٤) وَكَانَ تَشْرِيحُهُ بِكِتَابِ آخِرِ سَمَاءِ (ضَوْءُ  
السَّقَطِ) « غَيْرَ أَنَّهُ رَقَعَ فِيهِ تَقْصِيرٌ مِنْ جِهَةِ الْمُسْتَعْلِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَعْلَى مَعْنَى  
بَعْضِ أَيْبَاتِ مِنْهُ ، وَأَهْمَلُ أَكْثَرَ الْمَشْكَلَاتِ . . . فَجَاءَ التَّفْسِيرُ كَأَنَّهُ لُتَمَعَ شَقٌّ ،  
لَمْ يَشْفِ الْغَلِيلُ . . . » (٥) وَقَدْ شَرَحَ سَقَطَ الزُّنْدِ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ : أَبُو زَكْرِيَا التَّبْرِيزِيُّ  
تَلْهِيدَ الْمَعْرِيِّ ، وَابْنُ السَّيِّدِ ، وَأَبُو يَعْقُوبَ الْخُثُوتِيُّ — أَلْفَ شَرْحِهِ سَنَةَ ٥٤١ هـ — ،  
وَالْفَخْرُ الرَّازِيُّ ، وَالْخَوَارِزْمِيُّ (ت ٦١٧) ، وَغَيْرُهُمْ . وَيَصِحُّ أَنَّ ابْنَ السَّيِّدِ

(١) أَرْحَامُ الرِّيَاضِ ٣ : ١٢٠ (٢) نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥ : ١٠٨

(٣) بَنِيَّةُ الرَّعَاةِ ٥٥ — ٥٦ ، وَنَقَلَهَا فِي أَرْحَامِ الرِّيَاضِ ٣ : ١٢٠ .

(٤) شَرْحُ سَقَطِ الزُّنْدِ — مَقْدَمَةُ التَّبْرِيزِيِّ ٣ : ١ (٥) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ ١ : ٣ — ٤ .

من أوائل 'شراح سقط الزند' . أما المعري فولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ ، وامتدت حياة التبريزي بين ٤٢١ و ٥٠٢ وابن السيد بين ٤٤٤ - ٥٢١ . وشرح ابن السيد على سقط الزند مطبوع مع شرحين آخرين في نسق واحد ؛ يسبقه شرح أبي زكريا التبريزي ، ويتلوه شرح صدر الأفاضل قاسم ابن الحسين بن محمد الخوارزمي . وجعل الكتاب وفهارسه في خمسة أجزاء ، وطبع ما بين ١٣٦٤ - ١٣٦٨ هـ و ١٩٤٥ - ١٩٤٩ م ، في دار الكتب المصرية بمناية جماعة من الأدباء ، ثم أعيد طبع الكتاب بالأفست ، عن الدار القومية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م كما هو . وقد أشار بعض الأدباء إلى أهمية شرح ابن السيد على سقط الزند ، ومكانته بين كتب المؤلف نفسه ، وبين كتب شرح السقط بعمامة ، وفي هذا يقول ابن خلكان « وشرح سقط الزند لأبي العلاء المعري شرحاً استوفى فيه المقاصد ، وهو أجود من شرح لأبي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء السقط » <sup>(١)</sup> وذكره ابن سعيد في استدراكه على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس فقال : « وأما شرح سقط الزند له فهو الغاية ، ويكفي ذكره عند أرباب هذا الشأن وثناؤهم عليه » <sup>(٢)</sup> وقد أخذ الناس شرح سقط الزند لابن السيد عنه وتناقلوه وذكر ابن خسير في فهرسته سنده فيه قال : « كتاب شرح سقط الزند لأبي محمد بن السيد رحمه الله ، حدثني به الشيخان : أبو الحسن عبد الملك بن محمد بن هشام القيسي ، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد العبدي ، عن مؤلفه أبي محمد... » <sup>(٣)</sup> وهو شرح يمثل ذروة نضج الفكر الأندلسي وتمثله الثقافة العربية ، ويمثل ابن السيد فيه شخصية الأديب العالم المحقق الذي ألم بفنون الأدب ، وفنون أخرى من علوم اللغة والنحو ، والفلسفة وعلم الكلام ، والفقه والتفسير وكافة علوم الشريعة إمامة المشاركون حيناً ، المختص حيناً آخر ، وسرى فيه رقة الأديب في حسن فهمه للمعاني ، وحسن أدائه الفكرة والمعبارة ، وخسوفه في المسائل العويصة - مثل الحديث عن عقيدة المعري - بجرأة ودقة وحرص ، كالسائق الماهر يجتاز التلعات والوهاد متمكناً مطمئناً .

(٢) نفح الطيب : ٤ : ١٧٥

(١) وفيات الأعيان : ٢ : ٢٨٢

(٣) فهرسة ابن خير : ٤١٢ .



وقد استطاع الشارح الأندلسي أن يفيد من ثقافته التي أجملنا بعضها في ترجمته فقد كان لغوياً نحويًا ، أديبًا ، شاعرًا ، وكان فقيهاً ذا إلمام بأمور الشريعة وكتب التفسير والحديث والمذاهب ، وتحدث في الفلسفة بما يدل على حسن اطلاعه على أمورهما ، كما أنه أشار في شرحه إلى بعض آراء أفلاطون ، وأرسطو ، ونقل عن الفارابي ، وناقش بعض المسائل الفلسفية أثناء شرحه لإشارات المعري متنوعة . واستخدم معظم ما عنده من تراث ثقافي من علوم الفلك والجغرافية والعروض ، ومعلومات في البلدان ، ودلل على اطلاع واسع على عادات العرب وأخبارهم وأيامهم ومواسمهم . وسنعود على ذلك كله بالعرض والمناقشة . ولا بد قبل البسط والعرض من القول إن ابن السيد البطليوسي بحاجة إلى دراسة متخصصة تكشف عن جوانب شخصيته المتعددة ، فإنه ليس بمجرد نحوي شرح الجُمْل وانتقد سيبويه ؛ وهو عند التحقيق صورة أندلسية حية ، وأثر بارز من آثار العرب هناك . ولن أستطيع في هذه الفقرة مها وسّعت الحديث ، أو حاولت الإلمام أن أتم ما ينبغي من واجب الدرس وغاية التقصي وسأحاول جهدي أن أحسن النقل والتصوير والمناقشة .

**مقدمة الشارح :** وضع ابن السيد كتابه هذا إجابة لطلب شخصية لم يصرح بذكر اسمها ولكن يبدو أن الطالب ذو مكانة مرموقة ولعله من ذوي السلطة ومصطفى الأمور ، وفي المقدمة ما يدل على أن طالب الشرح توسّم في ابن السيد أن يجد لديه ما لم يظفر به من شرح المعري نفسه ؛ قال : « سألتني - وأصل الله لديك نواصي النعم ، وبلغك أقاصي الهمم - أن أشرح لك سقط الزند من شعر أبي الصلاء المعروف بالمعري ، وذكرت أنك قرأت ضوء سقط الزند الموضوع فيه فلم تجده مستوفياً لجميع معانيه ، ورجوت أن تجد عندي ما يوافق مرادك ويطابق اعتقادك » <sup>(١)</sup> ثم وصف الشارح بإيجاز صفات شعر المعري وخصائصه ، وكأنه يشير بذلك إلى ما سيقف عنده في شرحه وما سيعالجه من آرائه : « ولعمري إنه لشعر قوي المباني ، خفي المعاني ، لأن قائله سلك به غير مسلك

(١) شروح سقط الزند ( مقدمة ابن السيد ) ١ : ١٥٠ .

الشعراء ، وضمنه نكتاً من النَحْسَل والآراء . وأراد أن يُري معرفته بالأخبار والأنساب وتصرفه في جميع أنواع الآداب ، فأكثر فيه من الغريب والبديع ، ومزج المطبوع بالمصنوع ، فتمعّدت ألفاظه ، وبعُدت أغراضه <sup>(١)</sup> وقد أعاد الشارح ترتيب قصائد الديوان بحسب حروف المعجم واحتج لذلك بحجة ، قال : « ورأيت أن ترتيبه على نظم الحروف المعجمة أتم في الوضع وأجمل للتصنيف فاحتجت لذلك أن أزيد فيه ما يفي بالغرض <sup>(٢)</sup> . . . وفي هذا يقول محققو الديوان في مقدمة الكتاب المطبوع « وليس هذا الشرح خاصاً بسقط الزند ، بل ضم إليه طائفة أخرى من شعر أبي العلاء ، بعضها من لزوم ما لا يلزم ، وبعضها الآخر من سائر دواوين أبي العلاء <sup>(٣)</sup> » .

**شرح المعاني :** استخدم الشارح كما قلت أنماطاً مختلفة من الأساليب والوسائل للنفاذ إلى خبيء معاني المعري ، ولتبيان مقاصده وإشاراته وأغراضه ، واستطاع أن يتغلغل وراء كل معنى مستتر ويبيّنه . وليست له طريقة واحدة في تناول شرح كل بيت من أبياته ، ولعلكن الغالب أن يبدأ بشرح لغوي لبعض الكلمات الغريبة ، أو محتملة الوجوه ، أو التوجيه إلى معنى واحد هو ما قصد إليه الشاعر ثم يبسط المعنى ويبيّنه . وفي مجال المعنى نفسه كان الشارح يبتن قيمة معنى المعري بالقياس إلى مَنْ سبّقه إليه ، أو إلى بعضه . وعُني ببيان تجديد المعري على المعاني الشائعة أو السابقة له ودرجة تجديده ، فكأنه يُخلص ما ابتكره مما ائسكاً عليه . ونبّه على معانيه المبتكرة التي لا يحفظ لغيره فيها شيئاً ، وهي شيء كثير . وعُني أيضاً بعمل مقارنة مستمرة تقريباً بين معاني المتنبي وأبي تمام من جهة ، ومعاني المعري من جهة أخرى ؛ مما اشتركوا فيه . أو كان المعري يتوكل فيها على أحدهما أو يعارضه أو يعكس معناه . والمقارنة بين المتنبي والمعري — في هذا — أشد وضوحاً وأكثر وجوداً ، ولعل هذا ما يؤكد ما نقله ابن خلكان من أن ابن السيد شرح ديوان المتنبي ؛ وعلى كل حال ، فإن ابن السيد دل على اطلاع كامل على معاني المتنبي ودقائق شعره . وقبل أن نذكر

(١) شرح سقط الزند ( مقدمة ابن السيد ) ١ : ١٥ .

(٢) شرح سقط الزند ( مقدمة الناشرين ) صفحة ٥ - ٨ .

تتمة خصائص الشرح ومميزاته ، سنضرب مثلاً على ما تقدم من سرد . قال في شرح مطلع القصيدة الأولى (١)

أعن وَاخذ القِلاص كَشَفَتْ حَالاً ومن عند الظلام طلبت مالا  
الوَخْد : السير السريع ، وهو الوَخْدان أيضاً ، والقلاص جمع قلوص وهي  
الفتية من الإبل ، وهي في الإبل بمنزلة الجارية من النساء . وصف تعذُّر ماأربه  
وأوطاره ، وعَنَتَف نفسه على كثرة حركاته وأسفاره فقال يوتَّجها على ما فعلت ،  
وينكر عليها ما أوهمتها ظنونها الكاذبة وسَوَّلت : أحاولت أن تكشفني عن  
حال وَاخذ الإبل حق تقفي عليه ، وتَوَّمت أن الشَّرى يُنِيل المال ويوصل  
إليه ؟ فكيف رأيت إخفاق أملك ، وقلة إنجاح سعيك الذمِّم وعملك . وكأنه  
أراد أن يناقض بهذا قول أبي الفشناس :

فلم أرَ مثل الهمِّ ضالِّجته الفقى ولا كسواد الليل أخفَّتْ طالبه  
وقول جابر بن ثعلب :

فإن الفقى ذا الحَسَرم رام بنفسه حواشي هذا كي الليل يَتَموَّلا  
ويحرص الشارح على إيضاح الأمور الدقيقة في معاني الشاعر ، واستكناه  
المقصود من المعاني الظاهرة ، فالمعري يقول في فرس :

ولولا غيرة من أعوجي لبات يرى الغزالة والغزالا  
يحس اذا الخيال سرى اليها فيمنع من تمهدنا الخسالا  
... يقول لولا أن هذا الفرس الأعوجي أحس بمجيء الخيال فأدركته غيرة  
لذلك ، ونم بمجيئه وصل حتى أيقظ الركب لبات هذا العاشق يرى من محبوبه  
غزالةً وغزالا . وفي هذا وصف للفرس بجودة الحس وصدق السمع ، كما وصفه  
بذلك في موضع آخر فقال :

يحسُّ وطء الرِّزايا وهي نائمة فينبه الجري نفس الحادث المكر (٢)  
فحديث المعري في المقام الأول عن الطيف ، ولكن الشارح التقط هذا المعنى  
العميق ، وخشي من القاريء أن يصفه بالتزيُّد ، فجاء بدليل من شعر المعري  
نفسه . ومن طريقته أنه يُحيل في معاني الشاعر على معانيه نفسها من قصائد

(١) شرح سقط الزند ١ : ٣٧ . (٢) الشروح ١ : ٧٥ - ٧٧ .

أخرى أو أبيات أخرى<sup>(١)</sup> . وهذا التدقيق يبدو في صورة أخرى ، فهو يحاول  
تعليل معاني المعري ، أو بيان سبب تفضيله عبارة على عبارة أخرى وهو يرى  
أن في ذلك بلاغة ذات مغزى ، وأن كل تعبير أو تشبيه مقصود لذاته ، ولما يحمل  
وراءه من إيحاءات ، فمن ذلك شرحه قول المعري :

فأقسم ما طيورُ الجوّ سُحُماً كَسَهْنَ ، ولا نعامُ الدَّوِّ روحاً  
... شبه أبو العلا الإبل بالطيور والنعام في السرعة . وإنما خص السحيم من  
الطيور دون غيرها للمعنيين : أحدهما أن يكون وصف إبل سوداً . والثاني أن  
يكون أراد أن الإبل أسودّت من العرق لأن عرق الإبل اسود ، قال رؤبة ...  
والنعام توصف بسواد الألوان ، ولذلك ذكرها مع الطير السحيم ، قال المعجاج  
يصف ظليماً ..<sup>(٢)</sup> ، وهذا مثال آخر اشد دقة في استبطاء المعنى ، وفيما وراء  
المعنى ، قال المعري :

وأبصرت الذوابلُ منه عدلاً فأصبحَ في عوامِلها اعتدالاً  
يقول : علمت الرماح أنه يحب العدل فاعتدلت ، فلذلك يرى لرماحه من  
الاعتدال ما لا يرى لغيرها . وعوامل الرماح : صدورها . وخصتها بالذكر ،  
لأن معول الرمح إنما هو على عامله . وقال ( فأصبح ) ولم يقل فأمسى لأن  
الصباح إقبال والمساء إدبار<sup>(٣)</sup> . وهذه الملاحظة الأخيرة دقة متناهية في الانتباه  
لدقائق المعاني . ومدح المعري رجلاً بالفروسية فقال :

دع اليراع لقوم يفخرون به وبالطوال الردينياتِ فافتخر  
فهنّ أقلامك اللاتي إذا كتبت تَجِدْنَ أُنْتَ بعداً من دمٍ هدر  
فشرح ابن السيد الأبيات وعلق بعدها : وإنما فضل في هذا الشعر السيف  
على القلم ، لأنه مدح رجلاً كان من الفرسان ، ولم يكن له حظ من الكتابة .  
وفي هذا ربط بين مناسبات الشعر ومحتوياته ، وفيه التفاتة حيدة . وكان يشير  
إلى المعاني المحتملة في بعض الأبيات وفي ذلك يقول التبريزي تلميذ المعري : وربما

(١) وانظر ١ : ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ... الخ

(٢) الشروح ١ : ٢٦٥ - ٢٦٦ ، وانظر ٣٤٤ ، ٥٧٤ ، ١٢١٧ ...

(٣) الشروح ٧١ - ٧٢ .

احتمل البيت الواحد معنيين وأكثر ، وقد مرّ مثله في هذا الكتاب فيما أخذته عنه — يعني المعري — وحصلته منه وقت القراءة عليه ، غير أن حمل المعاني على ما هو أدخل في كلام العرب ، وألقى بمعاني الشعر هو الوجه <sup>(١)</sup> . وهو يقلب تلك الأمور المحتملة الوجوه ، ثم يرجّح ما يظنه أليق بالمقام ، وألصق بالمعنى وله في ذلك منهج يتابعه ويمجري على سننه . قال المعري في قصيدة مديح :  
 وإن تبخلت على الأحياء كلمهم فاسق المواطر حيتاً من بني مطر  
 وقال الشارح : الأحياء : القبائل واحداً حياً . ويحتمل أن يريد بالمواطر السحاب ، ويحتمل أن يريد الأمطار بعينها ، وهو أجود <sup>(٢)</sup> . وقال في شرح البيت :

سرت بي فيه ناجيات مياهاها تجم إذا ماء الركائب غارا  
 الناجيات : الابل السريعة ، والركائب : الابل التي تركب للسفر واحداها ركوبة . ويقال : جم الماء يجم . اذا كثر وهذا يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون ضرب جوم الماء وغؤوره مثلين لكثرة السير وقلته — وليس هناك ماء في الحقيقة ، وإنما أراد أن سيرها يكثر ككثرة الماء إذا جم ، فيكون كقول امرئ القيس :

يجم على الساقين بعد كلاله جوم عيون الحسي بعد المسخض  
 وكما قال النمر بن تولب :

جوم الشد شائلة الذئاب تحال بياض غرتها سراجا  
 والثاني أن يريد بالماء العرق ، لأن قلة العرق مما يكره ، فيكون كقول امرئ القيس : وأخلف ماء بعد ماء فضيض . والمعنى الأول عندي أجود <sup>(٣)</sup> .

ويتبين لنا من خلال شرح ابن السيد أنه مطلع على أشعار العرب ومدرك لمعانيهم التي يرددونها . وهناك صور شعرية ومواقف معينة تناولها الشعراء وكثرت في قصائدهم ، أشار إليها الشارح وبين موقف المعري منها ، فهو ثارة يُعيد المعنى نفسه وثارة أخرى يضيف اليه شيئاً جديداً وقد يعكسه أو يأتي

(١) الشروح ٢٠٣٤ : ٥ (٢) الشروح ١١٦ : ١

(٣) الشروح ٦٢٢ : ٢ - ٦٢٣ ، ٧٣ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ .

يجديد لم يسبق اليه . ونحن هنا قريبون من ( المعاني المشتركة التي يتداولها الشعراء ) ونزيد على ذلك ما عرف عن العرب من عبارات أو مواقف أو اصطلاحات قد لا تكون بالضرورة من عمل الشعراء أو وقفاً عليهم ، كقولهم فلان ابن الليل وأخو الليل إذا كان كثير السفر فيه <sup>(١)</sup> ، وأن العرب تسمي كل شيء تطاول أمده ، وبقي بعد ذهاب غيره مخلداً <sup>(٢)</sup> ، وأن كل أمة عند العرب قسنة <sup>(٣)</sup> ، واستعمال العرب العدد بمعنى التشبيه والظن <sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك مما هو داخل في المأثور عن العرب من مثل أو استعمال لغوي ، أو عادة ، أو طراز حياة ، أو أسلوب خطاب . ولعل ذلك آت من ثقافة ابن السيد اللغوية الفزيرة واطلاعه على عادات العرب وأحوالهم من تراث ثقافي ملأ الأندلس طول أيامها . قال المعري :

ومن أم النجوم عليه درعٌ يحاذِرُ أن يمزقها الطعاب  
... والعرب تسمي المجرة أم النجوم لكثرة النجوم المجتمعة فيها ، وأم كل شيء أصله الذي يضمته <sup>(٥)</sup> .  
وعلق على قوله :

لعبت بسحرنا والشعر سحرٌ فتبتنا منه توبتنا التصوُّحا  
... والعرب تسمي كل ما استمال النفوس من كلام وغيره سحراً ، ومنه قوله عليه السلام حين سمع كلام عمرو بن الأهتم : إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة <sup>(٦)</sup> . وعلّق على قوله :

بنات الخيل تعرفها دلوك وصارخة وآلس واللقان  
هذه كلها مواضع من بلاد الروم وقد ذكرها أبو الطيب . وأراد بنات الخيل المتناق فحذف الصفة حين علم ما أراد . والعرب تحذف الصفات إذا كان في فعوى الكلام ما يدل عليها . فيقولون إن فلاناً لرجل ! وإنه لإنسان ! ، إنما يريدون رجل كامل أو رجل مستحق لأنه يسمى رجلاً ، ولولا ذلك لم يكن في الكلام فائدة يستعدها المخاطب <sup>(٧)</sup> . ومثل هذا كثير لا ينضب معينه لدى

(١) الشروح : ٥٤٦ (٢) الشروح : ٦٧١ (٣) الشروح : ١٢٤٠  
(٤) الشروح : ١٤٢٩ (٥) الشروح : ١ : ٢١٢ (٦) الشروح : ١ : ٢٧٦  
(٧) الشروح : ٢٠٢ - ٢٠٣

ابن السيد ، وهو من مميزات شرحه البارزة (١) . وقال المعري .  
 فليتك في جفني موارى نزاهة بتلك السجايا عن حشاي وعن ضبني  
 وقال الشارح بعد كلام . . وإنما نزه أباه عن أن يكون في حشاه ، لأن  
 الحشا موضع الأقدار ، وكأنه أراد أن يناقض من تتدم من الشعراء ، لأن من  
 شأنهم أن يصفوا أن أحببتهم في أحشائهم ، كما قال أبو الطيب :  
 فإن تك في قبر فإنك في الحشا  
 وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفل (٢)

وخرج إلى مبتكرات المعري في إطار معاني العرب ، كمثل قوله :  
 كلم كنظم العقد يحسن تحته معناه حسن الماء تحت حبابه  
 فقال : أما تشبيه الكلام بالدر فكثير قد تجاذبه الناس قديماً وحديثاً . وأما  
 تشبيه المعنى تحت اللفظ بالماء تحت الحباب فلا أعرف له نظيراً في شيء من شعر  
 المتقدمين ولا المتأخرين . وقد أشار الشعراء إليه وإن كانوا لم ينصوا عليه ، لأن  
 الكلام والحباب يشبهان جميعاً بالدر . فوئد أبو العلاء من ذلك أن شبه  
 الكلام بالحباب ، لأن الشيء إذا أشبه الشيء ، فقد أشبه ما يشبهه والشاعر  
 إذا كان ذا ذكاء كفاه أقل تنبيه وأيسر إيماء (٣) . فهو قد خلتص معنى المعري  
 من المعاني المتداولة وبين مقدار ابتكاره ، وقدّر توليده بعبارة دقيقة واضحة .  
 اختراعات المعري : الحكم على معنى بأنه مسبوق إليه ، أو بأنه جديد  
 مبتكر عمل شاق ، يحتاج إلى مراس طويل ، ومطالعات واسعة واستيعاب لمعظم  
 معاني العرب القديمة بخاصة ، وإلمام بالشعر الحديث ، وهو كثير ، والإحاطة به  
 من الصعوبة بكان ، ولا تتأتى هذه المقدرة إلا بعد زمان من الدراسة والممارسة .  
 وقد كان الشارح يلقى حكمه على بعض معاني المعري بالجدة والابتكار ،  
 والطرافة والتوليد ، وقد سبقت الإشارة إلى بعض الأمثلة التي ميز فيها الشارح  
 خيوط المعري من خيوط أسلافه ، من نسج شعر واحد . وكان في معرض

(١) وانظر ١٩١ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢٤٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٣٦٤ ، ٤٢٦ ، ٥٤٦ ، ٦٧١

(٢) الشرح : ٢ : ٩٣٧

٧١٢ . الخ .

(٣) الشرح ٧١٨ - ٧١٩ .

هذا يشير - أحياناً - الى أوائل من عُرف بإثارة معانٍ معينة ، ثم تابعهم الشعراء بعدها <sup>(١)</sup> . وهو يورد رأيه بمعارات مثل : ولا أحفظ هذا المعنى لغيره ، أو لا أعرف له نظيراً ، وقال في شرح بيت المعري في وصف السيف :  
سليل النار دق ورق حتى كأن أباه أورثه أورثه السلالة

فجعله كما ترى سليلاً للنار التي طُبِعَ بها . وذكر أنه ورث السلالة والسقم عنها . ولا أحفظ هذا المعنى لغيره <sup>(٢)</sup> وشرح بيت المعري :  
وكالنار الحياة فن رماد أو آخرها ، وأولها دُخان

... يقول لست أعتد بأول عمري وهو عصر الصبا ، ولا بآخره وهو عصر الهرم ، وإنما أعتد بأوسطه وهو عصر الشباب كما أن النار لا يُنتفع بأولها لأنه دخان ، ولا بآخرها لأنه رماد . وإنما المنتفع به منها ما بين الطرفين ، وهذا معنى لا أحفظه لغيره <sup>(٣)</sup> ، وهو مع ذلك يحتاط احتياط العالم الحذر ، المعتد بما عنده في غير قطع ولا جزم ، فيقيد معرفة الابتسكار والتجديد في الصور والمعاني المعرية بنطاق ( ما يحفظ ) و ( وما يعرف ) ولكن عمله هذا في تمييز مبتكرات المعري شيء جديد ، وهام بالقياس إلى ما رأينا من شروح أندلسية ، وبالقياس إلى الشرحين المطبوعين مع شرح ابن السيد . والنماذج كثيرة ولهاها أكثر من أن تحصي ، وسنعود الى طرف من هذا الموضوع في الحديث عن السرقات .

**اللغة في الكتاب :** شارح المعري لا بد له من ثقافة تضارع ثقافته لتحيط بما ينثره من غريب في اللغة وجديد في المعاني ، وغير ذلك مما اصطنع ... وكان الشارح على مقدار من الثقافة اللغوية أممكته من فهم المعري ، وتفهمه أيضاً فقد كان يشير الى المعاني المحتملة في الكلمة - ما دام ذلك ممكناً في معنى الشاعر - وربما غلبت عليه الصنعة فشرح الكلمة تفصيلاً ، كسرده معاني الراح <sup>(٤)</sup> والورد <sup>(٥)</sup> ، والغانية <sup>(٦)</sup> ، ووجوه استعمال وزن فعيل في اللفظة <sup>(٧)</sup> . وهو يحرص على أن يوضح معنى الكلمة حيث هي من موقعها في بيت المعري . ونحن

(١) ١٢٨ ، ١١٧ . (٢) الشروح : ٩٧ . (٣) الشروح : ١٧٨ .  
(٤) ص : ١١٥٠ . (٥) ص : ١٤٩ . (٦) ص : ١٢٧ . (٧) ص : ١١٤٢ .



نجد له رأياً ايضاً في وجوه معاني الكلام المفرد الغريب ، قال : « فرقى بعض اللغويين بين خطيء وأخطأ فقال : يقال خطيء يخطأ إذا تعدد الذنب ، وأخطأ يخطيء إذا لم يتعد . وقيل غيره : يجوز أن يقال : خطيء ، بمعنى أخطأ ، وهذا هو الصحيح ، ويدل عليه قول العرب : ( مع الخواطيء سهم صائب ) يضرب مثلاً لمن يصيب في بعض الاوقات والغالب عليه الخطأ . . (١) . وهو في أثناء شرحه يشير الى بعض الملاحظات اللغوية بما يدل على اطلاع وتمكن ، فمن ذلك إشارات الى بعض الجروع النادرة ، والتغليب في اللغة (٢) ، ووزن فعل واستعمالاته (٣) ، وبعض الأضداد (٤) ، وكان يرد أحياناً على ( بعض اللغويين ) — الذين يورد لهم اشياء في اللغة — بما هو جار في القياس (٥) ، ويورد مذهب القياس (٦) ، ويورد مذهب القياس ومذهب السماع في موضوعات اخرى (٧) ولتنظر شرح قوله :

كأنما الضرب يفري من كلومهم

أكباد سرب رهين النور في الكئوس

يفري : يقطع . وزعم بعض اللغويين أنه يقال فريت الشيء إذا قطعته للإصلاح وأفريته إذا قطعته للإفساد . وهذا ليس بصحيح ، لأننا قد وجدناهم استعمالوا « فريت » في الإفساد . قال الشاعر :

فري ناثبات الدهر بيني وبينها

وصرف الليالي مثل ما يفري البرد (٨)

وهو قد يعرج على أصول مدلولات الأسماء أو المواضع بغير إطالة : « والحمى : موضع ، وأصل الحمى : الموضع الذي يحمي فلا يقربه أحد (٩) » ، وهذا كثير ، وقد يكتفى بالإشارة إلى المعنى الواحد المقصود . « والطيف ههنا : الخيال الذي يترى في النوم (١٠) » . وهو يحتج بأعلام كالمبرد ، وثلج ، وابن السكيت ،

(١) ص : ٢١٧ - ٢١٨ . (٢) ص : ٣٩٩ . (٣) ص : ٢٩٣ .

(٤) ص : ٦٣٦ . (٥) ص : ٦٤٢ . (٦) ص : ٣٦٢ . (٧) ص : ٢٦٣ .

(٨) ص : ٧٠٧ ، وانظر مثلاً ص : ٩٣ و ١٠٣ وغيرهما .

(٩) ص : ٧٣٤ . (١٠) ص : ٧٥ .

والأصمعي ، والرازي صاحب الزينة ، وسواهم .

**ملاحظات نحوية :** استخدم الشارح النحو ، وطبق أحياناً شيئاً من الإعراب ، لضرورة إيضاح المعنى أو تبين بعض الوجوه من بعض . وكان في أثناء ذلك يحتج بسيبويه ، والأخفش ، والمبرد ، وأبي علي الفارسي ، ويشير إلى مسائل من الخلاف بين الكوفيين والبصريين بما يدل على سعة وإطلاع وتميز . وهذا مثال من إعراب بيت المعري يصف فيه الرمح :

توهم كل سائفة غديراً فرّقت يطلب الخلق الدخالا

... فأما إعراب بيت أبي العلاء ، فإن كان أراد مداخلة الخلق بعضها في بعض فالدخل صفة للخلق على وجهين : أحدهما أن يكون التقدير : الخلق ذا الدخال ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . والثاني : أن تجعل المصدر في تأويل اسم مفعول ، كأنه قال : الخلق المداخل ، فيكون بمنزلة رجل رضا . وإن كان أراد بالدخال الدخال الذي يكون في الورد - وهو أشبه بمراده ، لذكره الغدير والشرب - فيجب أن يكون الدخال صفة لمصدر محذوف كأنه قال : الشرب الدخال . فيكون من باب قولهم : رجع القهقري أي الرجعة القهقري<sup>(١)</sup> فهو قد بين الوجهين ، وأدلى برأيه فيما يرى ويرجع .

وناقش مسألة العبارة بالماضي ، والعبارة بالمضارع والفرق بينهما ، وأن التعبير بالمضي له خصائص تنطلي على المعنى لا توجد في المضارع ، في قول المعري :

ويا أسيرة حجليها أرى سفهاً حمل الحلي بمن أعسى عن النظر

فإن قيل : فهلا قال بمن يُعسي عن النظر فيجعله فعل حال دائماً غير منقطع فيكون أبلغ من أن يكون ماضياً ؟ فالجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أن الماضي قد يذكر ولا يراد أن الخبر عنه في الحال والاستقبال ... وعلى هذا بتأول قوله تعالى ( وكان الله عليمًا حكيمًا ) إنما المراد أن ما علم الآن من حكمته وعلمه لم يزل موصوفاً به . فهذا وجه . والوجه الثاني أن ذكر الفعل الماضي هنا أليق بما ذكره من السفه ، ويريد أن أهلها ألبسوها الخلاخيل مع ما قد سلف من علمهم بأنها لا تقدر على حمل نظر العميون ، فكان ذلك أبلغ في وصفهم

(١) ص : ١٠٨ .

بالسفه<sup>(١)</sup> . وناقش مسائل كثيرة على طريقته من ربط المسألة بما هو فيه من مجال معاني المعري ، باختصار ، ومن ذلك ذكر الأقوال الكوفية والبصرية في ( بلسنه )<sup>(٢)</sup> وبعض أحوال الحال<sup>(٣)</sup> وجانب آخر من الموضوع نفسه<sup>(٤)</sup> ، وإجازة صلة الألف واللام الداخلتين على الاسماء الجامدة<sup>(٥)</sup> ولم يشتط في ذكر أمور النحو والصرف ، ليخرج عما هو فيه ، بل جعله وسيلة لكشف ما غمض من المعنى أو احتمال الوجوه .

المروقات : سبق الحديث عن معاني المعري المحدثه أو المبتكرة ، وهذا الكلام لاحق به وإن كان لكل مجال . فقد ألحقت تلك الفكرة بالحديث عن شرح المعاني ، وها أنذا أمر على موضوع الأخذ أو السرقة . والحق أن ابن السيد لم يستعمل كلمة السرقة كما استقرأت من شرحه المطبوع ، ولكنه كانت يُعنى بتبنيان أصول معاني المعري في الشعر العربي قديمه ومحدثه ، وفي القرآن والحديث والأمثال وأقوال العرب . ولم يدخل في تفاصيل اصطلاحية ، ولكنه أغنى ذلك بدقة استخدامه ما استظهر وروى من تراث العرب . وقد ميّز الشارح في هذه الناحية عدة أمور :

١ ) انتبه إلى أن هنالك تراثاً مشتركاً يستقي منه من شاء من الشعراء ، وهو ما شاع من تشبيهات العرب وصورهم وانطباعاتهم في مناحي الحياة من حولهم ، لا يُعد الأخذ منه عيباً ، ولا سرقة . بل إن التزام الشاعر - في بعض الأحيان - بطرائق العرب المألوفة أمر ضروري عند الشارح ، ويحاسب عليه الشاعر إن خالفه ولم يكن له وجه بلاغي يرضى هو عنه ، ولنجتزى به مثال هنا للتدليل - وإن كان موضع الكلام عليه في مناقشة نقد الشارح للمعري - قال المعري :

قلدت كل مهابة عقد غانية وفُزت بالشكر في الآرام والعُفُر  
قال الشارح « ... ولو اتفق له أن يذكر في هذا البيت البقر مع الآرام لكان أكمل للمعنى لأنه أفرد الأطباء بالشكر ، فكان إخلالاً بالصنعة<sup>(٦)</sup> ... »  
ففي هذا القسم من الأفكار والمعاني لا سرقة ولا أخذ ، وهو كثير التنبيه على

(١) ص ١١٧ : ١٢٧١ : ص (٢) ٢٩٤ : ص (٣) ١٢٨ - ١٢٧ : ص (٦)  
(٤) ص ١٧٤ : ٢٠٣ : ص (٥)

مثله بعبارات مختلفة . وشبه المعري ما على السيف من وشي بآثار النمل ، فقال  
الشارح « والعرب تشبه فرند السيف وما عليه من الوشي بآثار النمل والدبى (١) »  
قال المعري :

وليلٍ خاف قول الناس لما تولى سار منهزماً فعادا  
فقال بعد شرح البيت « والعرب تشبه الصبح بالهازم والليل بالمهزوم (٢) »  
وضرب الأمثال من الشعر ، قديمه وحديثه ، ومثل ذلك عبارة المعري عن  
البرق بـ ( ضاحك المزن ) فان العرب تشبه البرق بالضحك والمطر بالبكاء (٣) .  
وتعقيبات ابن السيد على هذه المعاني بمجرد ذكر أصل المعنى ، يدل على أنه  
يعمده في المعاني العامة المباحة لكل شاعر .

( ٢ ) ونبه في مواضع كثيرة ايضاً على معانٍ طرقتها المعري ، وهي من معاني  
شعراء العرب قديماً وحديثاً ، وعلى قلة كان يبين أول من استعمل ذلك المعنى  
بمن وصل إلينا تراثهم من شعراء العرب ، كقوله : « أول من أثار هذا المعنى  
طرفه ، أو أوس بن حجر . . . » وكان فيما سوى ذلك ينبه على أن هذا المعنى  
« كثير في الشعر (٤) » ، أو كثير متروك في الشعر ، أو كثير في الشعر القديم  
والحديث (٥) . وقال مثلاً « والشعراء يصفون أن الذئب تلم بهم في الفلوات (٦)  
و « الشعراء يشبهون عيون الأحبة بالسيوف » . وأولع المعري بتصوير انطباع  
صورة السماء على صفحة الماء ، فقد نبه ابن السيد على ذلك ، وعقب عليه  
بقوله : وقد أكثر المحدثون في هذا المعنى كقول القائل ( البحري ) :  
إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سماء ركبت فيها  
وقول الآخر . . الخ « ولم يكن يشير في هذا القسم إلى ما يعني النقل  
أو الأخذ .

( ٣ ) وهناك معانٍ اخترعها شعراء بأعيانهم كان أخذها أو البناء عليها مما  
يلفت النظر ويدعو إلى التنبيه ، وفيها يكون ( الأخذ ) و ( اللمح ) و ( النظر )  
و ( المقاربة ) وما شابه ذلك من درجات ، وهو في مصطلحاته دقيق ، لا يلقي

(١) ص ١٠٤ : .	(٢) ص ٧٩٢ : .	(٣) ص ٩٠٧ : .
(٤) ص ٥٢٣ : .	(٥) ص ١٦٣ : .	(٦) ص ٥٠٧ : .

الكلام إلا بعد ميزان . فهو يميز أنواعاً مختلفة من أخذ المعاني . فمن ذلك :  
 المشابهة التامة وعبارته في ذلك ( مثل ) و ( كما قال .. ) وربما أكد هذا النوع  
 بكلمة أشد دلالة وهي قوله ( أخذ أو ( مأخوذ ) . مثله قول المعري :  
 وعتجن لقاءك وهو موتٌ وهل يُنبي عن الموت امتحان  
 ... وهذا مأخوذ عن قول أبي الطيب :

سَلَّ عن شجاعته وزُرَّه مسالماً وحذارٍ ثم حذارٍ منه محارباً  
 فالموت تعرفُ بالصِّفات طباعه لم تلقِ خلقاً ذاق موتاً آيباً<sup>(١)</sup>  
 ومن ذلك أخذ المعنى والزيادة عليه<sup>(٢)</sup> ، ومنه عكس المعنى<sup>(٣)</sup> ، والمماثلة  
 في المعنى دون اللفظ ، وأخذ المعنى ، ونخالفته في بعضه<sup>(٤)</sup> ومنه ( النظر ) ،  
 و ( الإشارة )<sup>(٥)</sup> ومن ذلك توليد معنى من معنى سابق ومثله قول المعري :  
 يبيتُ مسهداً والليل يدعو بضوء الضبح خالقه ابتهالاً  
 فقال الشارح : ... وهذا معنى ظريف ولَّده من قول أبي الطيب :  
 أعزمني طال هذا الليل فانظر أملك الصبح يفرق أن يؤوبا  
 وأبو الطيب أول من أثار هذا المعنى ، فأخذه أبو العلاء ، وخالف به ما ذهب  
 إليه أبو الطيب ...<sup>(٦)</sup> ومن ذلك أن يكون معنى المعري نحواً من معنى  
 شاعر آخر<sup>(٧)</sup> أو يكون موجوداً في بيت<sup>(٨)</sup> شاعر آخر . ولو عمدت إلى  
 الأمثلة لطال الحديث في غير وقته ودون مجاله ، وسأكتفي بالإحالات على الأرقام  
 مع ملاحظة أن أرقام الأجزاء الخمسة متسلسلة ، فيغني الرقم عن الجزء .  
 ٤ ( وماز الشارح كما أسلفت معاني المعري التي ولَّدها أو اخترعها<sup>(٩)</sup> ، فأتى  
 بذلك نظريته العامة على معانيه : القديمة ، وذات الخيوط المشتركة من قديم  
 وحديث ، ومبتدعاته . وجدير بالملاحظة والتأمل أن الشارح في النوع الثالث  
 الذي تحدثت عنه في معاني المعري المأخوذة من غيره - على أي وجه - ركز

(١) ص : ١٨٦ - ١٨٧ . (٢) ص : ١٦٠ . (٣) ص : ٢٣٤ .  
 (٤) ص : ٧٢٥ . (٥) ص : ٤٥ . (٦) ص : ٦٨ - ٦٩ .  
 (٧) ص : ١٥٧ ، وانظر : ١٥٨ ، ١٤٥ . (٨) ص : ٤٤١ ، ٧٧ .  
 (٩) مثل صفحات : ٩٨ ، ١٧٨ ، ٢٠٧ ، ٣١٥ ، ٤١٩ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٥٣ ، ٦٩٥ .

